ورود ملونة

رواية

علياء الكاظمي

مكتبة ٩٥٣

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

مكتبة | سُر مَن قرأ
#953
ورود ملونة

للتواصل مع الكاتبة

alyaa_story@yahoo.com

@alyaa_story

لوحة الغلاف للفنانة

نـــورة خالـــد

@aln0or

مكتبة | سُر مَن قرأ

ورود ملونة

رواية

#953

علياء الكاظمي

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

813.03 الكاظمي، علياء فاضل .

ورود ملونة / علياء فاضل الكاظمي .- ط 7.- الكويت : ذات السلاسل ، 2015

362 ص ؛ 21 سم .

1. القصص العربية - الكويت – ق21 أ. العنوان

ردمك : 0- 37 – 81- 99966 - 978

رقم الإيداع : 151/ 2015

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الحادية عشرة

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

مكتبة ٦ ٩ ٢٠٢٢
t.me/t_pdf

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع
E-mail: ths@thatalsalasil.com.kw
Web site:www.thatalsalasil.com.kw

الكويت - ص.ب: 12041 الشامية 71651
تلفون: 22466266/55
فاكس: 22438304

@THATALSALASIL
@THATALSALASIL
thatalsalasilbookstore

إهداء

إليك وحدك...

لأنني أحبك...

وأفتخر بك...

إلى/ فاضل الكاظمي

والدي الغالي...

كلمة شكر

إلى كل من اقتطع جزءاً من وقته
ليرسل لي تعليقاً... تشجيعاً...
نقداً... قصة... أو حتى كلمة...
ما تكتبونه يسعدني.... وبه
استمر....

علياء

مكتبة
t.me/t_pdf

المقدمة

قرائي الأحباء... بين يديكم كتابي الرابع، إنه هدية مني إليكم، هذا الكتاب مختلف... شعرت وأنا أكتبه أن القدر تدخل في ظهوره على هذا النحو.

كانت فكرتي أن أكتب قصة طويلة على سياق كتابي الأول... وفعلا بدأت كتابتها وقد استوحيتها من حياة أشخاص أعرفهم... في البداية أحسست أن الشخصيات كثيرة لكنني متأكدة أنكم عند قراءة القصة ستشعرون بالفرق بين كل شخصية وأخرى، فلكل وردة كتبت عنها عبيرها الخاص، وعندما اقتربت من نهاية قصتي «ورود ملونة» وصلني إيميل شدني.. كانت رسالة من فتاة عربية تعيش في كندا، أخبرتني أنها قرأت لي وتمنت أن أكتب قصتها، بصراحة في تلك الفترة عرض عليّ كثيرون كتابة قصصهم، بعضها لا يصلح للنشر وبعضها لم أجد نفسي قادرة أو راغبة في كتابتها، فطلبت من الفتاة أن ترسل لي قصتها بالبريد... وبخط يدها، لم أكن أريدها أن ترسلها بالإيميل، فعندما يكتب الشخص بخط يده يبدع أكثر ويسرد الأحداث بشكل أشمل (هذا رأيي

الشخصي) وخلال أسبوعين، وكنت وقتها قد أنهيت قصة «ورود ملونة» تقريبا، وصلني مغلف من كندا، وفتحته، كانت كراسة حمراء وبطاقة بريدية تُظهر صورة لمنطقة مونتريال، وفتحت الصفحة الأولى... إن خطها جميل جدا . وفي تلك الليلة سهرت أقرأ تلك القصة... وشدتني كثيرا.. شعرت أنها مختلفة عن القصص المعتادة وجديدة فكتبت رسالة إلى صاحبتها، أبديت لها استعدادي لكتابة القصة وطلبت منها أن تختار بنفسها أسماء أبطالها، لكنني أخبرتها فيما بعد أنني سأغير فيها وأعيد صياغتها بالطبع، وطلبت منها أن تثق فيما أفعله، فلا تطلب مني مراجعتها قبل النشر.

إن قصة «رحلة الصمود» حقيقية... مع لمسة مني ومن خيالي... لقد قضيت ليالي طويلة وأنا أكتبها بأسلوبي وأتمنى حقا أن تنال إعجابكم، إنها نتاج مجهود كبير وسهر طويل... وانتهيت من «رحلة الصمود» أخيراً.

وفي يوم ـ وكنت قد سلمت الكتاب للمطبعة وقتها ـ زارتنا صديقة عزيزة لأمي هي وابنتها ـ وجلسنا نتحدث... وتطرق بنا الحديث إلى كتبي وقصصي... وقالت الصديقة إن ابنتها واسمها شدوى تكتب الشعر، تفاجأنا جميعا بذلك... وبعد

إلحاح طلبنا منها أن تلقي على مسامعنا بعض ما كتبته...

وأحب أن أذكر هنا شيئا عن شدوى.. إن أكثر ما يميزها هو ابتسامتها التي تكاد لا تفارقها... ابتسامتها أجمل ما فيها... وفي تلك اللحظة اختفت ابتسامة شدوى لأجدها تنظر إلى الأفق البعيد وتبدأ بإلقاء أشعارها التي تحفظها عن ظهر قلب... ألقتها بإحساس عالٍ وصوتٍ جميل شجي... وبكت أختي ثم بكت أختي الأخرى ثم بكيت أنا تأثراً بها. ورغبة مني في تشجيعها ولأن ما كتبته لامس إحساسي وأعجبني فعلا طلبت منها أن تعطيني قصائدها لاختار منها ما يتناسب مع قصصي الجديدة، وفعلا اخترت لكم من أشعارها مجموعة ستلامس قلوبكم بالتأكيد، الشعر لها... لكنني عدلت بعض الأبيات وغيرت بعض المصطلحات ـ بعد موافقتها طبعاً ـ لتتناسب أبياتها مع ماكتبته... شعرت أن القدر ـ كما ذكرت ـ قد بعث إليَّ بهدايا جميلة لتضيف على كتابي نكهة مميزة... أتمنى أن يعجبكم الكتاب لأنني سعيدة جداً به...

أشكركم وأنتظر رأيكم..

علياء

هجرس: الثعلب أو ولده.. واللئيم وكل ما يعسعس في الليل.
هيثم: فرخ النسر أو فرخ العقاب أو الصقر، وبذر كل نبات ينبت نفسه.

(1)
هجرس

«يا لهذا الوجه القبيح!»

هتفت جنات من أعماق قلبها وهي تلمح وجهه فجأة من بين وجوه المراجعين المحيطين بها، والتفتت زميلتها سناء نحوها وهي تسألها بصوت هامس: من تقصدين؟ وتمالكت جنات نفسها وشدت نفساً عميقاً وهمست لزميلتها: إنه هو هجرس.. طليقي.

واستولى الفضول بسناء والتفتت نحوه، إنه فعلا بشع المظهر، وجه منتفخ وعينان جاحظتان وأنف أفطس يعلو شفتين ضخمتين كوسادتين كبيرتين، وشعره الخشن يلمع بدهان خاص، إنه قصير القامة وممتلئ الجسم وإن بدا مهتما بأناقته بشكل ملحوظ إلا أن هذا الاهتمام لا قيمة له أمام سوء مظهره، وهمست سناء: يا إلهي، كنت أظنك تبالغين، وتنهدت جنات بضيق وهي تقول: ماذا جاء يفعل

هنا؟ وقبل أن تتم سؤالها وجدته أمامها مباشرة وهو يقول: مرحبا... كيف حالك؟

وأشاحت بوجهها عنه وقالت: ماذا تريد؟

فقال بسخرية: أتيت لحضور اجتماع مجلس الإدارة، هل نسيت أنني أكبرمالك لأسهم هذه الشركة؟ أم نسيت أنني من وظفك فيها يا ابنة عمي العزيزة؟!

وقبل أن ترد عليه... تركها ورحل... قبل أن يسمع جوابها...

(2)

جنات

رقدت جنات في سريرها وهي تسترجع شريط حياتها كما تفعل كل ليلة منذ طلاقها.

شريط حياتها الذي ينتهي بها دائما عند سؤال محدد لا يتغير... هل أخطأت...؟

اسمها جنات عبد الوهاب، في الثانية والعشرين من عمرها، جميلة... بيضاء البشرة بشكل لافت للنظر، بياض ورثته من أمها العربية، ومطلقة... وعضت على شفتيها وهي تتذكر هذا اللقب الملتصق بها.. وبأمها! فأمها أيضا مطلقة منذ زمن بعيد...

تزوج والدها بأمها بعد أن أنجبت له زوجته الأولى أربع بنات، تزوج من أمها في السر كما حكت لها، وللأسف لم تنجب له الولد أيضا، بل أنجبتها هي، وبعد ولادتها عرفت زوجة أبيها بزواجه من أمها، فأصرت أن يطلقها... ولم تكن تحتاج إلى بذل الكثير ليفعل ذلك... فقد خاب أمله بزوجته الجديدة بعد أن أنجبت له بنتا جديدة، وطلقها بسهولة وصدمت أمها... وبعد عام أنجبت زوجة أبيها الولد أخيرا، إن لها أربع أخوات لا تعرفهن وأخا لم تره أبدا، فقد حرّمت

زوجة أبيها عليها وصالهم، حتى والدها تكاد لا تراه إلا نادرا، كيف تراه وزوجته ترفض زيارتها لهم، الأمر الوحيد الذي لا تنكره على أبيها أنه لم يقصر معها أو مع والدتها ماديا، لقد اعتاد أن يحول لهما مبلغا شهريا محترما يسد احتياجاتهما، كما أنه يدفع إيجار الشقة التي تعيشان فيها، وفي الأعياد كانت جنات تزور والدها في مقر شركته الخاصة، وكلما رآها كانت ترتسم عليه الدهشة، كأنه يتفاجأ بمخلوق هبط عليه من الفضاء، وكان يمد يده إليها ببعض المال الذي كانت تصر على عدم أخذه، لم تكن تريد ماله، كانت تريد حبه وحنانه اللذين لم تحصل عليهما أبدا.

درست جنات في أحد المعاهد وتخرجت بامتياز، وفي يوم تخرجها دق جرس الباب، واستغربت والدتها فمن النادر أن يزورهما أحد، وفتحت الباب لتفاجأ بوالدها أمامها! وفرحت... رغم كل شيء، وعانقته، وأخبرته بتخرجها، أنساها فرحها بقدومه ولو لبرهة كل جفائه معها، وكأنه عاش معها لسنوات، وكانت أمها أيضا سعيدة بهذه الزيارة.

وبدأ الأب حديثه، لقد جاء يعرض على ابنته التي تذكرها للتو الزواج من ابن أخيه!

واستغربت الأم وسألته: ولِمَ لا يتزوج من إحدى بناتك الأخريات؟

فقال الأب بحدة: ابنتي الكبرى هند تكبره في العمر، هتاف متزوجة، أما هبة فقد عقد قرانها على زميلها في الجامعة منذ عام، وأختك هالة مخطوبة، لم يبق غيرك، وهذا ابن أخي الكبير ذو الفضل عليّ، فهو الذي أسس الشركة معي، وبعد وفاته أصبح هجرس شريكي ولا أستطيع أن أرد طلبه بمصاهرتي.

لقد كان هجرس يملك الحصة الكبرى في الشركة ولطالما كان أكثر ثراء ونفوذا من الأب.

واندفعت الأم تقول: وهنا فقط تذكرت ابنتك بعد كل تلك السنين؟

وحدجها الأب بنظرة غاضبة وقال: لم أنسها ولم أقصر معها ولا معك... لقد كلفتماني أموالا كثيرة.

ولم تنطق جنات... كل ما لفت نظرها أن جميع أخواتها تبدأ أسماؤهم بحرف الهاء ما عداها، ليته أسماها مثلهن، لكنها مختلفة وقطعا ليست مثلهن، وتنهدت حتى أخاها الوحيد اسمه هيثم... هي فقط اسمها يبدأ بحرف الجيم.

وعاد الأب يسألها بحنان مصطنع: ماذا تقولين يا ابنتي؟ ما هو رأيك؟ إنه شاب طموح وغني، بل فاحش الثراء وهو ذكي... ولولا صفاته ماكنت وافقت عليه.

وصمتت جنات... لعل هذا الزواج هو بوابتها لتدخل عالم

أهلها، لتصبح فردا منهم، لتنعم بانتمائها لعائلتها الكبيرة.

وبلا تردد قالت: لا مانع لدي يا أبي.

حتى أمها لم تعترض على تسرعها... وكاد والدها أن يطير فرحا بموافقتها السريعة.

وسارت الإجراءات بسرعة، ففي اليوم التالي حضر هجرس مع أبيها لتراه لأول مرة، وصعقت! إنه دميم الشكل، لم تتخيل أن يكون بهذه القباحة!

وظهرت صدمتها على وجهها وهمس والدها: الرجل ليس بمظهره ولا يعيبه سوى جيبه!

لم تستطع الرد عليه! ووالدتها أيضا مصدومة، وبمجرد رحيلهما انهارت أمها باكية وهي تندب حظها: لهذا اختارك له دوناً عن بناته... إنه وحش مخيف لا تتزوجيه يا ابنتي، ليذهب والدك إلى الجحيم!

لكنها كانت مثل المنومة مغناطيسيا، لم يردها شكله، ولم ترفضه، لقد خدعها طموحها ورغبتها في الانضمام إلى عائلتها، ودفعها تفكيرها إلى القبول، وأخذت تقنع نفسها.. أن شكله غير مهم، المهم أن يكون طيبا معها.

وأبلغت والدها بالموافقة ولأول مرة تُقابل أخاها هيثم، حضر أخوها مع والدها يوم عقد القران، وأحبت هيثم منذ رأته، كان متوسط الطول، نحيف الجسد، وجهه بيضاوي

هادئ ونظرته حزينة، ولامس حزنه قلبها وتمنت أن ترتمي في أحضانه لتبكي كل دموعها وحيرتها، ومد يده يصافحها بإحراج، والتقت كفه بكفها، ها هو أخوها، إلى جوارها لأول مرة، واطمأن قلبها، لا يمكن أن يكون قرارها بالزواج من هجرس خاطئا... ووالدها سعيد بها، ومهرها كبير وشبكتها أكبر، وتزوجت هجرس بلا عرس، ولأول مرة ستفارق أمها... وبكت قبل خروجها... وأمها تبكي أكثر، وهجرس واقف ينتظرها دون أن يظهر تعاطفه... ورحلت جنات إلى بيتها في تلك الليلة.

وانتفضت جنات في سريرها وهي تتذكر ليلة زواجها، كم كان زوجها فظا معها... كان قاسيا وعنيفا، لم يقل لها كلمة حلوة ولم يظهر لها أية عاطفة، ومرت عليها أيام طويلة معه قبل أن يعود إلى عمله، أيام ثقيلة متعبة، كأنها في كابوس لا ينتهي ويوم قرر أن يعود إلى عمله في الشركة شعرت ببعض الضوء يتسلل إلى ظلمة قلبها.

ومرت الأيام ولا أحد من أهلها يسأل عنها سوى أمها، لم تتعرف على أخواتها البنات، وحتى هيثم لم يسأل عنها ولم يزرها والدها أيضا، وجدت نفسها فجأة كأميرة سجينة في قصر كبير مع وحش مخيف، ومع الوقت بدأت تسأم حياتها وطلبت من هجرس أن يسمح لها بالعمل، ولم يعترض، كانت

بالنسبة إليه كدمية جميلة اشتراها ليلهو بها وقتما يشاء، ولم يكن يهتم حقا لما تريده أو تتمناه، وسعى لتوظيفها في شركة خاصة بالاتصالات يملك حصة كبيرة من أسهمها، وساعدها العمل على تغيير نفسيتها، وفي الحقيقة كان مديرها يحاول أن لا يثقل عليها، كانت موظفة مدللة، كيف لا وزوجها مساهم كبير في الشركة.

ومرت الأيام متشابهة إلى أن اكتشفت بالصدفة أن هجرس يخونها! سمعته يتحدث مع امرأة بالهاتف... امرأة رخيصة من نوع خاص! وفهمت أن زوجها يعيش حياة لاهية عابثة غير عابئ بها أو بمشاعرها يا للمصيبة... أيعقل أن يخونها وهي بكل هذا الجمال! ماذا ينقصها! لماذا يخونها! وواجهته... وقابل ثورتها باستهتار ووقاحة وهو يقول: أنا رجل أفعل ما أريد! وصرخت في وجهه: أنا لست جارية اشتريتها بمالك.

ولمعت عيناه الكريهتان وفجأة صفعها بكل قوته فوقعت على الأرض وهو يقول: اسمعي... لا أريد أن أسمع منك أي كلمة لا تعجبني... كوني مؤدبة معي وإلا قمت بتأديبك.

وصرخت: أنت من ينقصه الأدب.

وصفعها صفعة أخرى بل صفعات كثيرة... وهربت منه، لجأت إلى أمها، واتصلت أمها بأبيها، وثار أبوها... عليها!

وجاء ليعيدها إلى زوجها كي تعتذر منه، شيء غريب

أحسته وقتها، كأن أباها يخاف من هجرس! وعادت إليه كسيرة النفس، وأمها تبكي.

وتوالت المشاكل، واستمرأ هجرس ضربها بسبب أو بلا سبب... وأخيرا اتخذت قرارها... لا تريد هذا الوحش في حياتها ولا تريد قرب أبيها، ولتذهب عائلتها كلها إلى الجحيم... وهربت إلى أمها، وقد أقسمت أن لا تعود... واتصلت هذه المرة بأخيها، ورجته أن يقف إلى جوارها، وعندما حاول والدها التدخل حبست نفسها في غرفتها وأصرت أن لا تراه... وفعلا لم تره من يومها... من يوم جاءها أخوها هيثم بورقة طلاقها... منذ عام كامل.

(3)
هند

جلست السيدة خالدة زوجة السيد عبدالوهاب في صالة المعيشة... بدت ضخمة الجسد، تعلو وجهها ملامح صارمة، وكل حركاتها تدل على قوة شخصيتها.

لقد تزوجت عبد الوهاب بعد قصة حب جارفة، وتحدت أهلها لأجله، ورغم أنه طوع يديها إلا أنها لم تنس أبدا أنه خانها وتزوج عليها بعد أن أنجبت ابنتها الرابعة هبة، تكاد تختنق ضيقا كلما تذكرت تلك الحادثة ورغم مضي سنوات طويلة عليها، إلا أنها لا تزال تغلي غضبا كلما تذكرت فعلته.

وتنهدت الأم وهي تنظر نحو ابنتها هند... كانت هند في السادسة والثلاثين من عمرها، تميل إلى القصر، لم تكن جميلة، ولم تكن دميمة، وجهها مألوف وعادي... شعرها الخشن ورثته عن أبيها، وجسدها مكتنز بسمنة مقبولة... إن هند هي نقطة ضعف أمها... إنها تشفق عليها لأنها لم تتزوج، تقدم لها بعض الخطاب لكن النصيب لم يحدث أبدا... وعادت الأم تنظر إليها بحسرة وهي جالسة أمامها تقرأ إحدى المجلات... لماذا لم تتزوج هند حتى الآن؟ لا

شيء ينقصها، إنها معلمة في مدرسة حكومية، ووالدها رجل أعمال مشهور، وعائلتها كبيرة.

وفجأة تركت هند المجلة وقالت: سمعت هالة تحادث علاء البارحة حتى الفجر، لا يجب أن تحادثه كل هذا الوقت.

وقالت الأم بلين: إنه خطيبها.

ردت هند: ولو... ليست زوجته بعد، كلام الحب هذا من طبع الأجانب أين الحياء يا أمي؟

لقد اعتادت الأم على تعليقات هند التي لا تنتهي... لقد اكتسبت خصلة سيئة لم تكن الأم ترى خطورتها، اعتادت هند على التجسس ونقل الأخبار ووجدت في أمها آذانا صاغية لكل ما تقوله، ربما لشفقة الأم عليها وضعفها أمامها، وأدت تلك الطباع في هند إلى نفور أخواتها منها، كانت تتسبب لهن بالكثير من المشكلات.. فتحاشين الجلوس معها أو الحديث في شؤونهن الخاصة أمامها.. وكذلك زميلاتها في المدرسة، كن يتحاشينها، فهي مقربة إلى الناظرة ولطالما فتنت عليهن عندها ونقلت لها كل ما يدور بينهن فكرهنها.. لكن هند ظلت كما هي.. فأصبحت كالشجرة ذات الأفرع الهوجاء التي تظل تنمو بعشوائية وتمتد فروعها في جميع الاتجاهات... بلا تقليم أو تسوية.

(4)
هتاف

التفتت هتاف نحو الصوت الذي يناديها متسائلة، فوجدت صالح أمامها وهو يسألها: هل أنت خارجة؟ فقالت له: نعم، لقد استأذنت للتو...

وتركته واقفا يحدق فيها... بإعجاب...

كانت جميلة على نحو لا يصدق... جمال رائع... إنها أجمل أخواتها، قوامها معتدل وشعرها طويل يكاد يغطي ظهرها، شعر أسود لامع... وعيونها سوداء تتناغم مع سواد شعرها وصفاء بشرتها.

وخطت مسرعة خارج مقر عملها وركبت في المقعد الخلفي لسيارة يقودها السائق... إن قلبها مقبوض على نحو فظيع لكنها يجب أن تراه...

ووصلت إلى المستشفى الحكومي الضخم وحاول السائق أن يجد موقفا للسيارة، فتركته يبحث ونزلت إلى الشارع، ودخلت المستشفى بخطوات ثابتة، اتجهت نحو المصعد... وضغطت على الزر بطريقة آلية، وفي قسم العناية المركزة استبدلت ثيابها بملابس خاصة... لتتمكن من الدخول إليه... إلى نبيل... زوجها.

ومشت نحوه... وعندما وصلت إليه انهمرت دموعها، ككل مرة، بحرقة وألم... ومدت يدها لتلمس يده وانحنت تقبلها... وهمست في أذنه: اليوم... عيد زواجنا، ولم تتمالك نفسها فبكت بصوت مسموع... وبالكاد كتمت نشيجها... ونظرت إليه وهو بين الأجهزة المعقدة المحيطة به، إنه زوجها... وحبيبهاالذي فقدته منذ خمس سنوات، خمس سنوات كاملة وهو في غيبوبة... بسببها!

تزوجته عن حب، حب كبير رائع، كالحلم، كان عرسها حديث الناس وقتها، كانا زوجين جميلين ومنسجمين كأنهما خلقا لبعضهما البعض.

مازالت تذكر أيامهما الأولى معا، كانت أسعد امرأة في العالم، ونبيل يحيطها بحبه وعطفه وعادت من شهر العسل حاملا... وطوال حملها ونبيل يدللها كطفلة صغيرة، ما أجمل تلك الأيام، كم كانت لحظات غالية لا تعوض، وعندما أنجبت صغيرها فواز شعرت أن الدنيا أعطتها كل ما تريد وأكثر، إلى أن جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي غير حياتها إلى الأبد...

في ذلك اليوم اشترى لها نبيل سيارة جديدة هدية ولادتها وأصر على أن يركبا معا في جولة قصيرة وقادت السيارة بنفسها، يد على المقود ويدها الأخرى في يده... وخرجا إلى الشارع العام، وكلاهما سعيد وفجأة خرجت سيارة مسرعة

من أحد الشوارع الجانبية، سيارة يقودها شاب مستهتر كان تحت تأثير الشراب كما تبين فيما بعد.

ولم تستطع هتاف تفاديه، واصطدم الشاب بسيارتها بقوة... والسيارة تدور وصرخت وهتف فيها نبيل: لا تخافي... وكانت تلك آخر كلماته إليها، فبعد أن فتحت عينيها بعد تلك اللحظات الرهيبة كانت هي في سرير المستشفى ونبيل في العناية المركزة في غيبوبة.

خمس سنوات مضت وهي تنتظر عودته إلى هذه الدنيا... تنتظر إشارة أمل تتراقص في صدرها، عله يتحرك أو يظهر بادرة بعودته إليها وإلى ابنه، وانحنت ثانية تقبل يده وتقول: أرجوك عد إليّ...

ومنذ الحادث أقسمت هتاف أن لا تقود أي سيارة من جديد... لقد حمّلت نفسها ذنب الحادث، وشعورها بالذنب حطمها وعذبها طويلا، تشعر أنها السبب فيما حدث، ليتها لم تقد تلك السيارة المشؤومة، ودفعها هذا الشعور الفظيع إلى الكثير من التضحيات... فمنذ الحادث لاتزال تعيش بين أهل زوجها... في منزلهم في جناح نبيل كما كانت قبل الحادث.

وتحملت معاناتها بعيدا عن أهلها، لطالما طلبت منها أمها أن تنتقل لتعيش في منزل أبيها حتى يتعافى زوجها، لكنها لم

تستطع أن تحرم والدة نبيل من فواز، يكفي أنها حرمتها من نبيل نفسه، وتسببت بقلة خبرتها في قيادة السيارات بذلك الحادث المخيف، فكيف تحرمها من ابنه، هكذا كانت هتاف تفكر، ومضت ساعة على جلوسها إلى جوار نبيل، وأخيرا قامت متثاقلة لترحل، ونظرت إليه نظرة حزينة وقالت: مازلت انتظرك... وسأنتظرك العمر كله... وسارت في اتجاه المرضة وقبل أن تسأل هزت المرضة رأسها نفيا... لا تحسن في حالته... لم يتحرك بعد... ومازال يعيش على الأجهزة.

وخرجت هتاف إلى دنياها الحزينة.

وركبت مع السائق ووصلت البيت، كان بيتا ضخما من الحجر الأبيض، وفتحت الباب بالمفتاح فإذا بسهيل أمامها... وللحظة انخلع قلبها... وهزت رأسها كأنها تطرد عن نفسها ذلك الوهم الذي تراءى لها إنه ليس نبيل... قطعا ليس هو... لكن ذلك الشبه الرهيب يربكها ويعذبها... ككل شيء في هذا البيت... إنه أخوه التوأم... نسخة كاملة عنه، ما عدا نبرة الصوت... فيها اختلاف طفيف يصعب على الأغراب تمييزه... لكنها ليست غريبة عنه... بل هي أقرب إليه مما يجب... وأقرب إلى زوجته شادن من أي شخص آخر...

وابتسم سهيل في وجهها وقال: الجميع ينتظرك على

الغداء.

فسألته: وأنت؟

فأجاب: لدي موعد مهم... مع السلامة.

وغاب عن ناظريها وغاب معه طيف نبيل الذي تراءى لها حيًّا من جديد.

ودخلت إلى غرفة الطعام، كانت والدة نبيل جالسة على رأس المائدة.. سيدة صلبة تظهر القسوة في ملامح وجهها وبجوارها حفيدها فواز الذي يكاد لا يفارق جدته والتي تفسده بدلالها، وقفز الطفل نحو أمه ليقبلها واحتضنته بحب وفجأة شعرت برغبة في البكاء وكأنما شعرت الجدة بذلك فسحبت الطفل برفق من بين أحضانها وربتت على كتف هتاف... فالجميع يعرف أنها تعود من زيارة نبيل في هذا الوقت...

(5)
هالة

جلست هالة في سريرها والهاتف إلى جوارها وهي تنظر إليه كأنها ترجوه... كانت فتاة نحيلة في الرابعة والعشرين من عمرها، وجهها نحيل وعيناها واسعتان هادئتان وشعرها ينسدل إلى أسفل كتفيها بنعومة ورقة، ورغم أن أختها هبة تصغرها بسنتين إلا أن هالة تبدو الأصغر بين أخواتها، حتى عندما خطبت هبة قبلها وعقد قرانها، لم يتذكر أحد أن هالة هي الأكبر، فهدوؤها ورقتها جعلاها تبدو وكأنها صبية في الخامسة عشرة من عمرها، ولعل أكثر ما يميز هالة هو صوتها، كان صوتها رقيقا ناعما... صوت جميل... يكفي أن تسمعه مرة لتتذكر صاحبته إلى الأبد...

ورن جرس الهاتف أخيرا فأجابت بصوتها المميز: ألو؟

وجاءها صوته: هل نمت؟

وابتسمت وهي تقول: كيف أنام قبل أن أسمع صوتك؟

وابتسم عماد وكأنه يتخيلها أمامه وقال: كان يوما متعبا في العمل... ذلك العمل الذي أكرهه.

كان عماد مهندسا... لكنه يكره الهندسة... درسها فقط إرضاء لوالده الذي تمناه مهندسا... وهو يعمل في شركة

محترمة، لكنه غير راض عن عمله، ليس سعيدا... إن سعادته في مجال آخر... سعادته في الكتابة... أجل إنه يكتب الخواطر منذ كان مراهقا، ثم بدأ في الجامعة يكتب مقالات تنشرها مجلة الجامعة بانتظام، ثم تطورت موهبته إلى كتابة القصص القصيرة، ولديه مجموعة جاهزة للطبع... لكنه لم يقدم بعد على طباعتها، مازال مترددا في الدخول إلى عالم القلم.

وكانت هالة زميلته في الجامعة، ومنذ وقعت عيناه عليها عرف أنها فتاة أحلامه، إنها أشبه بالملاك، رقيقة وهادئة كأنها من عالم آخر، تمشي وكأنها تخطو فوق السحاب، وببساطة وجد نفسه يتقرب منها ومع الوقت وجد نفسه يتعلق بها ثم اكتشفت أنه يحبها، واكتشفت هي أيضا أنها تحبه، أحبت تمرده وجنونه، تعاليه وغروره، أحبت فيه قوة جسده وذكاءه المطل من عينيه، إنه على النقيض منها، قوته ونحولها، تمرده وهدوؤها، جنونه وتعقلها، تعاليه وتواضعها، وغروره وبساطتها.

لعل كلا منهما وجد في الآخر ما يكمل نقصه، وتخرج عماد معها، فهما في نفس الدفعة، وعملت هي في وظيفة حكومية، ثم تقدم لخطبتها، فعل ذلك بلا مقدمات بعد أن انحرم من رؤيتها كل يوم في الجامعة، لا يستطيع أن يبتعد عنها، وفرحت

عائلة هالة به، فهو شاب كريم الأصل، ومن أسرة عريقة وتم الاتفاق على عقد القران بعد عام من الخطبة، عماد هو من طلب ذلك، ولم تعترض هالة، ولم تسأله عن السبب، فهي تعرف أنه لها... مطمئنة من مكانتها عنده ومتأكدة أن سبب التأجيل يكمن في صراعه النفسي بين الهندسة والكتابة، مازال حائرا بين ما فرضه عليه الواقع وبين ما يحلم به من الداخل.

واتخذت هالة دائما موقفا مشجعا له، ومازالت تذكرتلك الليلة التي أصر فيها أن يراها بعد منتصف الليل ليعطيها مجموعته القصصية... كان قد أنهاها للتو، واتصل بها في الثانية فجرا... وأجابت على الهاتف بسرعة، فهي دائما تنام والهاتف إلى جوارها... كأنها تستعد لما تفرضه حالات الطوارئ في مزاج عماد عليها، كان يصرخ يومها بأنه أنهى كتابه... وفرحت لأجله، وصمم أن يأتي ليعطيها الكتاب... وجزعت! كيف يأتي الآن... لكنه مصر... وهي تعرف إصراره... ووافقت ووصل إلى بوابة المنزل ونزلت إليه وهي ترتجف بانفعالها، وفتحت الباب وابتسمت بحنان وهي ترى حالته... شعره مشعث فوق رأسه وقد خرج إليها بلباس النوم، وأخذت منه الورق بسرعة، وصعدت إلى غرفتها، وجلست تقرأ ما خطته أصابع حبيبها ورجلُها... وانتهت في

العاشرة صباحا، لم تنم طوال الليل... واتصلت به وقالت بمجرد أن أجابها: أنت مبدع... حقا لقد تفاجأت بجمال أسلوبه وسلاسته، إنه موهوب... وحرام أن يحرم نفسه من التمتع بموهبته وإظهارها للآخرين، إن مستقبلا مشرقا ينتظره، ومن يومها وهي تشجعه على أن ينشر كتابه، لكنه اتخذ موقفا غريبا... إنه غير واثق من نجاحه، ورغم أن رأيها هو الأهم لديه إلا أنه عنيد على نحو لا يصدق، وتحملت هي عناده غير المبرر، إنها تحتويه كطفل صغير وتحبه في كل أحواله وتدعمه مهما تاه في دروب الحياة.

وفي تلك الليلة قال عماد: هالة لقد قررت أن أبدأ بطباعة كتابي.

وقفزت هالة في سريرها وهتفت: رائع... هذا أجمل خبر سمعته.

وقال بحماس: سأهدي الكتاب إليك... سأكتب الإهداء إلى (هـ) من الناس.

وضحكت قائلة: هذا يشرفني... عماد أرجوك ثق في موهبتك وستنجح بالتأكيد وسترى.

عماد: غدا آخذ الكتاب إلى المطبعة... حتى وإن لم أثق في موهبتي فأنا أثق في رأيك أنتِ، وهذا يكفيني حتى وإن لم ينجح الكتاب.

فقالت هالة بصوتها الجميل: سينجح الكتاب... وستصبح مشهورا جدا... وسأذكرك بذلك قريبا.

سأجعل قلبي لك حضناً يحميك
وها أنا أمامك والدنيا تجفيك
قلبٌ يرضى بكل الظلم منك ويفديك

(6)
هبة

طرقت هبة الباب ثم دخلت قائلة: طلبتني حضرتك؟

فابتسم مديرها وهو يدعوها إلى الجلوس.

كانت هبة قد تعينت في هذه الشركة الاستثمارية الكبرى في قسم التسويق منذ ستة أشهر... ومنذ بدأت العمل ومديرها يعلق آمالا كبيرة عليها، إن الذكاء يطل من عينيها، ناهيك عن اسم عائلتها الرنان وعن تفوقها الدراسي... كل تلك المزايا في مقابل جاذبيتها الرائعة، كانت طويلة القامة، حنطية البشرة، شعرها ناعما قصيرا، وعيناها لوزيتين برموش كثيفة، وفمها كبيرا بعض الشيء لكنه متناسب مع وجهها، لم تكن باهرة الجمال، لكنها جذابة جدا وفاتنة.

وجلست هبة أمامه وهي تركز فيما يقوله مديرها، إنه يطلب منها أن تذهب في زيارة عمل لشخصية هامة... يريدها أن تعرض على ذلك الرجل المشهور أن يستثمر في محفظة جديدة تديرها الشركة.

وأخذ المدير يشرح لها أهمية دخول هذا المستثمر في المحفظة، وهبة تدون الملاحظات.

وأخيرا قال المدير: لولا ثقتي فيك ما كنت طلبت منك

الذهاب... أنا متأكد أنك ستقنعينه وعندها ستكون مكافأتك كبيرة عندي...

وصمت المدير وهو يلحظ ابتسامة هبة، ثم أردف قائلا: لقد حاول عبد اللطيف أن يأخذ هذا الزبون لكني أصررت أن يكون لك.

واتسعت ابتسامتها أكثر وهي تتخيل وجه زميلها عبداللطيف الذي يغار منها ويحاربها علنا بطريقة مكشوفة، إنه أقدم منها في العمل لكنها سبقته بمحطات... فقد استطاعت خلال فترة عملها القصيرة أن تستقطب أكثر الزبائن أهمية إلى الاستثمار في الشركة مما جعل مديرها يفضلها عليه ويشيد بها صراحة أمامه مما أثار عداوة عبداللطيف لها.

وقامت واقفة وهي تعد مديرها خيرا... وخرجت من مكتبه وبمجرد وصولها إلى مكتبها انهارت ابتسامتها وقطبت جبينها وجلست على مقعدها كأنها ترمي بنفسها عليه.

وأخذت تفكر... كيف ستقنع طارق أنها يجب أن تذهب إلى ذلك الرجل المهم... كيف تجعله يفهم طبيعة عملها... مازالت تذكر كيف تأزمت الأمور معه عندما كانت في زيارة عمل إلى أحد رجال الأعمال آخر مرة... كاد أن يجن... يتخيل أن ذهابها فيه انتقاص من قدرها، يشعر أنهاتعرض نفسها على هؤلاء الزبائن كما تعرض عليهم الفرص الاستثمارية التي

تقدمها الشركة، وسئمت وهي تشرح له أنها تعمل في قسم التسويق،وأن عملهايتطلب منها تلك الزيارات، وأن أغلب هؤلاء الرجال من علية القوم، وفي عمر أبيها، وحتى الشبان منهم لم يحاول أحدهم مغازلتها، لكنه لم يستوعب كل ذلك.

يرفض أن تذهب زوجته إلى الرجال كما يقول... وتنهدت وهي تمد يدها لتتأمل دبلته التي تزين إصبعها... لقد أحبته في الجامعة... وهو يدرس الاقتصاد وهي تدرس التسويق، وهما في عمر واحد، أحبت قوة شخصيته وعناده، شهامته وغيرته... لكن هذه الغيرة بدأت تخنقها الآن... وفي عام التخرج تقدم طارق لخطبتها... ووافق أهلها... لم يكن هناك سبب ليرفضوه... صحيح أن عائلته أقل مستوى من عائلتها، لكن والدها أعجب به، إن له شخصية آسرة وقدرة عجيبة في التأثير على الآخرين... كان طويل القامة، أسمر البشرة، صوته عميقا... ويحفظ الكثير من الأمثال والأشعار، إن له أسلوبا غريبا... تشعر وكأنه يسرقك من نفسك... وفعلا لقد سرقها من نفسها، سرق منها قلبها ومشاعرها ووجدت نفسها تحبه وتقبل خطبته ثم عقد القران بعد التخرج على أن يتم زواجهما بعد أن يجدا الوظيفة الملائمة لكل منهما، وبعد فترة عمل هو في شركة للنفط وعملت هي في هذه الشركة الاستثمارية الكبيرة، لقد فرحت كثيرا بعملها...

وتفانت بـه... لكن طـارق لم يفرح وظل متبرما من طبيعة عملها... وفي آخر خصام حصل بينهما أخبرها أنه يريدها أن تترك هذه الوظيفة ورفضت هي وقطع تأملاتها رنين هاتفها النقال... إنه هو... وأجابت بسرعة: ألو؟

وجاءها صوته العميق الذي تحبه: مشغولة؟

وتنهدت قائلة: لماذا تسأل؟

فقال: أنا بجوار الشركة... فكرت أن آخذك لتري الشقة التي أخبرتك عنها... إنها قريبة من هنا.

وترددت قليلا ثم قالت: حسنا... سآتي معك سأستأذن الآن من المدير.

وقامت بسرعة لتستأذن، ووافق المدير بسهولة، يكاد لا يرد لها طلبا... وعبداللطيف يرمقها من بعيد بحقد، ونزلت مسرعة وركبت مع طارق... وبمجرد جلوسها مد يده واحتضن يدها... إنه يحتضن يدها دائما وهي إلى جواره... وأحست فجأة كم تحبه، والتفت إليها وقال: ما بك؟ تبدين متوترة؟ إنه يستطيع قراءة وجهها بمجرد أن يراها، وهزت رأسها وقالت: لا شيء... هيا يا طارق بسرعة... لا أريد أن أتأخر.

ووصلا إلى عمارة كبيرة حديثة البناء... واستقبلهما الحارس بترحيب وصعدا إلى شقة في الدور الثاني... شقة رائعة بثلاث غرف، وأخذا يتجولان في الشقة... والتفتت هبة

نحوه وهي تقول بحماس: أظننا وجدناها أخيرا... جديدة وكبيرة وقريبة من عملي.

وابتسم طارق وقال: لهذا أتيت إليك بهذه السرعة، يجب أن نتزوج سريعا... مضى عام على عقد قراننا... لا داعي للانتظار أكثر... ها نحن قد تخرجنا واشتغلنا وأظن الشقة مناسبة، لنتوكل على الله ولنوقع العقد.

وفوجئت هبة: الآن؟

فقال: طبعا... أم تريدننا أن ننتظر لتضيع منا هذه الشقة كما حدث معنا آخر مرة؟

وصمتت هبة... وشعور بالخوف يتملكها، كأنها تخاف من حياتها الجديدة... وأومأت برأسها وهي تهرب بعينيها منه، وسبقت طارق إلى سيارته وبقي هو ليتفق مع الحارس، ولحق بها وهو يقول: اتفقت معه غدا صباحا ستكون الأوراق جاهزة وسأوقع العقد معه، ثم نبدأ باختيار الأثاث على الفور، سأطلب من أمي أن تحادث أمك على تفاصيل حفل زواجنا... ما رأيك؟

وابتسمت: كما تريد.

وفجأة قالت باندفاع وكأن الكلمات تخرج رغما عنها: طارق... لقد كلفني المدير بعرض جديد، شخصية هامة وستتوقف عليها أمور كثيرة.

وفجأة انحرف طارق بالسيارة على طريق جانبي وأطفأ المحرك والتفت بكل جسمه نحوها وقال بحدة: أظن أننا تكلمنا في هذا الموضوع ألف مرة.

فقالت بصبر: إنه عملي... طموحي ومستقبلي يجب أن تفهم.

وقاطعها صارخا: أفهم ماذا؟ لست بحاجة لهكذا عمل، لا أسمح أن تصبح زوجتي سلعة رخيصة، مجرد دمية لجذب المستثمرين، مديرك هذا لا أخلاق له.

وصرخت هبة: ما هذا الكلام، هكذا هي طبيعة عملي، نحن شركة محترمة لها صيتها وسمعتها في السوق، كيف تفكر هكذا بالله عليك؟!

وعاد طارق يصرخ: اسمعي يا هبة لقد أخبرتك رأيي إما أن تتركي هذا العمل المبتذل أو أن تنتقلي إلى قسم آخر... أما أن تخرجي لتدوري على رجال الأعمال الأثرياء فهذا مرفوض تماما... هل تفهمين؟

واستمر النقاش... ككل مرة منذ عملت هبة في تلك الشركة... الاستثمارية!

(7)
هيثم

جلس هيثم أمام لوحة من لوحاته... إنه يهوى الرسم منذ نعومة أظفاره... بدا هادئا على نحو عجيب وهو يتأمل ألوان اللوحة أمامه... لوحة جميلة جدا تعكس مظهر الشاطئ... ومياه زرقاء صافية تختلط بالرمال الذهبية... وفتاة لا يظهر سوى ظهرها وشعرها المنسدل خلفها وقد رفعت ثوبها ونصف ساقيها مغمورتان في الماء.

منذ ولد هيثم وهو يعيش مشاعر غريبة، يشعر أنه لا ينتمي إلى عالم الواقع، منذ وعى على الدنيا وهو يحس أن كل من حوله يعلقون آمالهم عليه، لايزال يذكر كلمات والده بأنه ولي العهد، وحامل اسمه من بعده، وكلمات والدته بأنه الولد والسند، وهوالذي سيشرِّف الأسرة ويرفع اسمها عاليا... كل ذلك وهو لا يعي كيف يكون ولي العهد وحامل الاسم والسند والمشرف والمنقذ... إلى آخر تلك التسميات!

كل ما كان يحسه أنه بعيد عن أفراد عائلته... بعيد عن والده ووالدته وبعيد كل البعد أيضا عن أخواته البنات... أخته هند تكبره بأكثر من ستة عشر عاما... وهي لا تعجبه بطبعها الفضولي الذي لا يطاق، وأخته هتاف غارقة في أحزانها...

حتى أنه لا يذكر حالها قبل ذلك الحادث الفظيع الذي حطم حياتها... أما هالة فقد تكون الأقرب إليه بهدوئها وانطوائها وهو يحبها أكثر من الآخرين، لكنه لا يحب خطيبها عماد ذلك المغرور المتعجرف الذي لا يستحقها، ومقته لخطيبها تحول إلى غضب مكبوت منها،فابتعد عنها.

وهبة التي لا تفكر سوى في طارق ثم أصبحت لا تفكر إلا في عملها... أمر آخر كان يحمله لهبة... وإن كان يكره الاعتراف به لنفسه... إنه يغار منها! أجل....

فهي تحمل طموح عشرة رجال، وهي ذكية... وناجحة ووالده دائما يطريها أمامه... هي المتفوقة وهو المتوسط، هي الذكية وهو الخائب الذي لا يفكر سوى في الرسم، هي التي تعمل في أكبر شركات الكويت، وهو الذي تخرج بالكاد من معهد خاص بالرسم، ولا يزال لا يعمل.

إنه يريد أن يرسم... عالمه هو الفن، يحلم بإقامة معرض ضخم يضم لوحاته الغالية... ووالده يراه عاطلا وبلا فائدة... ويظل يندب حظه طوال الوقت أن الولد الذي طالما انتظر قدومه، لا يستطيع تحقيق آماله أو العمل معه... ليته كان مثل هجرس!

وانقبض قلب هيثم وتعكر صفوه وهو يتذكر ابن عمه... كم يكرهه... ذلك الوصولي الأناني... إنه أشد الناس خسة

في نظره... إنسان بلا مبادئ ولا أخلاق، منحل وسافل... وانقبض قلبه أكثر وهو يتذكر جنات... أخته من أبيه التي لم يعرف عنها شيئا إلا عندما قرر والده تزويجها لهجرس اللعين.

كم يتعذب وهو يتذكر أنه كان شاهدا على زواجها، ذلك الزواج كان بمثابة خدعة كبيرة وجريمة فظيعة في حق أخته، فهو لم يسعدها قط... وتعدى عليها بالإهانات، مازال قلبه يتقطع كلما تذكرها وهي ترجوه أن يخلصها منه... يذكر أنه ذهب إليه في بيته، كانت المرة الأولى التي يدخل بيته، وظل ينتظره طويلا حتى تكرم ونزل إليه، كان ينزل على الدرج وهو في الأسفل ينظر إليه وقد صحا للتو من قيلولته... يالبشاعته، إنه مسخ... وقال هجرس باستكبار قبل أن يصل إليه: أنت هنا يا ولد؟

وابتلع هيثم الإهانة وتمنى أن يردها إليه... فالرجولة مواقف، وصفة الولد هو أولى بها منه، لكنه آثر الصمت، أو بالأخص جبن عن الرد عليه، ووصل هجرس إليه فجلس على أريكة كبيرة وأشعل سيجارا ذا رائحة كريهة كرائحته وقال: لِمَ أنت هنا؟

وظل هيثم واقفا وقال: جئت لأن أختي أرسلتني إليك.

ورفع هجرس حاجبيه: أي أخت؟

وصدم هيثم من رده فقال باستنكار: جنات!
فضحك هجرس ضحكة كبيرة ذكرت هيثم بضحكات النساء... وقال: صحيح هي أختك... منذ متى عرفتها؟
فقاطعه هيثم وقال كأنه يصفعه: هي تكرهك وتطلب الطلاق منك.
فهب هجرس واقفا وقرب وجهه من وجه هيثم وقال: وأنا أيضا أكرهها... تلك الحمقاء الغبية، الحق عليّ أنني وافقت على الزواج بها، لن أسامح أباك أنه خدعني فيها... قليلة التربية.
وقال هيثم بحدة: لا تتكلم عنها بسوء... فهي أختي رغم كل شيء... والأفضل أن تطلقها بهدوء.
فرفع هجرس رأسه بكبرياء وقال: دع هذه الأمور للكبار يا ولد، وأخبر أباك أن يأتي إليّ.
وغضب هيثم: أنا لست بولد... أنا رجل... وأختي لجأت إليّ لأتدخل ولن أرد رجاءها.
فقال هجرس: وماذا ستفعل؟ سترغمني على طلاقها؟ هاهاها حسناً لن أخذلك... لا أريد إحراجك يا ولد... أخبرها أنها طالق مني... بلا أسف وبكل سرور.
وانتفض هيثم من مكانه وهو يتذكر تلك اللحظات القاسية... والتقط هاتفه النقال... وبحث عن رقمها

ووجده... رقم جنات... كم تمنى أن يتصل ليسأل عنها... يشعر أنه مقصر نحوها، المسكينة منذ طلاقها ووالده يلعنها باستمرار، لايزال يذكر كم كان والده ذليلا وهو يعتذر من هجرس عن تصرفات ابنته! ولايزال يذكر كم لامه والده على تدخله في الموضوع... والتزم هو الصمت... لم يستطع أن يقول لوالده رأيه في هجرس أو أن يقف في صف أخته علانية أو أن يخبره أن ما فعله لأجلها هو الأمر الوحيد في حياته الذي يشعر بالفخر حياله كلما تذكره.

والهاتف لايزال في يده... لكن إصبعه يعجز عن ضغط زر الاتصال... إنه ضعيف لدرجة أنه لا يقوى حتى على ضغط زر صغير... ليوصله إلى عالم أخته في وحدتها.

(8)
جنات

جلس راشد على مقعده أمامها... ينتظر دوره... إنه يأتي لدفع مكالماته بنفسه كل شهر لأجلها... لأجل أن يراها... ويتأمل وجهها الحبيب... ورغم أنه غير مضطر للقدوم لدفع فاتورة مكالماته فهو يستطيع دفعها بطرق كثيرة دون الحاجة لأن يتحرك من مكانه... لكنه ينتظر هذه الفرصة ليراها... منذ رآها وهو لا يكف عن التفكير بها... لقد انبهر بها... أحبها منذ أول نظرة، أجل إنه يؤمن بذلك... ويصر على الانتظار حتى يصل إليها لتنجز معاملته دونا عن غيرها.

ورفعت جنات رأسها والتقت بعينيه وأطرقت خجلا، إنها تعرف مدى إعجابه بها... وهي أيضا تنتظر قدومه... إنه شاب لطيف هادئ ويبدو محترما ليس وسيما وليس منفرا... إنه عادي الشكل قد لا يلفت النظر إليه، لكنه لفت نظرها هي بنظراته إليها، تلك النظرات التي تفصح عن إعجاب كبير لطالما حلمت به، لكن إلى متى سيستمر هذا الإعجاب وإلى أي مدى سيتطور؟ لطالما تساءلت عن قصده! ماذا يريد منها هذا المعجب، وهل يقصد من وراء كل هذا ارتباط جدي أم أنه يتسلى بها ويرغب في علاقة عابرة كغيره من الشبان.

وهي التي لم تعرف في حياتها رجلا غير طليقها السابق، وقد وضعت لنفسها مبادئ لا تحيد عنها بأن لا ترمي نفسها في تجربة لا تعرف نهايتها مع أي أحد، إنها جادة في حياتها، وتحترم نفسها وحدودها، ومن يريدها فعليه التقدم لخطبتها.

وجاء دوره... وتقدم بخطوات مرتبكة نحوها وجلس أمامها وقال: مساء الخير... أقصد صباح الخير آنسة جنات... كيف حالك؟

وابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت: صباح النور... تفضل؟

وقال عبارته المعتادة: جئت أدفع فاتورة مكالماتي...

ورغم أنها تحفظ رقم هاتفه عن ظهر قلب إلا أنها سألته: ما هو رقمك؟

وأعطاها رقمه... وتمت إجراءات الدفع... وظل جالسا قليلا كأنه يريد أن يقول لها شيئا... وهي تنتظر منه بادرة ما... عله يبدي لها نواياه...

ولم يقل شيئا... قام مرتبكا وودعها... وذهب!

وزفرت هي في ضيق!

(9)
هند

دخلت هند إلى مكتب ناظرة المدرسة التي تعمل فيها، كانت هند تعمل محضرة في مختبر العلوم، وإلى جانب وظيفتها كانت تعمل كجاسوسة للناظرة على زميلاتها المدرسات!

ومع الوقت أصبحت مكروهة بين زميلاتها، عرفن أنها تنقل أخبارهن وأحاديثهن إلى الناظرة فنبذنها وتحاشينها، لكنها لم تكترث، فالناظرة تحبها وتثق فيها وتحقق لها كل ما تريد، والأهم أنها تشعر بأهميتها وهي ترى الناظرة تمنحها مكانة خاصة دونا عن الجميع، فهي دائما تطلبها وهي الوحيدة في المدرسة التي تقضي ساعات طوال في الحديث إليها، وبعض المدرسات في المقابل حاولن التودد إلى هند كي تكون واسطتهن إلى الناظرة في بعض الأمور.

كل تلك الأجواء المشحونة كانت مصدر تسلية لهند في فراغ حياتها، فتفكيرها دائما مشغول فيما تفعله في المدرسة، وذلك ما كانت تفتقده بشدة أثناء العطلة الصيفية.

وجلست هند أمام الناظرة، وقالت: جئتك بالخبر اليقين... ظنك في محله... سعاد لجأت إلى واسطة مضمونة لتنتقل من المدرسة.

وظهر الاهتمام على وجه الناظرة وقالت: كيف عرفت، ولمعت عينا هند وقالت بفخر: تعرفين أن لدي مصادر لا تخيب... تريد أن تنتقل إلى مدرسة قريبة من بيتها... ولكن زينب مشكلتها أكبر... آه لو عرفت ما تنوي فعله!

فقالت الناظرة بفضول: ماذا؟

هند: تنوي أن تشتكي عليك في الوزارة، تقول إنك تفرقين بين المدرسات بطريقة معاملتك وتفضلين المدرسات اللواتي ينحدر نسبهن إلى أسر عريقة!

وانتفضت الناظرة من مكانها وصرخت: ما هذا الكلام؟! أنا أفعل ذلك! الجميع لدي سواسية وأنت تعرفين.

وقالت هند بتملق: أنا أعرف بالتأكيد... لكن زينب تحاول تخريب سمعتك... هل تعرفين من أخبرني هذا الكلام؟! إنها تلك المدرسة الجديدة.

وثارت ثائرة الناظرة... وانتهى اليوم بالتحقيق مع زينب.

(10)
هتاف

جلست هتاف على سريرها وشادن جالسة على المقعد الكبير أمامها...

وتنهدت هتاف وهي تقول: أحيانا أشعر أنني على وشك الجنون... أكاد لا أصدق ما يحدث معي، أراه أمامي بشحمه ولحمه... أراه بقربي جسدا بلا روح... فروحه بعيدة... بل أبعد ما تكون عني... أشتاق إليه بيأس... ولا أعرف كم سأنتظر حتى يستفيق من سباته.

ودمعت عيناها وهي تقول: كلما دخلت إليه أتساءل إن كان قد أبدى أي إشارة تدل على عودته إلينا، لكن أملي يخيب يوما بعد يوم، خمس سنوات مضت وأنا أعيش انتظار إشارة لا تأتي أبدا... يا إلهي كم سأنتظر بعد، لقد تعبت يا شادن... تعبت بحق.

وبكت هتاف... وقامت شادن تضمها إلى صدرها وتربت على رأسها: لا تيأسي يا هتاف... واصبري إن الله مع الصابرين، الأمر ليس بيدك وعليك تفويض أمرك إلى الله عز وجل.

فقالت هتاف من بين دموعها: أنا التي فعلت به ذلك...

أنا التي...

وقبل أن تكمل قاطعتها شادن بحدة: كفى... لقد تكلمنا في هذا الموضوع مرارا... الأمر قضاء وقدر، وأنت لا ذنب لك، ألا تؤمنين بالقضاء والقدر.

وهزت هتاف رأسها إيجابا ودموعها تتساقط على خديها وقالت: أشعر بنظرات أمه تكاد تخنقني، كأنها تلومني على وجودي معافاة وابنها في تلك الحال.

شادن: غير صحيح، ربما في البداية كانت الصدمة قاسية عليها، لكنها بلا شك تريدك معنا في البيت وتقدر بقاءك هنا.

هتاف: لست أنا من تريدها هنا، إنها تريد بقائي لأجل فواز... حفيدها... ابن نبيل الذي يكاد يكون نسخة عنه.

شادن: الحمد لله أنه ترك لها قطعة منه، هذا ما خفف عنها كثيرا... وما يخفف عنك أنت أيضا.

وفجأة انهارت هتاف باكية: أريد نبيل... أريده كما كان... قويا وعظيما... أحبه ويحبني... اشتقت إليه... أريده هو... إن فواز لا يعوضني أباه.

كانت شادن بمثابة الطبيب النفسي لهتاف، لطالما هدأتها وواستها واستمعت إليها، وعندما كان سهيل يسافر في رحلات عمل تحتمها طبيعة عمله كطيار... كانت شادن تقضي ليلتها

مع هتاف، تنام إلى جوارها وتتسامران طوال الليل، أصبحت توأم روحها ومصدر راحتها وموضع سرها... فهما متقاربتان في العمر، وجمعت بينهما الظروف ونسج الود خيوطه بين قلبيهما.

كانت شادن شقراء وعيناها عسليتين فاتحتين... وهي طويلة القامة... ولم تنجب رغم مرور عدة سنوات على زواجها... كانت المشكلة منها كما أخبرت هتاف... ولجأت للعلاج... لكن الحمل لم يحدث... وفي المقابل كانت شادن تحب فواز كثيرا وكأنه ابنها أيضا... ولطالما كانت هتاف تدعو لها بأن ترزق بالذرية... فهي إنسانة رائعة وستكون أمّا عظيمة بلا شك.

(11)
هالة

جلست هالة وهي تضم كتاب عماد نحو صدرها، كمن يضم طفلا غاليا إلى قلبه، أوليس هذا الكتاب هو طفل عماد... ونظرت إلى الغلاف البني الغريب الذي أصر عماد على اختياره، أشكال هندسية متداخلة ببعضها البعض ويمتزج بها اللون الكحلي والرمادي والأبيض على خلفية بنية اللون، وفكرت في نفسها أن تلك الأشكال المعقدة ترتبط نوعا ما بشخصية عماد المتناقضة، وابتسمت وفتحت صفحة الإهداء إلى «هـ» من الناس.

سطر صغير له أكبر المعاني في قلبها، ورغم تعليقات أهلها على عدم ذكر اسمها بالكامل إلا أنها شعرت بأن حبيبها يغار على اسمها، ويكفي أنها تعرف أنها المقصودة بالإهداء.

وأخذت تسترجع الأحداث الماضية منذ انتهى هذا الكتاب وبدأ توزيعه في المكتبات... لقد أحدث ضجة رائعة... وتهافت الكثيرون على شرائه ورغم أن عماد لم يقم بعمل دعاية لكتابه، إلا أن الإقبال عليه كان كبيرا.

واليوم سيكون لديه مؤتمر صحفي في إحدى المكتبات الضخمة، وخطرت لها فكرة، لِمَ لا تذهب لتراه في المؤتمر!

سيفرح بوجودها بلا شك، على الأقل تراقبه من بعيد وتفرح بنجاحه، وقامت مسرعة لتبدل ملابسها، ارتدت ثوبا ورديا فاتحا بدت فيه جميلة ورقيقة إلى أبعد الحدود، وشعرها الناعم سرحته خلف أذنيها وطلاء باهت خفيف صبغت به شفتيها، وخرجت وهي تضم الكتاب بين يديها، وركبت مع السائق نحو المجمع التجاري المشهور حيث تقع تلك المكتبة، ووصلت... ودخلت وقلبها يرقص فرحا، ودبلة عماد تحيط بإصبعها كما يحيط حبه بقلبها وجوارحها... ياه كل هذا الزحام لأجله... وصورة كبيرة له وهو يحمل كتابه، وتقدمت بين الحشود، ولمحته جالسا إلى طاولة عريضة تضم نسخا كثيرة من كتابه... وصحفي يجري لقاء معه ومصور يلتقط الصور، ولم تتقدم منه، أحبت النظر إليه، إنه يعيش نجاحه، وبقيت تضمه بعينيها من بعيد، وانتهى اللقاء، وتقدم الكثيرون يطلبون توقيعه على الكتاب... وهو يبتسم سعيدا، شبان وفتيات كثيرات حوله، وهو يحادث الجميع وابتسامته تتسع... وتقدمت بهدوء لتقف في صف المعجبين، وجاء دورها، ورفع عماد عينيه ليراها فجأة أمامه، وصُعق! أجل... كأن دلوا من الماء البارد انسكب عليه، ولم تلحظ وجومه، أعماها حبها عن رؤية تحرجه من وجودها، وظلت واقفة وهي تبتسم بحنان، وفجأة مد يده وسحب كتابه الذي بين يديها... ووقع لها

إهداء وأعاده إليها وهو يشيح بوجهه عنها...

لا تعرف حقا كيف خرجت من ذلك المكان وعادت إلى البيت بعدها... تكاد لا تتذكر تلك التفاصيل، كل ما تتذكره هو جلوسها في غرفتها وهي تحدق في كلماته التي كتبها إليها... «أهديك كتابي عسى أن تجدي في صفحاته ما يستحق القراءة، عماد».

تكاد لا تستوعب، لقد تنكر عماد لها، لم يظهر أبدا أمام الآخرين أنه يعرفها، يا إلهي إن ما يربطه بها أكثر من المعرفة، إنه خطيبها... ما معنى ذلك!

وبقيت على حالها... أكثر من أربع ساعات وهي تتأمل تلك الكلمات المكتوبة أمامها ولا تقوى حتى على تغيير ملابسها.

وأخيرا رن جرس الهاتف وأجابت بصوت خافت: ألو؟

وجاءها صوته: نمت؟

وأجابت بجملتها المعهودة: وكيف أنام قبل أن أسمع صوتك؟

وساد صمت ثقيل... وكأنه قرر أن يتخطى جدار الصمت فانطلق يحكي عن المؤتمر الصحفي... تحدث عن الأسئلة التي أجاب عليها... عن الصور التي التقطت... عن آراء القراء في كتابه... عن المعجبين الذين طلبوا توقيعه... تحدث عن كل شيء عدا تجاهله لها، وتنكره لمعرفتها.

وانتهى الحديث ثم ساد الصمت مرة أخرى، وسؤال يلح في ذهنها هل تواجهه؟ هل تسأله عن موقفه المريب؟

وضاع تساؤلها في دقائق الصمت.

(12)
هبة

خرجت هبة مسرعة من تلك العمارة الفخمة وهي تكاد تكتم أنفاسها من الخوف... وركبت سيارتها وهي تتلفت حولها بقلق، وبمجرد أن خرجت من ذلك الشارع تنفست الصعداء!

لقد كانت في زيارة عمل لا أكثر، وقد نجحت في توقيع عقد مهم في تلك الزيارة، وهي سعيدة بذلك الإنجاز لكن المشكلة أنها لم تخبر طارق بذهابها... حسنا إنه يضطرها لأن تخفي عنه تفاصيل عملها، ماذا تفعل إن كان لا يتفهم طبيعة وظيفتها... إن عقله لا يستوعب طموحها... لقد وعدها مديرها مؤخرا أنها ستكون المرشحة لرئاسة قسم التسويق إن استمر عطاؤها على هذا النحو.

ورن هاتفها... وخافت... خفق قلبها بعنف، ثم تنهدت بارتياح وهي ترى الرقم... إنها أمها... وردت عليها... كانت الأم مشغولة بالتجهيز لحفلة زفافها من طارق... بقي وقت قصير على الموعد، ثلاثة أسابيع بالضبط... وسيقام العرس في فندق معروف...

كانت الأم تُذّكر هبة بموعد البروفة لفستان عرسها،

واتفقت معها على أن تذهبا معا هذا المساء لرؤية الفستان... وفي طريقها مرت على العمارة التي ستسكنها قريبا... وتملكها شعور غريب... لقد انقبض قلبها... لا تعرف لماذا... وسرحت تفكر لقد انتهى تأثيث الشقة تقريبا... بقيت إضافات بسيطة وتصبح جاهزة، لكنها تشعر أن تلك الشقة لا تعكس ذوقها، كانت تتخيل شقتها بأثاث عصري حديث، لكن طارق اختار أثاثا كلاسيكيا معتادا، صحيح أنها جاملته ووافقت عليه، لكنها لم تكن راضية عنه من الداخل، قد تكون هذه مشكلتها مع طارق، إنها لا تستطيع مواجهته بما تريد أو بالأخص لا تستطيع الإصرار على ما تريد أمامه... ربما تكون شخصيته أقوى من شخصيتها وربما لأنها لا تريد أن تخسره... معقول أن تخسره لمجرد أنها تعارضه الرأي...!

ورن هاتفها... إنه هو... وخفق قلبها بخوف...

أجل أصبحت تخاف منه... لأنها تخفي الكثير عنه... ولم ترد... سترد عليه وهي في مكتبها كي لا يكتشف خروجها في زيارة العمل تلك.

وبمجرد وصولها أخذت تصعد الدرج بخطوات أقرب إلى القفز، ودخلت مكتبها مسرعة وهي تتنهد في سرها «الحمد لله، عدّت الزيارة على خير»!

(13)
هيثم

جلس هيثم إلى جوار والده ووالدته وهما يكتبان أسماء المدعوين لزفاف هبة...

كان شارد الذهن... وفجأة سأل والدته: أمي ما رأيك لو دعونا أختي جنات إلى الفرح؟

وصعقت الأم، وللحظة لم تستوعب طلب ولدها ثم صرخت: هل جننت؟! كيف خطرت لك تلك الفكرة؟

وقال هيثم: إنها أختنا يا أمي، ما المانع من وجودها بيننا؟

وقاطعه الأب بحزم: لا... لا أريدها بيننا تلك الابنة العاقة، ألا يكفي أنها أحرجتنا مع هجرس ولم تقدر نعمة زواجها به.

ورد هيثم بحنق: أي نعمة يا أبي لقد أهانها وعذبها ثم طلقها ببساطة ولم يحسب حسابك أبدا...

وصرخت الأم هذه المرة: هل جننت يا ولد؟ ماذا حدث لعقلك! كيف تدافع عن تلك الفتاة أمامي ألا يكفي أنني لم أحاسبك على تدخلك في موضوع زواجها مع أبيك؟

وقال هيثم بهدوء: ما ذنبها هي كي تعيش بلا عائلة، إلى

متى ستبقى بعيدة عنا؟

واستشاطت الأم غضبا: لسنا بحاجة إلى وجودها في حياتنا، يجب أن تفهم أنك لن تنال رضاي ما دمت تدافع عنها، ابنة تلك الأفعى التي كادت تسرق أباك منا وكادت تحطم حياتنا وأسرتنا.

وظهر الكدر على وجه الأب... إنها لا تنسى أبدا زواجه عليها، كانت مجرد زلة في نظره لكنها كانت جريمته التي لا تغتفر في نظرها، وحتى بعد كل تلك السنين مازالت تعايره بتلك الزيجة كلما سنحت لها الفرصة لذلك...

وقام هيثم من مكانه وهو مقبوض الصدر، يكاد يختنق من شدة الغضب، وخرج من المنزل... إلى أين يذهب؟ ولم يتردد.. قاد سيارته نحو معهد الرسم الذي انضم إليه مؤخرا، كان معهدا مشهورا وينظم عدة معارض سنويا، كان بمثابة الملتقى للأساتذة وطلاب الفن، والأستاذ الذي يشرف على هيثم فنان مشهور لطالما كان هيثم معجب به...

ووصل إلى المعهد وأوقف سيارته... وقبل أن ينزل لفتت نظره سيارة رياضية حمراء تقف إلى جواره... سيارة فارهة... تصدح منها الأغاني... والتفت نحوها ورآها.

فتاة ترتدي نظارة شمسية سوداء... نظارة كبيرة تكاد تحجب نصف وجهها، ويظهر تحتها أنف دقيق جدا ومرفوع

الطرف... وشعر أشقر تتناثر فيه خصل ثلجية اللون ينسدل بتماوج جميل على كتفيها... لا بد أنه شعر مصبوغ... والفتاة تتمايل على كلمات الأغاني في مكانها، كانت ترقص تقريبا... في الشارع! وكأن هذا الشارع لها وحدها...

وفجأة التفتت الفتاة نحوه وابتسمت له، لقد ضبطها وهي تهتز طربا... ولم يرد ابتسامتها... كان مصدوما... وأشاح بوجهه عنها وأطفأ محرك سيارته ونزل مسرعا دون أن ينظر نحوها مجددا... واجتازها إلى باب المعهد... واتجه إلى حيث تعرض بعض اللوحات في قاعة الاستقبال... وأثناء وقوفه سمع خطوات خلفه، والتفت هذه المرة ليجد نفسه أمام نفس الفتاة... فتاة السيارة الحمراء... مازالت ترتدي نظارتها الشمسية... وسألته ببساطة: عفوا... أردت أن آخذ بعض الدروس في الرسم... ما هي طريقة التسجيل في هذا المعهد؟

وارتبك... وقال بصوت مرتعش: أنا لا أعمل هنا... أنا مجرد طالب.

وابتسمت ابتسامة كشفت عن أسنان جميلة ومرتبة: إذن أين أجد من يستطيع مساعدتي؟

فقال وهو ينظر إلى ساعته: موظف الاستقبال سيصل بعد ربع ساعة... إنهم يفتحون المعهد في الخامسة تماما...

تستطيعين انتظاره هنا.

وأشار إلى أريكة كبيرة أمام مكتب الاستقبال الفارغ... وسألته: ماذا عنك؟ متى يبدأ درسك؟

واحتار ماذا يقول لها! لقد انتهى درسه منذ ساعات، فهو يحضر درسا في الفترة الصباحية، لكنه جاء إلى هنا هربا من بيته... ومن أفكاره، ولم يرد لبرهة ثم انتبه إلى أنها لاتزال تنتظر رده، فقال بارتباك: انتهى درسي منذ ساعات... لكنني أردت أن آتي إلى هنا ففعلت.

وساد صمت... وتشاغل عنها بالنظر إلى اللوحات على الحائط... وهو يشعر بنظراتها تكاد تلسعه... ماذا تريد منه هذه الفتاة الغريبة؟

وقرر أن يتركها ويذهب... والتفتت نحوه وهي تراه يهم بمغادرة المكان... وكأنها تريد أن تبقيه معها... لكنه ذهب... دون أن يودعها بأي كلمة.

(14)

جنات

مكتبة
t.me/t_pdf

عادت جنات من عملها وهي منهكة.. كان يوما طويلا وشاقا، وكأن جميع العملاء عانوا من المشاكل في وقت واحد، بدا كيوم لا نهاية له في العمل، وصعدت الدرج الصغير المؤدي إلى مدخل العمارة.. ووقفت بانتظار المصعد عندما سمعت صوتا يخاطبها: آنسة جنات.. كيف حالك يا ابنتي؟

والتفتت نحو ذلك الصوت لتجد العم سعيد أمامها.. كان العم سعيد هو صاحب العمارة الجديد.. لقد اشتراها مؤخرا منذ أقل من سنة، واعتاد أن يمر عليها يوميا.. ورغم أنه رفع الإيجار على السكان جميعا، إلا أنه قام بالكثير من التعديلات والتحسينات عليها، فقد أعاد صبغ المدخل وقام بترميم الدرج، واستبدل مصاعد العمارة الثلاثة بمصاعد حديثة جميلة ومريحة، واهتم بمظلات السيارات الخاصة بالمستأجرين على نحو خاص بالإضافة إلى سرعة استجابته لأي شكوى تصدر من أحد المؤجرين، كل ذلك الاهتمام جعلهم سعداء بوجوده رغم زيادة الإيجار التي أزعجتهم في البداية.

وابتسمت جنات وهي ترد سلام الرجل: بخير يا عم سعيد.

فقال: وكيف حال والدتك السيدة فداء، لم أرها هذا الصباح؟

فقالت: بخير أيضا.. أشكرك على السؤال.

فقال الرجل بحرارة: سلمي عليها أرجوكِ.

وهزت رأسها وهي تدخل المصعد، وفتحت باب الشقة بمفتاحها الخاص ودخلت فإذا بقطع الأثاث مكدسة أمامها في إحدى الزوايا، إنه يوم التنظيف الأسبوعي الذي تصر والدتها فيه على أن تقلب الشقة رأسا على عقب كي تحسن تنظيفها كما تقول..

وانزعجت جنات.. لا تحتاج مزيدا من الفوضى والصداع لهذا اليوم، واستقبلتها أمها وهي ترتدي ثوبا منزليا مهلهلا وقد رفعته وثبتته عند أعلى ساقيها كي لا يبتل بالماء وهي تشطف الأرض، وقالت الأم: لقد تأخرت يا ابنتي.. هيا اسرعي واطلبي لنا الغداء فلم أطبخ اليوم.. تعرفين لا وقت لدي للطبخ في يوم التنظيف..

وانزعجت جنات أكثر.. ففي وقت كهذا كانت تشعر أنها تكاد تنهار من شدة الجوع.. وتبادلت بعض الكلمات مع أمها قبل أن تدخل إلى غرفتها لتطلب الطعام من أحد المطاعم القريبة أملا بالحصول على الطعام دون تأخير..

وبعد نصف ساعة وصل الأكل ساخنا، وجلست الأم وابنتها

تأكلان وفجأة تذكرت جنات العم سعيد فقالت: رأيت العم سعيد عند عودتي.. لقد سأل عنك وسلم عليك.

ولمعت عينا الأم باهتمام مفاجئ: حقا؟ ماذا قال؟

وردت جنات بفتور: فقط سأل عنك وسلم عليك كما قلت.. لا شيء آخر.

وقامت جنات لتغسل الصحون.. ورمت الفضلات في سلة المهملات، تمنت لو ساعدت أمها بالتنظيف لكنها كانت مجهدة جدا.. فدخلت لترتاح في غرفتها.. واستلقت في سريرها تفكر، كانت تفكر في راشد، لقد اقترب موعد زيارته لها، هل سيخطو خطوة جديدة نحوها هذه المرة.. إنها تنتظره، ليته يتقدم إليها، لقد عرفت الكثير عنه، لديها معلومات كاملة عنه بصفته عميلا للشركة، إنه يكبرها بأربع سنوات، وهو موظف في شركة تعمل في صناعة الورق ومنتجاته، ومنزله في منطقة العاصمة، تعرف حتى عنوان منزله، لم لا يصارحها بما يريده منها بدلا من التحديق بها والتردد عليها كل شهر!

ونامت وتساؤلاتها تدخل في أحلامها..

عندما نهضت ونظرت إلى الساعة.. كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحا! ياه لقد نامت طويلا جدا..

كانت الساعة تقترب من السادسة مساء عندما غطت في النوم، وانتبهت إلى أن غطاء السرير محكم حولها، لابد

أن والدتها غطتها في نومها وأشفقت عليها فتركتها تنام ولم توقظها.. وشعرت جنات بالجوع.. فقامت لتدخل الحمام وغسلت وجهها ثم اتجهت نحو المطبخ لتعد لنفسها شيئا خفيفا تأكله.. وفجأة خفق قلبها وهي تشاهد سلك الهاتف وهو يخرج من غرفة والدتها المقفلة وتقدمت نحو باب الغرفة بهدوء على أطراف أصابعها.. فإذا بصوت والدتها تتحدث على الهاتف! وكاد قلبها أن يقف! من تحادث والدتها في هذا الوقت.. حاولت أن تسمع شيئا من وراء الباب.. لكنها لم تستطع.. وبلا تفكير طرقت الباب.. وشعرت بحركة مريبة وبصوت سماعة الهاتف وهي تغلق على عجل وبارتباك.. وعاودت الطرق على الباب وهي تنادي: أمي.. أمي..

وفتحت الأم الباب وهي مرتبكة متلعثمة وقالت باندفاع: ماذا.. ماذا هناك؟

وسألتها جنات: كنتِ تتحدثين في الهاتف؟

وقالت الأم: أنا؟ لا.. أقصد نعم.. كنت أتصل بالساعة لأتأكد من موعد صلاة الفجر.

وردت جنات: لكنني سمعتك تتحدثين؟

الأم: أنا؟ لابد أنك واهمة، لقد نمت طويلا.. حضرت لك العشاء لكنك بدوت متعبة فلم أوقظك هيا.. سأسخن لك بعضه..

وخرجت الأم من الغرفة.. كأنها تفر من ابنتها ومن نظرات الشك في عينيها..

(15)
هند

جلست هند أمـام اختصاصي التغذية المشهور الذي انتظرت شهرا كاملا لتحصل على موعد لرؤيته،

بدا شابا جدا على عكس توقعاتها، فالشهرة التي حصدها خلال الأشهر القليلة منذ افتتح عيادته جعلتها تتخيله كبيرا في السن وذو خبرة أطول نوعا ما..

نظر الدكتور إليها وهو يقول: آنسة هند، أنتِ على أعتاب السمنة، وزنك يزيد عن الوزن المثالي بما يعادل خمسة عشر كيلوغراما..

وفغرت هند فمها وقالت ببلاهة: لست سمينة إلى هذه الدرجة يا دكتور!

فقال بجدية: وزنك هو الذي يحدد ذلك وليس ظنك.. ما أراه أنك تحتاجين رجيما قاسيا لتصلي إلى الوزن المثالي..

فقالت: أنقذني يا دكتور فعرس أختي بعد أسبوعين، فكتب لها رجيما.. وقدمه إليها.. وأخذت تتفحصه بلهفة كأنها تقرأ مصيرها خلال الأسبوعين القادمين وكادت تصرخ: يا إلهي.. الطعام قليل جدا، لا أظنني أقدر على هكذا نظام، والفطور خمس تمرات فقط؟! أنا لا أحب التمر.

فقال الطبيب بغضب: قلت إنك تريدين إنـزال خمسة كليوغرامات على الأقل في أسبوعين، لو طلبت منك أكل الصخر لكان عليك الالتزام بما أقول.

وأقفل ملفها أمامه كأنه يطردها، وعندما قامت دفع لها بورقة وهو يقول: هذه الأعشاب ستساعدك إنها مواد طبيعية.. خذيها من السكرتيرة وأنت خارجة.

وخرجت هند وهي تشعر بالحزن، لقد أحبطها هذا الطبيب تماما، شعرت وهي عنده أنها فيل كبير وبشع.. وتقدمت نحو السكرتيرة التي قرأت الورقة وأعطتها كيسا صغيرا جدا من الأعشاب وقالت لها: سعره خمسة دنانير، فقالت هند: لماذا؟ أنا متأكده أنها تباع عند محلات العطارة بربع هذا السعر!

فقلبت السكرتيرة شفتيها بامتعاض وقالت: هذا سعرنا، ودفعت بفاتورة أخرى نحو هند وهي تقول: الدكتور طلب منك هذه التحاليل تفضلي إلى المختبر..

ودفعت هند عشرين دينارا لفتح الملف وخمسة عشر أخرى لفحص الدهون على جهاز غريب لم تثق أبدا بمصداقيته ثم دفعت سبعين دينارا للتحاليل التي طلبها الدكتور وخمسة أخرى لأجل تلك الأعشاب، لقد كلفتها زيارة ذلك الطبيب المتعجرف حوالي مائة دينار يا لها من تجارة..

ونزلت تحمل ورقة الرجيم والأعشاب في يدها، فوقعت عيناها على مطعم أمامها يبيع الشاورما، وكاد لعابها يسيل، كانت جائعة جدا.. وسيخ الشاورما يدور أمامها كأنه يغريها، ولم تقاوم.. اقتربت من المطعم وطلبت سندويشا وعصيرا.. وهي تقول لنفسها: سألتزم بالرجيم من الغد.. يجب أن آكل ما أريده اليوم فالحرمان سينتظرني بعدها.

وبدأت تأكل بشراهة ما أن استلمت طلبها في السيارة..

(16)
هتاف

دخلت هتاف إلى ذلك المحل الفخم لملابس السهرة، أتت لتستلم ثوبها الذي اشترته لعرس أختها هبة، ورحبت بها البائعة بحرارة، فسعر ثوبها الغالي كان يستحق كل هذا الترحيب..

وأخرجت البائعة الثوب لتجربه بعد التصليح، ودخلت هتاف لتقيسه، وابتسمت لنفسها وهي ترى نفسها ترتديه، بدت جميلة جدا بالثوب، ولونه البنفسجي ينعكس على بشرتها البيضاء فيزيدها جمالا.. ودخلت البائعة وهي تهتف: ما شاء الله، كم أنت جميلة يا مدام هتاف.

وخرجت البائعة لتتركها تبدل ثيابها وفجأة شعرت هتاف بحزن شديد يعتصر قلبها.. تمنت لو كان نبيل حيا ليراها بهذا الثوب.. وارتعدت لذلك الخاطر.. فنبيل لايزال حيا فعلا.. شعرت عندما فكرت بذلك أن نبيل أقرب إلى الموت من الحياة، وأخافها ذلك كثيرا.. بدت تلك اللحظة كصحوة لها وطرقت البائعة الباب وهي تسأل: تحتاجين مساعدة؟ فردت عليها بألم: لا..

فلا أحد يستطيع مساعدتها أبدا..

(17)
هالة

كانت هالة تمر بوقت عصيب منذ أصدر عماد كتابه، إنها تشعر بتباعده عنها، كأنه يعيش في عالم آخر لا ينتمي إلى عالمها، بدا غريبا جدا وهو يعيش شهرة واسعة.. كأنه يبحث عن شهرة شخصية أكثر من بحثه عن نجاح كتابه.. لكن الكتاب نجح فعلا.. أكثر مما توقع كلاهما.. لقد أصبح شغله الشاغل هو عقد المؤتمرات الصحافية في المكتبات التي تعرض كتابه، وأجرى العديد من المقابلات في المجلات وفي إحدى الجرائد أيضا، كما أخبرها أنه يسعى جاهدا إلى الظهور كضيف في أحد البرامج الشبابية في التلفزيون..

ومع الوقت قلت اتصالاته بها، أصبح الوقت الوحيد الذي يحادثها فيه هو منتصف الليل قبل أن يخلد إلى النوم وكل حديثه ينصب على كتابه والترويج له!

وفي ذلك الصباح بعثت هالة السائق إلى المكتبة ليشتري لها مجلة فنية أخبرها عماد أن له لقاء سينشر على صفحات هذا العدد..

وجلست تتناول إفطارها عندما دخلت هبة من الخارج وابتسمت هالة وهي تقول: كيف حال العروس اليوم؟

فقالت هبة: تصوري أن مديري رفض إجازتي، أكاد أجن، لدينا عميل مشهور يعيش في الخارج وسيصل غدا ويريدني أن ألتقيه.. إنه فاحش الثراء وقد أبدى استعدادا لتبني مشروع ضخم جدا مع شركتنا..

فقالت هالة: لم لا يرسل أحدا آخر للاتفاق معه؟

وتأففت هبة: لا يثق بسواي.. تعلمين أنه تمت ترقيتي قبل أسبوع.. سأنجز هذا العمل غدا ثم تبدأ إجازتي فأنا حقا مرهقة.. هل استلمت ثوبك؟

فقالت هالة بلطف: أجل.. لونه جميل.. بلون السماء..

وفجأة دخلت هند والإرهاق بادٍ على وجهها وقالت لأختيها: ماذا تأكلان؟ ما هذا بيض؟ كم أتوق لأكل البيض لقد أفطرت بخمس تمرات.. يا إلهي لم أعد أطيق أكل التمر ولم أعد أطيق أن أرى أي نخلة بعد الآن.

فضحكت أختاها وقالت هبة مشجعة: لكنك نحفت كثيرا.. يبدو ذلك واضحا عليك.

وفجأة مدت يدها بمجلة إلى هالة وهي تقول: كنت أقرأها في الدوام.. تحتوي على مقابلة مع عماد.

وفرحت هالة وهي تقول: قرأتها؟ لقد بعثت السائق للتو لشرائها..

فقالت هند باستياء: لو كنت مكانك لما فعلت.. اقرئي ما

يقوله خطيبك السافل وستعرفين ما أقصد.

وفتحت هالة المجلة لتجد صورة عماد أمام مقابلته وبدأت تقرأ.. بدت إجابته مغرورة جدا وهو يتحدث عن نفسه، كأنه فنان عظيم وكاتب لا مثيل له، وفجأة توقفت عند أحد الأسئلة: أهديت كتابك إلى «هـ» من الناس.. هل لنا أن نعرف من هو الشخص المطلوب؟ وكانت الإجابة: إلى صديق عزيز أعرفه منذ الطفولة، فسؤال آخر: صديق أم صديقة؟ فأجاب عماد: صديق.. فأنا لا صديقة لدي.ولست مرتبطا أبدا.

وسأله الصحافي في آخر اللقاء: ماذا عن الحب والارتباط في حياة الكاتب عماد؟

فكانت إجابته: لازال قلبي يبحث عن الحب.. والارتباط لايزال مبكرا.

ورمت هالة المجلة من بين يديها وهي ترتعش من الغضب.. ما معنى كل هذا؟ هل يتنكر لها هذا المجنون؟ أليست خطيبته؟! كيف يقول إنه لايزال يبحث عن الحب؟! ألا يحبها؟!.. والتقطت هبة المجلة وأخذت تقرأ اللقاء، وقالت هند: إنه لا يستحقك.. لطالما كرهناه جميعا.. كم هو سافل وحقير..

وانتفضت هبة وهي تقرأ ما قرأه أختاها وقالت: صحيح إنه بلا حياء، كيف يقول هذا الكلام أمام الناس؟! ما معنى

ذلك؟

وقامت هالة واقفة وهي تقول: سأسأله أنا عن معنى ذلك؟!

وصعدت غرفتها وهي ترتجف من الغضب.. واتصلت بعماد الذي أجابها بصوت نائم: آلو؟

وصرخت: لقد قرأت اللقاء.. ألا تخجل من نفسك كيف تتجرأ على إنكار وجودي في حياتك بهذه البساطة؟

فأجابها ببرود: أنت غاضبة الآن لهذا الكلام؟ إنه مجرد لقاء لا أكثر.. ولا يعكس ما بداخلي.

وصرخت هالة: أن تقول إنك غير مرتبط وتبحث عن الحب وكأنني لا شيء.. كان بإمكانك أن ترفض الإجابة عن الأسئلة التي تخص حياتك الخاصة بدلا من إهانتي هكذا أمام الجميع..

عماد: أمام من يا هالة؟

فصرخت: أمام أهلي وأهلك وكل من يعرفوننا، والأهم إهانتي أمام نفسي.. كيف استطعت التفوه بهكذا عبارات.. كيف هنت عليك؟

فقال ببرود: أنا لم أفعل شيئا.. أنا الآن كاتب مشهور ولدي الكثير من القراء والمعجبات وأحب أن أبدو أمامهن كالحلم، لا أريد أن أبدو كبيرا أمامهن كرجل مرتبط!

وساد صمت ثم قالت: هكذا إذن.. لهذا تنكرت لي يوم ذهبت لأبارك لك في المكتبة، ظننت أنني أهم بكثير من أي معجبة، ظننت حبي هو الأهم في حياتك فإذا به بلا اعتبار لديك.. و...

وقاطعها عماد: هالة أنا أحبك وأنت تعرفين ذلك، دعيني أبني لنفسي مكانة واسما أولا ثم سيعرف الناس أنني مرتبط.. أين المشكلة؟!

ولم تتحمل وقاحته فبكت: ماذا تقصد؟

فقال: أقصد أن تبقى علاقتنا كما هي، وأقول أنا ما أريد.. هذا كلام على ورق ولا قيمة له، اهدئي الآن أرجوكِ.

وسكتت.. ودموعها تنهمر بلا توقف، إنها تحبه.. أكثر من نفسها على الأرجح، ولا تريد خسارته..

وأحس هو بضعفها فقال وهو يقبلها على الهاتف ليعزف على أوتار ضعفها: هيا حبيبتي.. أرجوك لا تغضبي لا أستطيع أن أتحمل دموعك.. ألم أخبرك؟ لقد بدأت في كتابة كتابي الثاني..

(18)
هبة

دخلت هبة إلى ذلك المبنى الضخم الأشبه بالفنادق وأبرزت هويتها لرجل الأمن وقالت: لدي موعد مع السيد محمود.

وتحقق الرجل بالهاتف من وجود موعد باسمها مع السكرتارية وقال مرحبا: تفضلي إنه بانتظارك.. الدور الثالث.

واتجهت نحو المصعد وضغطت الزر نحو الدور الثالث وهي تفكر، بقي أسبوع واحد على زواجها وهذه هي المهمة الأخيرة لها في العمل قبل بدء إجازتها ويجب أن تنجح، ووصلت إلى مكتبه المهيب واستقبلتها سكرتيرته وأدخلتها مباشرة حيث التقت بالرجل.. كان رجلا في منتصف الأربعينات، وسيما وذكيا.. أعجبتها الأسئلة الدقيقة التي وجهها إليها، شعرت أنها أمام رجل اقتصادي نابغة بلا شك..

وانتهى الرجل أخيرا من معرفة كل ما يريده، وأخيرا أثنى عليها شخصيا وأخبرها أنه سيدخل معهم في المشروع الذي جاءت لأجله، ولمعت عيناها بفرحتها.. وابتسم لها وهو يقول: لقد أقنعتني بسهولة يبدو أن لديك سحرا خاصا..

وضحكت.. لقد نجحت من جديد.. وأثناء توضيبها

لأغراضها اتصلت سكرتيرته.. فسمعته يقول: نعم ليدخل، وقال موجها حديثه إلى هبة: أتى ابن أخي لزيارتي.. إنه يعمل أيضا في شركة استثمارية أحب أن تتعرفي عليه..

ودخل الشاب وصافح عمه، ورفعت هبة رأسها لتراه.. لكنه لم يكن وحده.. فبجواره وقف طارق.. زوجها! وارتعدت هبة، ما الذي أتي به إلى هنا؟!

وصدم طارق بوجودها في مكتب هذا الرجل.. ماذا تفعل هنا؟!

وقال السيد محمود: أهلا طارق جيد أنك أتيت مع زياد، أعرفكما على الآنسة هبة.. لقد توصلت معها إلى اتفاق مهم للتو.

ومد زياد يده يصافح هبة وهو يقول: تشرفنا..

وبيد باردة كالثلج صافحته هبة وعيناها على طارق الذي كانت عيناه تشتعلان غضبا..

وقال طارق: عن إذنكم يا جماعة.. تذكرت موعدا مهما.. وخرج مسرعا من المكتب فقامت هبة وراءه دون أن تنبس بكلمة واحدة أو حتى تودعهما..

جرت هبة وراءه في الممر ووصلا معا إلى المصعد.. كانت تلهث.. وهمست: طارق أنا..

والتفت نحوها وقال بحدة: أنتِ كاذبة كبيرة.

وفجأة قبض طارق على معصمها بقوة وشدها وراءه وخرج بها إلى الشارع، كانت خائفة ومرتبكة ونسيت أخذ هويتها من رجل الأمن عند المدخل..

وساقها وراءه وهي تتعثر في خطواتها وتكاد تقع على وجهها في كل خطوة وأدخلها إلى سيارته.. وطوال الطريق لم يتحدث معها.. حاولت الحديث لكنه صرخ بها بغضب بأن تسكت ففعلت.. يا للهول إنه يقود كالمجنون.. وقلبها يدق بعنف كما لو أنه يريد الخروج من بين أضلاعها.. وأخذها طارق إلى شقتهما.. شقة الزوجية.. ودفعها إلى الداخل وهو يرتجف.. وما أن أغلق الباب خلفهما حتى استدار إليها وصرخ بأعلى صوته: كنت تكذبين عليّ إذن.. لقد كنت واضحا معك يا هبة... ألم أمنعك من مقابلة الرجال وزيارتهم بحجة العمل؟ هل فعلت ذلك أم لا؟

وبصوت خائف قالت: أرجوك... دعني أشرح لك موقفي... أنا...

واقترب منها وقاطعها: لقد خدعتني كنتِ تذهبين دون علمي ودون أي اعتبار لرغبتي.. أخبريني يا هبة ما الأهم بالنسبة إليك.. أنا أم عملك المشؤوم؟

وارتعدت هبة أكثر وقالت: أنت طبعا..

وصرخ: كاذبة.. لو كنت أنا الأهم حقا لكنت التزمت

بأوامري، ألست زوجك؟ أليس لي حق عليك؟.. تكلمي..

وفجأة انقض طارق عليها ودفعها نحو الحائط.. دفعها بقوة فارتطم ظهرها به واقترب منها وغرس أصابعه في ذراعيها وهو يهزها بغضب.. كان هائجا بطريقة مخيفة لقد شعرت في لحظة ما أنه قد يقتلها، وضغطها إلى الحائط وأصابعه لاتزال تنغرس في لحمها وقال: أنا في هذه اللحظة أخيرك.. إما أنا أو عملك.. ستأخذين قرارك الآن.. حالا ستذهبين معي لتقدمي استقالتك.. أنا أو عملك ولا خيار آخر أمامك.

وقالت هبة وقد بدأت الدموع تنبثق من عينيها: أرجوك يا طارق اتركني.. أنت تؤلمني.. اهدأ قليلا كي نستطيع أن نتفاهم..

لكنه استشاط غضبا وصرخ في وجهها: ستتخذين قرارك الآن يا هبة.. ماذا تريدين؟.. زوجك أم عملك.. تكلمي..

وفجأة أفلتها من يده والتقط حقيبتها وأخرج هاتفها النقال وقال: تتصلين بمديرك الآن وتخبرينه بقرارك وسآخذ استقالتك إليه بنفسي الآن.. لن تذهبي إلى تلك الشركة الموبوءة بعد اليوم.. هيا اتصلي ماذا تنتظرين؟..

واستجمعت هبة شجاعتها وقالت: لا يا طارق.. أنا أحب عملي ومرتاحة جدا في شركتي.. ولا أريد التضحية به.

فقال وهو مصدوم: إذن تضحين بي؟

فصرخت: لا أرجوك.. دعنا نهدأ أولا ثم نتفاهم..

وفجأة رمت بنفسها على صدره وهي تبكي بحرقة إنها خائفة منه.. وفي الوقت نفسه تهرب منه إليه،

وساد صمت.. ثم أبعدها عنه وقال: كنت أظن أنني يوم سأخيرك بيني وبين أي شيء آخر أنك ستختارين البقاء معي بلا تردد.. يبدو أنني أخطأت يا هبة.. لم أعرفك جيدا.. تجيدين الكذب كثيرا حبيبتي.. المرأة التي لا تصون كلمتي لا تستحق اسمي.. هبة.. أنتِ طالق.

(19)
هيثم

صعد هيثم السلالم مسرعا إلى حيث تقع شقة أخته هبة، لقد اتصلت به تبكي بطريقة هستيرية، لا يعرف ما الذي حدث معها، لم يستطع فهم شيء من كلامها وبالكاد فهم أنها في شقتها الجديدة، وفي طريقه حاول الاتصال بطارق زوجها على هاتفه النقال لكنه لم يرد عليه، وقفز هيثم على السلالم قفزا لم يطق الانتظار ليركب المصعد ووصل إلى الشقة ودفع الباب ودخل، لم يكن الباب مقفلا... وفجأة رآها متكومة بجوار الحائط وهي تبكي... وجزع عليها واقترب منها وجلس بجوارها على الأرض... وقال بصوت مبحوح: هبة... حبيبتي ماذا حدث؟ تكلمي أرجوكِ...

وهبة لا ترد... تبكي ونشيجها يكاد يكتم أنفاسها، وعاد هيثم يلح عليها... صرخت هبة: لقد طلقني طارق... طلقني قبل أسبوع من عرسنا.

وصدم هيثم... ولبرهة احتضن أخته إلى صدره... شعر بأنه يكره طارق بوحشية رغم أنه لطالما أحبه في السابق، وربت على رأس أخته المرتجفة بين أحضانه... وسألها: لماذا؟ وأخبرته هبة بما حدث وهي ترتجف وبالكاد استطاع هيثم

تهدئتها لتتمكن من العودة معه إلى البيت...

كانت الأم جالسة وبيدها كشف طويل بأسماء المدعوين الذين أرسلت إليهم دعوات عرس هبة هذا الصباح... لقد بقيت دعوات قليلة فقط سيتم توزيعها هذا المساء، وأثناء انشغالها دخل عليها هيثم وهبة تتكئ عليه، ولوهلة لم تلاحظ الأم حالهما... ثم عادت لتتحدث فهالها ما رأته في وجه ابنتها وجزعت الأم: هبة؟ ماذا حدث؟ وانهارت هبة ووقعت على الأرض...

(20)
جنات

جلس راشد أمام جنات كعادته كل شهر حين يأتي لسداد فواتير هاتفه النقال... وبدأت هي تتجز معاملته على مهل هذه المرة، تعمدت أن تطيل فترة بقائه أمامها علها تهيئ له الفرصة ليتحدث معها... يجب أن يفعل شيئا إيجابيا يوضح نواياه... لقد مر وقت طويل على حاله معها... وفجأة قالت جنات وقد سئمت مماطلته: أستاذ راشد... لِمَ تكلف نفسك عناء الحضور إلى هنا... يمكنك أن تسدد فواتيرك عن طريق الهاتف.

بدت غاضبة فجأة وهي تقول ذلك... وارتبك هو وتلعثم وهو يقول: أنا... بصراحة أنا...

فقالت بزهق وهي تحاول تمهيد الطريق له: أم لعلك تأتي لسبب آخر؟

لقد أصبح عليه أن يبادر الآن وإلا ستقسم أنها لن تسمح له بمحادثتها ولن تخدمه بعد الآن...

وأحس هو بوجوب تحركه فقال: آنسة جنات بصراحة أنا معجب بك...

وظهر الارتياح على ملامحها... وبقي هو مكانه وكأن

حملا ثقيلا انزاح عن كاهله للتو...

وأخيرا حان وقت مغادرته... زبائن آخرون ينتظرون دورهم، فقالت له وكأنها تخاف أن يفر منها: ما رأيك أن نتحدث قليلا فيما بعد... وفرح هو، وكأنه وجد كنزا بعد طول بحث وقال: حسنا هل تتصلين بي؟

وشعرت بالاشمئزاز لأسلوبه ولأنه اضطرها لأن تلاحقه ليتحدث إليها فقالت: حسنا...سأفعل... الليلة في العاشرة مساء... اذهب الآن.

وقام وهو يكاد لا يصدق ما حدث... أخيرا سيتمكن من محادثتها...

ولم تستطع جنات أن تتحمل ما حدث، شعرت أنها رخصت بنفسها، لكن إلى متى تبقى محتارة بانتظار أن يتقدم إليها... بدا أنه معجب بها حقا ولم يبدُ عليه أنه شاب منحل يريد التسلية، إنه خجول جدا فما المانع إن ساعدته قليلا عله يتزوج بها في نهاية الأمر، ألم يلاحقها شهورا بنظراته...

وقامت لتستأذن من مديرها، لم تعد تطيق البقاء، تريد أن تعود إلى بيتها كي تفكر فيما حدث معها، وركبت سيارتها ووصلت إلى العمارة، وصعدت إلى الشقة فإذا بها ترى والدتها واقفة عند باب الشقة ومقابلها يقف العم سعيد

صاحب العمارة الجديد...

بدا الاثنان منسجمين جدا وقد اهتمت والدتها بتسريحة شعرها ووضعت الكحل حول عينيها...

وانتبه الاثنان إلى وجودها... وظهرت الدهشة على وجه أمها، فقد عادت باكرا جدا على غير عادتها،

فقالت الأم: جنات؟ عدت باكرا هل أنت مريضة يا ابنتي؟

ولم ترد جنات لدقيقة ثم تجاهلت سؤال أمها وقالت: ما الأمر يا عم سعيد، هل تريد شيئا منا؟

وقال الرجل بمرح: أبدا يا ابنتي كنت أكلم أمك عن موضوع يخص استهلاك الكهرباء، يجب أن نقتصد جميعا، ألم تسمعا بحملة الترشيد؟

وقبل أن ترد إحداهما استأذن الرجل وذهب كأنه يهرب، وكادت جنات أن تجن، لا نحتاج إلى صداع جديد يكفيها صداع راشد حتى الآن...

وتجاهلت والدتها ما حدث ودخلت إلى المطبخ، وبقيت جنات بكامل ملابسها على السرير، وهي تفكر، ولا تعرف لماذا طرأ عليها وجه هجرس، وكأن ذكراه المقيتة تنقصها، لقد كان زواجها به غلطة عمرها، ليتها لم تقبله... ودمعة صغيرة انحدرت على خدها... دمعة لم تلاحظها أمها التي

دخلت تناديها على الغداء... بدت جنات حزينة وشاردة لكن بال الأم كان مشغولا بأمور أخرى قطعا... وأخيرا حان موعد اتصالها براشد، كانت الساعة تشير إلى العاشرة تماما... مهلا من الأفضل أن تتأخر عليه قليلا حتى لا تبدو ملهوفة عليه، وهل سيشكل ذلك فرقا؟! لقد بدت ملهوفة عليه بلا شك هذا الصباح... واتصلت به أخيرا عند العاشرة وخمس دقائق، وأجابها منذ أول رنة... بدأ أنه تدرب طويلا على ما سيقوله لها...

تكلم بطريقة آلية مضحكة قال لها إنه معجب بها منذ شهور، وأنها دخلت قلبه لحظة رآها، وأنها سبب قدومه ليدفع فواتير مكالماته، وحدثها عن نفسه إنه موظف في الحكومة، وليس جامعيا... وهو وحيد أمه على ثلاث بنات، ووالدته محور حياته كما يبدو فهو يتحدث عنها كثيرا وعن كفاحها وجهدها في تربيتهم هو وأخواته بعد وفاة والده وهو صغير أخبرها أيضا عن رغبته في تعويض أمه عن شقائها في حياتها وأنه سيظل مدينا لها طوال عمره،

وتحدثت هي أيضا عن حياتها وعندما كانت تحدثه عن أمها كانت تشعر بشيء يخزها في قلبها... لم تجرؤ طبعا على إخباره أنها تشك في أمها، بدا ذلك وكأنها تعطيه فكرة سيئة عن بيئتها وبيتها...

وأخيرا سألته: هل تعرف أنني مطلقة يا راشد؟

وقال بسرعة: أجل أعرف... كنت استقصي الكثير عنك كلما سمحت لي الفرصة من زملائك... وعرفت ذلك، لابد أنه كان أعمى ليفرط بفتاة مثلك.

وقالت بحسرة: كان ابن عمي... وقد تعذبت كثيرا معه... وأخذت تقص عليه حكايتها مع هجرس... أخبرته أن أباها كان يعمل عند أبيه وإنه كانت له حصة صغيرة في تلك الشركة بينه وبين عمها والد هجرس، وعندما مات عمها ورث هجرس حصته المسجلة بالكامل باسمه بصفته ولده الوحيد، وأخبرت راشد عن موقف والدها منها منذ طلاقها مازال يدفع إيجار الشقة ويرسل لها ولأمها مصروفا شهريا... إلا أنه قاطعها نهائيا وكأنها ارتكبت خطيئة لا تغتفر بسبب طلاقها من هجرس... لا تعرف سبب خوف والدها منه ولم هو ضعيف أمامه، ربما يخاف أن يطرده من عمله!! هكذا كانت تفكر!!

واستمر الحديث بين راشد وجنات أربع ساعات متواصلة، كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحا عندما قررا إنهاء المكالمة، بدا وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنوات أو كأنهما كانا يبحثان عن بعضهما منذ زمن وهو الأصح.

وخرجت جنات من غرفتها على أطراف أصابعها لتشرب

بعض الماء من المطبخ، فلمحت مجددا سلك الهاتف المختفي في غرفة أمها، فأشاحت بوجهها بسرعة كأنها تخاف رؤية ثعبان يهدد حياتها ويكاد يبتلعها!

(21)
هند... هتاف

جلست هند أمام المائدة وهي تلتهم جبلا من البطاطا المقلية... مادام عرس هبة قد ألغي فلم تستمر في الرجيم... كانت أمها جالسة في الجهة المقابلة لها وهي تتحدث في الهاتف... مضى على طلاق هبة أسبوعان كالكابوس وحتى هذه اللحظة مازالت الأم ترد على اتصالات لا تنتهي من النساء الفضوليات لمعرفة ما حدث مع ابنتها التي تطلقت قبل عرسها بأسبوع... كانت والدة طارق متعاطفة جدا مع هبة وأتت لزيارتها مرتين منذ حدث الطلاق وفي المرتين كانت السيدة خالدة أم هبة تعاتبها على ما حدث وتحاولان معا أن تجدا حلا للمأساة التي حدثت.

فهمت الأم من هبة سبب الطلاق وصبت جام غضبها على طارق وكذلك فعل الأب فهو فخور بابنته الشابة التي وصلت إلى منصب كبير رغم صغر سنها، واتهم الأب طارق بالغيرة منها وكان يشتمه باستمرار وهو يرى ما فعله بابنته... أما هالة فكانت عادلة جدا... فهي تلوم أختها على عدم وضع النقاط على الحروف مع زوجها من البداية وفي الوقت نفسه وجدت أن عقاب طارق لها بالطلاق كان مبالغا فيه

جدا... كان بالإمكان تدارك الأمر وحله، لابد أن الغضب أعماه في تلك اللحظة... أما هيثم فقد وقف في صف أخته، فهو الذي رآها في حالتها تلك ومهما كانت أخته قد فعلت فإنه لا يرضى أن يؤذيها طارق لذلك الحد، وأقفلت الأم الهاتف وهي تقول: لقد أصبحت سيرتنا على كل لسان... غير الخسائر التي تكبدناها... يا إلهي حدث كل هذا بعد أن حضرنا كل شيء للعرس، ما هذا النحس، ليتهما تطلقا بعد الحفل على الأقل!

كان هذا شيئا لا يجب أن يقال بهكذا طريقة لكن الأم لا تلام عليه فما حدث كان هزة اجتماعية قاسية عليها... كأنها تعاني دوارا لا ينتهي بسبب صفعة قوية...

أما طارق فقد طلق هبة فعلا وأرسل إليها ورقة طلاقها... وسافر... لقد هرب من مواجهة الجميع ومن لوم أهله ومن حزنه... لقد كان يحبها حقا وفي سفره كان يبكي كالطفل كلما تذكر ما حدث...

واتصلت أم طارق في ذلك اليوم لتسأل عما سيفعلونه في شقة العريسين اللذين أضحيا مطلقين...

سيدخل شهر جديد وحرام أن يدفعا الإيجار ماداما لن يسكنا معا... وتهكمت الأم وهي تفكر بالخسائر المادية التي تكبدتها حين ألغي العرس ففستان هبة الأبيض كلفها بضعة

آلاف من الدنانير وها هو مرمي في دولابها كشهيد الخيبة والخذلان.

واتفقت السيدتان بالذهاب غدا لتفريغ الأثاث والحاجيات الأخرى... كان الموقف حزينا جدا ومحرجا لكنه واقع لابد من التعامل معه ومواجهته، وانتهت هند من وجبتها الدسمة وقامت لتطل على هبة... كانت تزعجها بلا إحساس، تدخل إليها لتنقل إليها كل ما يصل إليها من أخبار جارحة ومزعجة وهبة لا تقوى حتى على طردها، وكأن هند تستلذ بعذابها رغم أنها بلا شك لا تقصد ذلك، كانت هند تخبر هبة عن اتصال أم طارق لتصفية الشقة عندما دخلت هتاف... وسكتت هند عند دخولها ثم خرجت...

تقدمت هتاف من اختها... كانت هبة تبدو شاحبة وهالات سوداء واضحة تحت عينيها، وقد هزلت كثيرا... بدت أشبه بشبح حزين كئيب، والصدمة كانت قاسية جدا عليها... الطلاق وكلام الناس والحزن... والحب، شعرت فجأة أنها كانت تحب طارق أكثر مما تصورت، لكنها لم تستوعب قط أنه ضحى بها وطردها من حياته، كيف استطاع تطليقها بعد كل هذا الحب؟... كانت زوجته وحبيبته من قبل، فكيف أنهى كل ما بينهما بكلمة؟!

وجلست هتاف بجوارها على السرير وقالت: هيا حبيبتي

اغسلي وجهك وبدلي ثيابك.. طلبت من الخادمة أن تحضر لك شيئا تأكلينه.

وتأوهت هبة وبكت، فحضنتها هتاف وقالت: كفى حبيبتي.. ارحمي نفسك.. أخبريني يا هبة، ألم تتحدثي مع طارق بعد ما حدث؟

وومضت عينا هبة ببريق غريب وقالت: لا...

وأدارت هتاف وجه أختها نحوها ونظرت في عينيها مباشرة وقالت: ما رأيك لو حاولت؟ أرى أن حبكما يستحق المحاولة...

فقالت هبة: بعد ماذا أحاول؟ بعد أن طلقني وفضحني أمام الناس...

تنهدت هتاف وقالت: تعرفين أنني صريحة.. لقد أخطأت بحقه كان من المفروض أن تسمعي كلامه، لم عاندته يا هبة؟ المفروض أن تتركي عملك مادام لا يعجبه، لقد أحس طارق أنك تفضلين عملك عليه.

فقالت هبة بحدة: كل ما طلبته منه هو أن نؤجل حديثنا وقتها، فقد كان هائجا جدا.

هتاف: كان يفترض بك أن تمتصي غضبه بذكاء بأن تطيعيه لكنك رفضت التخلي عن عملك لآخر لحظة.. هبة

صدقيني لا شيء يعوض عيشتك بجوار الرجل الذي تحبينه ثقي بي.. تعرفين وضعي إنني أموت ألف مرة كلما رأيت نبيل وهو غائب عني ستعانين كثيرا... حاولي قد ينجح الأمر وينزاح هذا الكابوس...

وعادت هبة تبكي: لا أستطيع... الموقف أصبح أكبر مني ومنه... أهلي غاضبون جدا... الأمر ليس لعبة يا هتاف... لقد طلقني طارق... طلقني هل تفهمين؟!

فقالت هتاف بهدوء: عندما يعود من سفره سأحاول أنا، عديني أنك ستتركين العمل لأجله إن وافق على العودة إليك..

وهزت هبة رأسها... كأنها تطرد أشباحا تطاردها...

(22)
هالة

جلست هالة أمام عماد الذي أتى لزيارتها في منزل أهلها بعد إلحاح.. لم تره منذ مدة طويلة، فقد بكت وهي ترجوه أن يأتي لرؤيتها.

واستأذنت والدها ووافق على حضوره، فهو خطيبها رسميا، وطلبت من هيثم أن يبقى في البيت مراعاة للتقاليد، وبمجرد وصوله فتحت له الباب بنفسها، بدت جميلة بثوبها الأبيض البسيط الواسع الأطراف وقد سرحت شعرها خلف أذنيها وارتدت قرطا من اللؤلؤ، ياه كم اشتاقت لرؤيته، شعرت بنفسها تكاد ترتمي على صدره وتبكي.. لقد كانت أسرتها تمر بوقت عصيب منذ طلاق هبة.. وهالة بالذات تأثرت كثيرا بما حدث لأختها، ربما لأنها حساسة ورقيقة المشاعر وربما لأن في داخلها صوتا يوسوس لها أنها ربما تلاقي المصير نفسه مع عماد، فمنذ فترة اهتزت ثقتها بحبه لها، بدا وكأنه يعيش في عالم آخر بعيدا عنها، ومكالماتهما تقل يوما عن يوم، وابتسمت في وجهه بحزن ومد يده يصافحها ونظرت إليه كأنها تبحث عن مصيرها في وجهه، بدا وسيما جدا وهو يقف أمامها، وأحست به أطول من قبل، ربما خسر بعض وزنه

مؤخرا، وقادته إلى صالة استقبال الضيوف ودخل أخوها هيثم وحياه ببرود، لطالما كره عماد وشعر نحوه بالبغض، كان هيثم يراه مغرورا ومتكبرا والأهم أنه لا يستحق هالة... وصافحه عماد بحرارة مصطنعة، وبعد دقائق استأذن هيثم قائلا: سأترككما معا، وسأجلس في الصالة المجاورة، كان يكره دور الحراسة هذا لكنه مجبر عليه، ولطالما تساءل لم لا يعقدا قرانهما ماداما مخطوبين كل تلك الفترة الطويلة!

وأخيرا تكلمت هالة: أردت أن أراك اليوم لأمر هام.

وابتسم عماد لها: خير؟!

تنهدت هالة وقالت: تعرف كم عانينا جميعا بسبب ما حدث بين هبة وزوجها، كان الطلاق مؤلما لنا جميعا وتأثرت حقا بذلك، جعلني الأمر خائفة ومرتبكة، وفكرت أنه يجدر بنا التحدث بالأمر.

وتململ عماد في جلسته وقال: أي أمر؟ ما دخلنا نحن في هذا الموضوع؟

نظرت هالة مباشرة في عينيه: ربما استطعنا أن ندخل البهجة في قلوب من حولنا.. ما رأيك أن نعقد قراننا يا عماد؟

واهتزت رموشه وهو يقول: ماذا؟ في وقت كهذا سيكون الأمر غير مناسب تماما، ضعي نفسك في محل أختك...

ستشعر حتما بالألم إن تزوجنا في هذا الوقت بالذات.

فقالت هالة: بالعكس... سيعوض ذلك خسارة أهلي بطريقة ما، يجب أن نخرج من أجواء الحزن التي تخيم على البيت... لنحدد على الأقل موعدا لزفافنا... لقد مر أكثر من عام على خطبتنا هكذا كان الاتفاق حسبما أذكر.

وغضب عماد فجأة: قلت لك أن الوقت غير مناسب لتحديد أي شيء، ظروف أختك سيئة، وأهلك لايزالون في أزمتهم، كيف تفكرين بنفسك في هكذا وضع؟ لا أفهمك أبدا، ثم أنني مشغول جدا بكتابي الثاني، ولا وقت لدي للتخطيط لأي شيء قبل الانتهاء منه.

وهنا غضبت هالة: ما رأيك إذن أن نؤجل ارتباطنا إلى أن تصدر عشرة كتب، أو عشرين ربما وطبعا خلال تلك الفترة ستنكر وجودي لسنوات عدة وربما وقتها لن تجد الوقت حتى لتتذكر أنني موجودة في حياتك.

وقام عماد واقفا وهو يقول: يبدو أن أعصابك متعبة، من الأفضل أن نتكلم لاحقا.

وصرخت هالة وهي تعترض طريقه: سنتكلم الآن... أريد أن أعرف ما الذي تنويه بخصوصنا... أريد أن أعرف إن كنت تنوي الزواج بي فعلا أم لا ومعك حق أعصابي فعلا متعبة لأنك تغيرت أكاد لا أعرفك حتى منذ أصدرت ذلك

الكتاب البائس...

وتملل عماد وقام واقفاً وهو يقول: لنؤجل هذا الحديث حتى وقت آخر... عن إذنك...

وخرج... وانهمرت دموعها... دموع الخوف واليأس...

(23)
هيثم

دخل هيثم إلى صفه ﮨ معهد الرسم، لقد تغيب لفترة نتيجة الظروف التي مرت بها عائلته، كم اشتاق لهذا المكان إنه يشعر بكيانه هنا... وخلال دقائق بدأت القاعة تمتلئ بزملائه وزميلاته، كان عددهم لا يزيد على سبعة طلاب، وألقى الجميع التحية عليه، كانوا جميعا يحترمونه، فهو هادئ ومسالم لأقصى حد، والجميع يشيد بأخلاقه، ووصل الأستاذ الذي تهلل وجهه عندما رأى هيثم، وبدأ الدرس، كان الأستاذ يضع مجسما لرأس رجل وأخذ يعطي بعض الأبعاد للطلبة قبل أن يبدأوا برسمه، وفجأة فتح باب القاعة لتدخل فتاة... وقالت: آسفة على التأخير هل أستطيع الدخول؟

وابتسم الأستاذ لها وقال: تتأخرين كثيرا، لكن لا بأس تفضلي...

وتفاجأ هيثم... إنها الفتاة نفسها التي التقاها سابقا ﮨ مكتب الاستقبال... الفتاة صاحبة السيارة الحمراء الفارهة... ونظر نحوها وهي لاتزال ترتدي نظارتها السوداء، وأثناء تقدمها للدخول خلعت نظارتها، فالتقت عينيه بعينيها للمرة الأولى.. لم ير ﮨ حياته أجمل من عينيها.. عيون بنية

داكنة ومتسعة ورموش طويلة جدا... ونظرة راقصة تظهر في عينيها.. واقتربت منه وقالت: هل تسمح... لقد اعتدت الجلوس هنا... لم أكن أعلم أن هذا الدرج محجوز لك...

انتبه الأستاذ وقال: هيثم... تنح قليلا يمكنكما الجلوس معا فالدرج يتسع لشخصين...

وسحب لها هيثم كرسيا من الخلف لتجلس... حتى الآن لا يعرف اسمها... وبدأ الأستاذ يشرح، ولم يستطع هيثم التركيز فيما يقول... كان الدرس عن فن رسم الوجوه الأمر الذي كان هيثم يتوق إلى اتقانه... ولطالما اهتم بالدرس وانتبه ليتعلم ما ينقصه لكنه اليوم كان مشغول الفكر بالفتاة التي تجاوره، لاحظ أن أظافرها مقلمة بعناية ومصبوغة بطلاء شفاف لامع، وكذلك هي أظافر قدميها! ونهر هيثم نفسه، ما هذه السخافة يضيع الدرس لينظر إلى أظافر هذه الفتاة! ألا يكفي أنه تغيب لفترة وضاعت عليه عدة دروس!

وحاول أن ينتبه أكثر، وبعد عدة دقائق لاحظ أن الفتاة ترتدي خاتما جميلا على شكل وردة... يبدو الخاتم باهظ الثمن، لكن من يدري قد لا يكون من الماس، ربما كان مجرد إكسسوار رخيص، على كل حال أعجبه ذوقها، والبلوزة الصفراء التي ترتديها تبدو جميلة وملائمة للون شعرها، ومجددا شعر هيثم بالسخافة...

وبدأ الجميع يرسمون... وشعر هو بالغباء يسيطر عليه، وكأن الأستاذ أحس بشروده فتقدم منه ليساعده وخلال نصف ساعة بدأ هيثم يعمل على نحو صحيح، ومضى بعض الوقت هو يرسم... ثم قرر الأستاذ أن يأخذ الجميع راحة لمدة عشر دقائق، وخرج الأستاذ ليدخن... كان معروفا بإدمانه التدخين...

وخرج بعض الطلبة لشرب القهوة من ماكينة خاصة لذلك، ولم يتحرك هيثم... ولم تتحرك هي... ليته يعرف اسمها... وتشاغلت عنه وهي تعبث بهاتفها النقال...

وحاول أن يسترق النظر إليها، شيء ما يشده نحوها، ولاحظ أنها تضع عطرا قويا جدا... وكأنها قد استحمت بالعطر بدلا من أن ترشه... وانتهى وقف الراحة وعاد الأستاذ وأكمل الطلبة عملهم تحت إشرافه وأخيرا انتهى الدرس... وقامت هي قبل الجميع لتخرج، فقال الأستاذ يخاطبها بلهجة مداعبة: سماهر... لا تتأخري غدا.

وابتسمت في وجهه وقالت ضاحكة: سأحاول... وخرجت...

إذن اسمها سماهر... اسم غريب... وتساءل هيثم عن معنى اسمها في داخله...

(24)
جنات

مضت أربعة أشهر منذ تعرفت جنات على راشد، لقد دخل حياتها بطريقة سلسة، وكأنها عاشت عمرها كله تبحث عنه، عرف كل شيء عنها وعرفت كل شيء عنه، لقد أحبته جنات كما أحبها هو... إنه طيب لأبعد الحدود وهو محترم وطاهر، لم يطلب منها أبدا أن تلتقي به خارجا ولم يحاول أبدا أن يزعجها بأي شكل، احترم كيانها وحدودها، ورغم أنه لايزال يأتي ليدفع مكالماته كما اعتاد أن يفعل إلا أنه لم يبين لأحد أبدا أن هناك شيئا خاصا بينه وبينها، وحدها زميلتها سناء كانت تعرف بقصته معها، وجنات هي التي حكت لها فهي تحبها وتثق بها... كانت تلك الأيام هي الأجمل في حياتها بلاشك، فقد أصبح لها رجل تثق به وتحبه وكانت تدعو الله ليل نهار بأن يحقق لها حلمها بالزواج منه، وفي يوم عادت جنات من العمل وهي سعيدة، لقد كان يوما مرحا وقد أتى راشد إليها هناك لينجز معاملة خاصة به، والجميل أنها تفاجأت بقدومه.. ياه كم تحبه... إنه عزيز على قلبها.. ودخلت الشقة فوجدت أمها جالسة في الصالة كأنها تنتظرها، لم يكن من عادة جنات أن تقبِّل أمها عند عودتها من العمل

لكنها قبلتها اليوم من شدة فرحها وكان مزاجها رائعا عندما جلست بعد ذلك لتتناول الغداء مع والدتها...

وبعد الغداء قالت الأم بارتباك: جنات.. أريد أن أحادثك بموضوع مهم...

وانتبهت جنات: خيرا يا أمي؟

فقالت الأم: لا أعرف من أين أبدأ.. لكنني لا أظن أن الأمر سيكون جديدا عليكِ.. بصراحة يوجد في حياتي رجل يريد الزواج مني.

وصعقت جنات.. كان هذا آخر ما خطر في بالها.. بعد هذا العمر تتزوج أمها مجددا.. لطالما اعتبرت أن والدتها ملكا لها، لم تفكر قط أن والدتها قد تتزوج، لم تشعر يوما أنها امرأة تحتاج لوجود رجل في حياتها.. ألم تكتف بما فعله معها زوجها والد جنات! لقد عرفت بحدسها أن والدتها تحادث رجلا، وهي تستطيع تخمين أن هذا الرجل هو العم سعيد، لكنها لم تتخيل أن الرجل سيطلب يدها.

وأخيرا قالت الأم: أعرف أن الأمر صعب.. لكن يا ابنتي العمر يمضي وفي يوم ما ستتزوجين وتتركيني وحيدة كما حدث عندما تزوجتي هجرس فأنتِ مازلتِ شابة.. لكنني لست كذلك.. الأيام تمضي وأنا أكبر أكثر فأكثر، إن ضيعت هذه الفرصة فلن أجد زوجا وسأبقى وحيدة في شيخوختي

بعد ذلك...

وقالت جنات بصدق وحرارة: تعلمين أنني من المستحيل أن أتخلى عنك يا أمي.

وهزت الأم رأسها: لم أعش مع أباك سوى فترة قصيرة والحقيقة أنني لم أندم على زواجي منه، يكفي أنني أنجبتكِ أنتِ، وأنت عندي أغلى من كل شيء، لكنني أستحق فرصة ثانية تماما كما تستحقينها أنتِ.

امتلأت عيناها بالدموع وهي تسمع كلمات أمها، كلامها صحيح، جميعنا يستحق فرصة ثانية...

وهمست جنات: هو العم سعيد؟

فأومات أمها: نعم.

وسكتت جنات.. سيدخل حياتها رجل غريب.. سيكون لها زوج أم بعد كل هذا العمر، وفجأة شعرت أنها تكاد تتقيأ لكنها تمالكت نفسها احتراما لمشاعر أمها.. وساد صمت طويل وأخيرا نطقت الأم: جنات هناك أمر آخر أريدك أن تستوعبيه...

وكادت جنات أن تصرخ: ماذا أيضا؟ ألا يكفي ما سمعته للتو!

فقالت الأم: يريدني العم سعيد أن أنتقل إلى بيته الخاص بعد الزواج، لا يريدني أن أبقى في هذه الشقة، يحتاج إلي

لأنظم له حياته هو وأولاده.. لديه ولدان في الجامعة وزوجته السابقة توفيت قبل ثلاثة أعوام.

كانت تلك المعلومات جديدة على جنات.. وللحظة لم تستوعب ما قصدته أمها،

فقالت الأم بحزن: لن تستطيعي الانتقال معي إلى بيته يا ابنتي، فأنت شابة ووجودك بين أولاده قد يسبب المشاكل.

وهنا ثارت ثائرة جنات: ماذا تقولين؟ تقولين إنك ستغادرين شقتنا لتهتمي ببيته وأولاده؟ ماذا عني أنا؟ أنا ابنتك أنت؟

وبكت الأم وهي تقول: لقد تناقشنا طويلا في هذا الموضوع، أرجوك يا ابنتي تفهمي الوضع، لا يمكنك الانتقال معي، وهو يحتاج وجودي في بيته وهذا شرطه للزواج مني.

وصرخت جنات: وأنا؟؟

فردت الأم من بين دموعها: تستطعين البقاء هنا والاعتناء بنفسك، سأحضر لك خادمة تبقى معك، لقد أصبحت كبيرة كفاية لتعيشي وحدك.

ولم تطق جنات سماع المزيد، قامت إلى غرفتها ودموعها تجري على وجنتيها كالأنهار، وصفقت بابها بعنف، ياللهول، معقول أن تفعل والدتها بها كل هذا! كيف قبلت بذلك.. وتركتها أمها في غرفتها وحدها.. ولم تلحق بها وبعد ساعة رن هاتفها النقال.. إنه راشد، وردت عليه باكية وأخبرته

بما حدث.. ودموعها تمزق كلماتها، ورق قلبه على حالها وهو يحاول تهدءتها وأخيرا قال تلك الكلمات التي كانت بلسما شافيا لجروحها: جنات أظن أنني وجدت الحل لمشكلة زواج أمك.. لن تبقي وحيدة بعد ذلك.. سأتقدم لخطبتك.. وسنتزوج قبل أن تفعل أمك.. وستعيشين معي.. أنا أحبك ولا أستطيع الحياة من دونك سأفاتح أهلي بالأمر وسآتيك خاطبا...

وسكتت جنات وكأن دموعها قد جفت فجأة...

أخيرا ستتزوج منه كما حلمت..

وقالت بإخلاص وشكر: أحبك يا راشد...

(25)
هند

كانت هند تجلس مع الناظرة ذلك الصباح وتتناول إفطارها معها، بدت الناظرة هادئة وهي تستمع إليها.. كانت هند تتحدث عن إحدى زميلاتها وعن مدى تكبرها...

بدا وكأن حديثها لن ينتهي فقاطعتها الناظرة قائلة: دعينا من تلك الحكاية الآن فأنا أريدك في موضوع مهم وخاص وما سأقوله لك أريده سرا... اتفقنا؟

ورغم صعوبة احتفاظ هند بالأسرار لنفسها إلا أنها مضطرة لذلك في حال كان الأمر يخص الناظرة بالذات وانطلقت الناظرة تقول: اسمعي ما سأقوله وركزي معي... لدي أخ في السادسة والأربعين من عمره، متزوج منذ عشرين عاما وله أربعة أولاد، زوجته عصبية جدا وشرسة.. وهو تعيس معها ولولا أولاده لكان طلقها منذ زمن، أصيب أخي بالاكتئاب سابقا بسبب زوجته وبعد جهد وعناء اقتنع بالزواج عليها عله يجد امرأة تعوضه الراحة التي لم يجدها مع زوجته.

سكتت الناظرة قليلا وهي تنظر إلى هند التي كان وجهها مضحكا وهي مندمجة فيما يقال لها لأقصى حد، وواصلت

الناظرة كلامها قائلة: بصراحة..قررت أن أفاتحك أنت في الموضوع.. ما رأيك بالزواج من أخي؟

واهتزت رموش هند فوق عينيها .. لم تتصور يوما أن تطلب الناظرة مصاهرتها، ألهذه الدرجة تثق بها وتحبها!

هكذا فكرت هند بسذاجة... وشعور عارم بالفرح يتراقص في صدرها.. وسكتت لبرهة ثم قالت: صحيح حضرتك تخطبينني لأخيك؟ كيف فكرت فيّ؟

فقالت الناظرة: أنا أثق بولائك لي، وأعرف أنك ستؤنسين أخي.. أجدك مسلية جدا يا هند، بالإضافة إلى أن سنك مناسب لأخي ولا أظنك ستمانعين.

وامتعضت هند عندما ذكرتها الناظرة بسنها وكأنها تذكرها بأن فرص الزواج قلت جدا لمن هن في عمرها وإن كان ذلك ليس صحيحا بالضرورة لكن في حالة هند لم يتقدم أحد لخطبتها منذ زمن بعيد، وهي تريد الزواج بأي شكل، أخواتها البنات كلهن مرتبطات أو كن كذلك على الأقل! هي وحدها التي لم تحظ بأي فرصة أو تجربة وهذا الأمر شكل لها عقدة نفسية وكان يدفعها إلى محاولة لفت الأنظار والاهتمام إليها بإثارة الفتن والمشاكل.

هزت هند رأسها وهي تقول: أنا موافقة.. لكن يجب أن أستشير أهلي، أريد منك بعض المعلومات عن العريس...

وأخذت الناظرة تحكي لها عنه، اسمه مسعود ويعمل في شركة يملكها.. شركة لبيع الأدوات الصحية، لم يكن ثريا، لكنه ميسور الحال.. وتفاصيل كثيرة عرفتها هند وهي تكاد تطير من الفرح.

وبمجرد عودتها إلى البيت في ذلك اليوم أخبرت أمها بما حدث، وتفاجأت الأم بالخبر وعندما سمعت التفاصيل شعرت بالقلق وقالت: لكنه متزوج يا ابنتي.

فردت هند: الشرع حلل الزواج بأربع نساء..لا أظنها مشكلة مادام ميسور الحال وقادرا على فتح بيت جديد!

الأم: الأمر ليس بهذه البساطة.. قد تحدث مشاكل كبيرة إذا عرفت زوجته، هل تدركين معنى أن تتزوجي برجل متزوج؟ حتى حياتك معه ستكون ناقصة لن يكون لك بالكامل ستعيشين أياما طويلة وحيدة مع الوحشة والغيرة.. وقد تشن زوجته حربا ضدك فتحرمك من الراحة والاستقرار..

فقالت هند بإلحاح: أمي أرجوك وافقي واقنعي أبي، سيفوتني قطار الزواج إن لم أقبل، لم يتقدم لي أحد منذ زمن، وأنا أريد أن أجرب حظي، أرجوك يا أمي أرجوك.

كانت الأم أكثر شخص يحس بمعاناة ابنتها وبظروفها وشيء ما في عقلها كان يعذرها للموافقة على هكذا زواج، فابنتها عادية الجمال ولم يتقدم لها أحد منذ سنوات، بالإضافة

إلى أن أخواتها الأخريات نلن حظهن من الإرتباط.. مسكينة هند، ورغم موقف الأم الصارم من زواج زوجها من ثانية قبل سنوات ورغم أنها اعتبرت زواجه عليها جريمة لا تغتفر ولم تسامحه عليها حتى الآن، إلا أنها تقبلت نوعا ما ما تفعله ابنتها، ربما كانت مصلحة الإنسان الخاصة تبرر له الكثير من المحظورات إذا كان الأمر سيعود عليه بالفائدة وإن حرّمه على الآخرين!

غريبة هي النفس البشرية! بداخلها الكثير من الشر، فكرت الأم بذلك وهي ترى ابنتها وقد ظهرت بعض التجاعيد الخفيفة بجوار عينيها، لقد كبرت، إنها ستكمل السابعة والثلاثين بعد شهرين، وتنهدت الأم قد تكون هذه آخر فرصة لها حقا ومن سيتقدم لفتاة في عمر هند سوى المتزوجين أو المطلقين أو رجل أرمل إن كانت محظوظة!

وهزت الأم رأسها وهي تقول: دعيني أفكر بالموضوع ويجب أن نقابل الرجل ونتحقق من نواياه.

وكادت هند تطير من الفرح وخلال ساعة أخبرت جميع أخواتها بالموضوع، لقد تقدم لها شاب، لقد خطبت، ليست أقل منهن الآن... سيدخل حياتها رجل وعن قريب..

واجتمعت العائلة في تلك الليلة والكل يناقش موضوع هند، حتى هتاف اتصلت بها أمها لتأتي...

كانت الآراء متفاوتة.. تعاطفت هتاف مع أختها وقدرت دوافعها رغم أنها ما كانت لترضى لو أن زوجها تزوج عليها أبدا.. لكنها كانت تلوم الزوجة الأولى التي لم تحافظ على زوجها،

هبة كانت صامتة، لم تعلق على الموضوع فهمها يكفيها وحزنها جعلها ترى الزواج أشبه بسجن موحش، كانت تظن أن هند ستكون أسعد حالا لو ظلت بلا زواج لكنها لم تفصح عن رأيها!

هالة كانت مصدومة بموافقة أهلها على زواج كهذا، وصرحت عن رأيها علانية أنها لا تقر هكذا زواج وقالت لهند مباشرة: ضعي نفسك مكان زوجته الأولى كيف تبنين سعادتك على تعاسة امرأة أخرى؟ ثم كيف ستثقين برجل تزوج بك على زوجته؟ ألا تخافين أن يأتي يوم ويتزوج عليك؟

وغضبت هند: تظنين أن لدي الكثير من الخيارات مثلكِ؟ هل تعرفين كم عمري؟

وسكتت هالة برهة... ثم قالت: أيا كان عمرك. لست في الشارع.. أنت بين أهلك معززة مكرمة ولديك وظيفة وتستطعين إعالة نفسك، لست بحاجة لنصف رجل لتعيشين حياة كريمة!

كانت كلماتها قاسية وصريحة.. ورغم ذلك أحس هيثم

أنها منطقية وعادلة!

لم يكن هيثم يؤمن كرجل بأن قلب الإنسان قادر على حب شخصين في وقت واحد، لا يتخيل نفسه متزوجا من امرأة يبثها حبه وإحساسه، ليذهب في اليوم التالي إلى امرأة مختلفة ليبثها حبه وإحساسه أيضا... إنه كرجل لا يستطيع فعل ذلك أبدا!

واحتدم النقاش وهند تدافع عن رأيها بحدة وشراسة لم يعرفها أحد عنها سابقا.. والأب صامت لا يعلق، يخاف إن تدخل أن تغضب الأم منه وتعود إلى معايرتها له بأنه تزوج عليها في وقت مضى.. وأخيرا حسمت الأم الموضوع وقالت: الأمر بيد هند وحدها، اسمعي يا ابنتي أظنك كبيرة كفاية لتتخذي قرارك، أخبري الناظرة أن تتصل بي لنحدد موعدا لنرى العريس ونجلس معه.. هذا حقك مادمت تريدينه وليس لأي منا الحق في منعك من الزواج مادمت راضية..

وقامت الأم واقفة وهي تحدق في زوجها بنظرة ثاقبة، وفهم هو قصدها!

(26)
هتاف

جلست هتاف مع شادن في مقهى مشهور وهما تتجاذبان أطراف الحديث، كانت هتاف غاضبة لتمادي صالح زميلها في العمل في محاولاته للتقرب إليها، فقالت شادن: ما رأيك لو أخبرت سهيل؟ سيلقنه درسا لن ينساه

فردت هتاف: لا أدري حقا إن كان من الصواب إقحامه في موضوع كهذا، أخاف أن يكبر الموضوع، حاليا أقوم أنا بصده بطريقة مهينة، لكن ما يضايقني أنه يعاكسني كما لو كنت بلا زوج.

والتقت عيناها بعيني شادن فأطرقت شادن وكأنها تهرب من هتاف.. فكرت بداخلها إن هتاف فعلا بلا زوج، فمنذ خمس سنوات كاملة وزوجها راقد في المستشفى كالأموات...

ونظرت هتاف إلى ساعتها وقالت: ما رأيك لو أتيت معي إلى المستشفى.. بما أن اليوم عطلة فهل تمانعين بمرافقتي؟

تلعثمت شادن.. كانت تكره الذهاب إلى ذلك المكان.. تحس أنها في عالم آخر.. أشخاص يرقدون بلا حراك، أشخاص فقدوا إحساسهم بما يدور حولهم، أشخاص بين الحياة والموت وأهل يتعذبون وهم يتأرجحون بين الأمل واليأس

بعودة هؤلاء الأحباب.. ولم تحب شادن أن تخيب ظن هتاف فقالت: حسنا سآتي معك..

كادت تقول لها أن تلغي زيارتها اليوم، لا فرق إن ذهبت إليه أم لا، لكن هتاف تؤمن أن نبيل يسمعها وينتظر قدومها، كما تنتظر هي عودته إلى الدنيا، وركبتا معا في سيارة شادن، وفي الطريق تحدثتا قليلا عن هبة، قالت هتاف بحزن: ليتها ضحت بكل شيء كي تبقى مع زوجها، إن الأيام التي نقضيها مع أحبائنا غالية جدا... لا يجب أن نسمح لأي شيء بتعكير صفوها..

ووصلتا معا إلى المستشفى.. وسارتا حتى وصلتا إلى قسم العناية المركزة، واستأذنت هتاف لتدخل إلى زوجها.. وتقدمت شادن بضع خطوات حتى وصلت إلى سريره.. كانت تستطيع رؤيته عبر نافذة زجاجية وهي بالخارج.. وللحظة خفق قلبها بعنف، لقد بدا لها وكأنه زوجها سهيل، واستعاذت بالله، إن الشبه بينهما كبير.. فهما توأمان متطابقان، ولمحت هتاف قد ارتدت لباساً خاصاً وهي تخطو نحوه، وانحنت هتاف وقبلت رأسه ووجنتيه.. واستدارت شادن وقد انحدرت دموعها.

كانت زيارة حزينة ومؤلمة... ومشت شادن في الممر فوجدت امرأة تمسك مصحفا ودموعها تنهمر وهي تقرأ القرآن الكريم.. كانت المرأة شبه منهارة.. واكتأبت شادن

وهي تراها على هذه الحال، ورفعت المرأة رأسها وقالت وهي تشير إلى ولدها القابع وراء النافذة الزجاجية إنه ولدي.. هناك في غيبوبة.. عمره ثمانية عشر عاماً، تعرض لحادث.. لقد أصبحت السيارات أشبه بالتوابيت مئات الشباب ذهبوا ضحاياها... ولم تتمالك شادن نفسها فاحتضنت المرأة الباكية وامتزجت دموعهما معا.

(27)
هالة

جلست هالة على سريرها في منتصف الليل وهي تقلب الدبلة في يديها، لم تعد لهذه الدبلة أية قيمة.. حقا إنها مجرد خاتم يحيط بأصبعها بلا معنى، فصاحب هذه الدبلة بعيد عنها بروحه وفكره، ولا تظن أن هذا الخاتم سيتنقل يوما إلى يدها اليسرى، وابتسمت بحزن كأنها ترى نفسها، إن أحدا من أهلها لا يسألها شيئا عن مصير خطيبها أو موعد زواجها المجهول، كانوا مشغولين بعرس هبة، ثم بطلاق هبة، والآن بخطبة هند، وهي نفسها لا تملك الإجابات على تلك الأسئلة.. أو بالأخص تملكها وتشعر بها واضحة جلية أمامها لكنها لاتقوى على مواجهتها، يقال إن الكتاب يظهر من عنوانه، تباً لكل الكتب، لقد قضى كتاب عماد على سعادتها.. وكتابه الثاني بلاشك سيقضي على خطوبتها.. ماذا تنتظر.. ولماذا تؤجل المواجهة بينها وبينه، وتنهدت.. إنها لاتزال تحبه.. لكنه أصبح حباً ممزوجاً بالألم، لم يعد حباً جميلاً وصافياً، إنه حب مريض، ويحتضر ربما، إنه حب أقرب إلى أن يكون من طرف واحد، طرفها هي، مضت شهور منذ التقت به في بيتها، وخلال هذه الشهور تباعدت عنه أكثر وأكثر، حتى

مكالماتهما قبل النوم أصبحت نادرة، وكثيرا ما كان الصمت يسودها، وكأن الكلمات هربت من قصتهما ولم يبق سوى الخواء، وتذكرت اللقاء الإذاعي الذي سمعته صدفة مع عماد ذلك الصباح، وحديثه عن الحب وقلبه الخالي الذي ينتظر الحب، وإهداءات له من معجباته، لقد شعرت وقتها أنهن أقرب منها إليه، وأخيرا رفعت سماعة الهاتف واتصلت به، كانت لديه مكالمة أخرى، نظرت إلى الساعة كانت تشير إلى الثانية عشرة والنصف ليلا، تُرى مع من يتحدث.. وانتظرت عشر دقائق واتصلت... لازالت المكالمة الأخرى مستمرة، وفي الواحدة صباحا أعادت الاتصال.. فأجابها على عجل: أهلا هالة هل من خطب؟

فقالت: أيجب أن يكون هناك خطب ما لأتصل بك؟

فقال: أنا مشغول قليلا الآن، ما رأيك لو تحدثنا لاحقا؟

فقالت: لا أريد أن أعطلك لكنني أردت أن أنهي المسألة معك اليوم، لا داعي لتأجيل الموضوع أكثر من ذلك.

فقال: أي موضوع؟

فردت هالة بصوت بارد: موضوع خطبتنا.. لقد خطبتني في وقت كنت فيه ضائعا بين حبك للكتابة وبين عملك في الهندسة، وعندما تغلب حبك للكتابة على عملك، تغلب أيضا حبك لنفسك على حبك لي، لم أعرف في حياتي شخصا

أنانيا مثلك يا عماد، لقد أنكرتني وتكبرت عليّ، بل واستهنت بوجودي في حياتك، بت تحاول إخفائي، عندها عرفت أنني لا أعني لك شيئا، ولأنني أرفض لنفسي هذا الوضع فأنا أعلنك الآن أنني من هذه اللحظة أعفيك من الارتباط بي، عماد يمكنك أن تعتبر أن خطوبتنا قد فسخت من هذه اللحظة.

وساد صمت.. لم يرد عليها برهة.. وأخيرا سألها: أأنت متأكدة من قرارك هذا؟

فقالت بألم: أجل..

فقال: حسنا.. ليكن إذن ما تريدين...

وفي تلك اللحظة ألقت هالة سماعة الهاتف وأقفلت الخط في وجهه..بدا لها الأمر وكأن عقربا لدغها، لقد كان ينتظر اللحظة التي يتخلص بها من ارتباطهما وللحظة شعرت هالة أنها ستبكي... لكنها تمالكت نفسها فمثله لا يستحق دموعها...

وخلعت دبلته وفتحت النافذة ورمت بها إلى الشارع بكل قوتها.. وكأن قلبها انخلع وراءها... عندها انهمرت دموعها غصبا عنها.

(28)
هبة

دخلت هبة إلى مكتبها وهي بكامل نشاطها، كان جدولها مزدحماً لهذا اليوم، وبدت وهي ترتدي بدلة كحلية اللون وقميصاً أبيض مزركشاً أشبه بمضيفات الطيران... كانت بدلة غالية الثمن من إحدى دور الماركات العالمية وقد أظهرت طولها واتساق جسدها، فاليوم لديها عقد مهم سيتم توقيعه مع عميل خليجي، كانت منذ طلاقها تعمل بكد وجدية أكثر مما فعلت طوال حياتها، لقد أحست هبة أنها ضحت بالكثير من أجل وظيفتها وبالتالي فإن أقل ما تريده هو التميز والنجاح في عملها.

ورفعت هاتفها وقالت بلهجة آمرة: عبداللطيف... هل غرفة الاجتماعات جاهزة؟

لقد أصبحت مديرته منذ فترة، فقال باستسلام: نعم كل شيء جاهز.

فردت عليه: عظيم... تأكد أن جهاز العرض جاهز ويعمل لا أريد أخطاء كما في الاجتماع السابق.

وقبل أن تسمع رده أغلقت الهاتف في حين كاد هو أن ينفجر من الغيظ!

وكما أرادت هبة كان الاجتماع أكثر من ناجح، عكست صورتها نموذجا للمرأة العملية الجميلة والذكية، وأجابت على أسئلة العميل إجابات دقيقة تنم عن معرفة وخبرة في سوق الاستثمار والأسهم.

وبعد انتهاء الاجتماع صافحها الرجل بإعجاب نطقت به عيناه، لقد أعجب بها كصياد يرى غزالاً شاردا فيلاحقه، ومنذ طلقت هبة اكتشفت أن الرجال أشبه بالذئاب وكأن دبلة الزواج التي كانت تطوق اصبعها سابقا كانت تحميها من الكثير من المواقف والاختبارات، كثيرون أصبحوا يعاكسونها ويحاولون التقرب منها، ولأن أكثرهم شخصيات تحتاج إليهم في عملها، كانت لا تستطيع تخطي حدود المجاملة وهي تصد محاولاتهم، ورغم احتكاكها بهذه النوعية من الرجال، مازالت لا تغفر لطارق رغبته بأن تترك عملها، كانت هبة تشعر بالظلم كلما تذكرت قصة طلاقها، صحيح أنها كذبت عليه لكنه عندما طلقها قتلها، أجل لقد قتلها فعلا، وثوب عرسها المرمي في دولابها كالكفن الذي يتراءى لها ويذكرها بأنها طلقت قبل اسبوع من زواجها، ياه كم عانت من كلام الناس وتطفلهم، اشاعات وحكايات كثيرة آلمتها وأزعجتها، بدت وكأنها الموضوع الوحيد الذي يشغل الناس، كأنهم تركوا مشاغلهم والتزاماتهم ليتفرغوا بالحديث عن حياتها

ومصابها، لم يرحمها أحـد... سوى أهلها... أمها وأبيها وإخوتها رغم تفاوت آرائهم حول موقفها من عملها إلا أنهم أظهروا لها كم يحبونها ويخافون عليها...

وانتهى وقت الدوام والتقطت حقيبتها الكبيرة لتخرج من المكتب...

في تلك الأثناء وقفت سيارة رياضية على ناصية الشارع على بعد قليل من سيارة هبة، كان الشاب الجالس داخلها هو طارق!

إنها سيارة صديقه لقد استعارها منه كي لا تعرفها هبة، وقد غطى وجهه بالغترة وارتدى نظارة شمسية حجبت معظم ملامح وجهه، لقد أتى ليراها... ولو من بعيد، لقد اشتاق إليها ومرت عليه لحظات طويلة من الألم والندم، أجل لقد ندم على أنه طلقها... لكنها لم تكن تريد ترك عملها على أي حال، شعر أنها تفضل عملها عليه، حتى وهو في قمة غضبه ذلك اليوم لم توافق على الانقياد له ولو على سبيل المسايسة على الأقل حتى ينطفئ غضبه، لقد تحدته ففقد عقله، ووالدته لاتزال غاضبة منه لأنه طلق هبة، لقد وضع الأسرتين في موقف حرج، وتنهد وهو يفكر بها... وأخيراً خرجت هبة من باب الشركة، ونظر إليها ودقات قلبه تناديها من بعيد... بدت وكأنها ازدادت جمالاً، لقد خسرت الكثير

من وزنها وبدت أطول من قبل، لكن مهلاً هناك شيء مختلف في وجهها، لقد بدت ملامحها قاسية، أجل التعبير المرتسم على وجهها عكس قساوة لا متناهية... لم يكن يتخيل أن وراء تلك القساوة قلباً يعصره الألم، ومرت هبة أمام سيارته تماماً وفي لحظة ما تمنى لو فتح الباب وشدها إليه عنوة، تمنى لو رمت بنفسها فوق صدره كما فعلت ذلك اليوم، لكان أدخلها بين ضلوعه واحتفظ بها بين أحضانه إلى الأبد... وتقدمت هبة نحو سيارتها وركبت وخلال دقيقتين غادرت المكان وذهبت... وبقي طارق بعدها وكأنه يستنشق عبيرها من حوله.

مكتبة
t.me/t_pdf

(29)
هيثم

فتح هيثم فمه دهشة وهو يرى سماهر تدخل قاعة الدرس وهي ترتدي ثوباً ضيقاً بلا أكمام! بدت وكأنها خرجت من بيتها بملابس خاصة بالنوم أو السهرة؟!

يالها من فتاة جريئة، أين أهلها؟ كيف يسمحون لها بالخروج أمامهم بهذا اللباس الفاضح!

واقتربت لتجلس بجواره فوصل إليه عبير عطرها القوي، إنه يكره هذا العطر، يشعر أنه قوي كغاز خانق... لطالما أحب العطور الخفيفة الرقيقة، ثم إنه متأكد أنها تستحم بالعطر كل صباح!

وألقت عليه التحية فأجابها بصوت خافت... وجلست وهي تسترق النظر إليه، وللحظة شعر وكأنها تريد محادثته... لكن ماذا عساها تقول له! لاشيء يربطه بها... سوى انجذابه إليها ونفوره من ملابسها وعطرها!

كانت تعجبه بجمالها... إن فيها شيئاً يشده إليها، لكنه يستنكر تحررها... بدت كفرس تحتاج إلى ترويض، وكان هو أبعد ما يكون ليفعل ذلك... هكذا فكر بداخله، وفجأة سألته سماهر: بماذا تفكر؟

وتفاجأ بسؤالها وقال: أنا!

فابتسمت وقالت: أشعر أن بداخلك محادثات طويلة، ليتني أستطيع سماعها.

فقال: ولماذا تريدين سماعها؟ بماذا تهمك محادثاتي؟

فقالت بجرأة: لا أستطيع أن أقول أنها تهمني، لكنني فضولية بعض الشيء.

ورد هيثم: أنا لا أحب الفضول ولا أطيقه.

فضحكت: رغم أنني أكاد أجزم بأنك تشعر بالفضول نحوي... أشعر أنك تريد أن تسألني الكثير كلما رأيتني.

فقرر هيثم أن يتحداها: صحيح... إنني أشعر بالفضول من طريقة استعمالك للعطور، هل ترشينها حولك أم تصبينها فوقك؟ وأيضا ملابسك هل تشعرين أنها لائقة لحضور معهد فني في هذا الوقت من النهار؟ وأنا أكثر فضولا أيضا لأعرف مادمت لا تتمالكين نفسك عندما تسمعين الأغاني فتهتزين طرباً، لم إذن تسمعينها في السيارة وسط الشارع؟؟

وصُدمت سماهر... بدا لها أن كلامه كان أكثر الكلام الذي سمعته في حياتها وقاحة وإهانة! ثم ردت عليه بحدة: يبدو أنك تخطيت حدودك، لقد كنت أمازحك لا أكثر فإذا بك تحاول إهانتي... من تظن نفسك حتى تنتقدني بهذه

الجرأة؟ لن أسمح لك بالتعدي علي أبداً هل تفهم؟
وقامت واقفة وهي ترتجف من الغضب وخرجت من الصف...

(30)

جنات

جلس راشد في أحد المطاعم وهو ينتظر قدوم جنات... كان على موعد معها وقد ألح عليها للمرة الأولى كي يراها وحدهما... فالكلام الذي يريد قوله لها لا يصلح أن يقال على الهاتف. بدا راشد متوتراً وهو يفرك يديه الواحدة بالأخرى إنه لا يعرف ما الذي سيقوله لها... وكيف سيقول له ما حدث معه عندما فاتح والدته برغبته الزواج منها، كان الأمر أشبه بملحمة وطنية، فبمجرد أن حكى لوالدته عن جنات وظروفها حتى تحول الحديث إلى صراخ ونواح، صرخت والدته: هل جننت تريد الزواج بامرأة مطلقة؟؟ لماذا؟؟ ماذا ينقصك لتتزوج منها، هي مطلقة وأمها مطلقة من أين نزلت علينا هذه المصيبة! وحاول راشد الدفاع عن حبيبته، ما ذنبها إن كانت لم توفق في زواجها الأول وما ذنب والدتها أيضا إن كانت طلقت، هل يستطيع الإنسان التحكم بظروفه وقدره، لكن والدته صمت أذنيها عن ندائه ودفاعه وأخذت تلطم خديها وتبكي: ابني الوحيد يتزوج مطلقة من الشارع... يتزوج من شقة للمطلقات!

وكاد راشد أن يجن فهو أعرف الناس بأخلاق جنات

وحسن تربيتها... لقد وجد فيها من الحياء والأدب ما تفتقده الكثيرات من بنات العائلات الكبيرة وزوبعة كبيرة أثارتها أمه وأخواته الثلاث تدخلن بالموضوع وفجأة وقعت أمه على الأرض ونقلوها إلى المستشفى، لقد ارتفع ضغطها كثيراً... وقالت وهي على السرير: لن أرضى عليك إن تزوجت تلك الفتاة... لن أوافق أبداً على هذا الزواج إن كنت تريد قتلي يا راشد فافعل ذلك بزواجك منها... وتنهد راشد بحسرة.

وفي الطريق كانت جنات تفكر بالموضوع المهم الذي طلبها راشد للتحدث فيه، لابد أنه يريد الحديث معها عن ترتيبات الزواج، الحمد لله أن راشد سينقذها من وحدتها وضياعها خاصة وأن والدتها قررت الزواج الشهر القادم، لقد صارحت والدتها بعلاقتها براشد، لقد بدا زواجها منه هو الحل لمشكلة بقائها وحدها، وقد فرحت والدتها أما كثيرا بهذا الحل... ووصلت إلى المطعم، وابتسمت ابتسامة كبيرة وهي ترى راشد ينتظرها على طاولة تطل على البحر، وتقدمت منه، ولمحها راشد وغاص قلبه في صدره، بدت حلوة وبريئة لأقصى حد، وبشرتها مشربة بحمرة الانفعال والترقب، وصعب عليه ما سيكون عليه حالها بعد أن تعرف ما ينوي إخبارها به، وجلست وهي تلقي عليه التحية، لم تلاحظ جنات امتقاع وجهه وتوتره، كانت سعادتها أكبر من

أن تلاحظ ما يعانيه، وقالت بلهفة: لا تتصور كم أنا سعيدة يا راشد، أخيراً سنجتمع معاً في بيت واحد... لا أعرف ما كنت سأفعل لو لم تكن معي...

وأطرق راشد ثم قال: جنات... هناك أمر يجب أن تعرفيه...

ووجمت قليلاً وقد لاحظت أن هناك شيء غير طبيعي في راشد، وقالت بقلق: ماذا حدث، أخبرني أرجوك، لقد أخفتني...

وقال راشد: لا أظن أننا نستطيع الزواج... أهلي غير موافقين على ارتباطنا.

وقالت بسرعة: لماذا؟

فتنهد بألم وقال: لأنك مطلقة... ولأن أمك أيضا مطلقة و...

وصرخت جنات: كفى... أرجوك لا تكمل.

لقد شعرت بكلماته كرصاص يخترق قلبها، وقال بصوت خافت: أنا آسف حقاً... لقد ثارت والدتي وارتفع ضغطها ومازالت في المستشفى حتى هذه اللحظة... إنها رافضة تماما وأخواتي يوافقنها و...

وقاطعته جنات وقامت واقفة وهي تقول بصوت لا حياة فيه: هذا يكفي يا راشد... لا تكمل أرجوك.

ومد يده وأمسك معصمها وهو يقول: إلى أين تذهبين؟

وشدت يدها منه وقالت بحزم: لم يبق بيننا كلام يقال... الوداع يا راشد...

وأعطته ظهرها خرجت مسرعة من المطعم... وهي تكاد لا ترى طريقها وسيل من الدموع ينهمر على خديها...

(31)
هند

جلست هند أمام العريس في حين جلست والدتها مع أخته الناظرة وهما تتبادلان المجاملات...

كان الرجل متوسط الطول، عريض المنكبين، جسده ممتلئ بلا سمنة وعيناه واسعتان وعميقتان، بدت هند سعيدة وهي تؤدي دور العروس وقلبها يتراقص طرباً وهي تعيش لحظات الخطوبة... لقد جُنّت بالعريس منذ رأته، وأعجبها حالاً... وبدا هو خجولاً ومتوتراً أكثر منها، وقالت الناظرة: بصراحة أخي يفكر بالزواج منذ مدة طويلة، فزوجته الأولى عصبية جداً... وكما أخبرت هند من قبل لقد بقي معها لأجل أولادهما، إنه يريد زوجة مطيعة ولطيفة تسعده وتريحه وهند تمتلك كل المواصفات التي يبحث عنها...

فردت الأم: هذا من ذوقكِ...

وبعد فترة قصيرة بدأ العريس يسأل هند بعض الأسئلة ويخبرها بعض التفاصيل عن حياتهما المستقبلية، بدا لها وكأنه يناقش صفقة مدروسة وهو يحادثها قال لها أنه يحترم زوجته وأنها أم أولاده الذين يحبهم كل الحب وأوضح لها أنه سيقسم لياليه بينهما بالعدل وشدد على أنه لا يرغب بإخبار

زوجته بأنه سيتزوج عليها إلا بعد أن يعقد قرانه على هند... وبعد أن يجد الفرصة المناسبة لإخبارها، كان مسعود صريحا جداً وشروطه كانت واضحة تماما الأمر الذي لم يعجب الأم التي أحست أن هذا الزواج يبخس ابنتها قدرها، لقد بدا الأمر وكأنه يخطط لزواج سري أكثر منه زواجاً علنياً... لم تكن الأم تتمنى لابنتها نصيب كهذا، نصف زوج يقسم لياليه بين ابنتها وامرأة أخرى، وأخذت الأم تتأمل ابنتها وهي تهز رأسها علامة الموافقة على كل ما يقوله مسعود، وسرحت بعيدا، لقد أنجبت هند في بداية زواجها ثم أصيبت بمرض في ظهرها، واستغرق علاجها شهوراً طويلة وأجريت عملية جراحية لها ولم تنجب هتاف إلا بعد سبع سنوات كاملة، لقد كانت هند محور حياتها لفترة طويلة قبل مجيء باقي إخوتها، ولم تتخيل الأم أنها ستتأخر بالزواج لهذا العمر وأن نهايتها ستكون مع نصيب كهذا... وكادت الدموع التي ترقرت في عينيها تنهمر لولا رباطة جأشها، مسكينة هند، بل لعل زوجته الأولى هي المسكينة فقد خاضت هي هذه التجربة يوما ولولا أن ضرتها أنجبت بنتا خامسة لزوجها لربما كانت على ذمته حتى الآن، لقد كانت محظوظة فحسب، لكنها لم تنس تلك الطعنة أبداً، لقد تغيرت مشاعرها نحو زوجها عبدالوهاب منذ عرفت أنه تزوج عليها... وانتبهت الأم إلى

الناظرة وهي تقول: يتزوج العريسان ثم يسافران لأسبوع ما رأيك؟

فقالت واجمة: اسبوع واحد فقط؟

فردت الناظرة وكأنها ترى هذا الأسبوع كافياً على هند: تعلمين أن لديه زوجة أخرى، وليس من مصلحة هند أن تعرف زوجته في البداية.

فقالت الأم بحدة: وماذا نقول للناس؟ ألن نخبر معارفنا بزواج ابنتنا؟ لا تنسي أنها أول فرحتي وابنتي البكر.

وردت الناظرة كأنها تعايرها: يمكنكم إخبار المقربين، لكن لا تعلنوا اسم أخي كاملاً أمام الناس، ويكفي أن الزواج سيتم وستحظى هند بزوج أخيراً وهي بهذا العمر.

وللحظة تمنت الأم لو طردت هذه المرأة المتعجرفة وأخاها شر طردة، لكنها صمتت... لا تريد أن تجرح ابنتها... قد لا تتزوج بعدها أبداً وتظل تلومها طول عمرها... ومن يدري أين الخير، قد يكون هذا الرجل مناسباً... يبدو لطيفاً ومحترما على كل حال.

وتم الاتفاق على أن يقابل والد هند العريس ثم يتم تحديد موعد الزواج، وإن كان الموعد مبدئياً بعد اسبوعين، وخرج العريس وأخته وهند سعيدة تكاد ترقص في خطواتها... كانت سعيدة ولا مبالية، حتى وإن كانت سعادتها مبنية على

تعاسة امرأة أخرى... المهم أن تبني بيتاً حتى لو كان على أنقاض بيت آخر... لا يهم ومن يدري لربما كان لها عذرها فيما فعلت!

(32)
هتاف

دخلت هتاف على نبيل كعادتها كل يوم، كانت تشعر بالحزن الشديد أكثر من أي وقت، فاليوم كان عيد ميلاده، واقتربت منه، وقبلت جبينه وأخذت تنظر إليه... وعادت بها ذاكرتها إلى أيام بعيدة، تذكرت آخر ميلاد له معها قبل الحادثة، بدا لها ذلك كأنه بالأمس، تذكرت معانقتها له، ياه كم كان دافئا، وكادت تحس بعطره يملأ أنفاسها، اشترت له ساعة ثمينة يومها وحضرت له عشاء رومانسيا على ضوء الشموع، كم كان حبيباً رائعاً وزوجا كريما... وانحدرت دموعها بصمت... وودت لو استطاعت وضع رأسها على صدره، لقد اشتاقت إليه، تريد أن تشعر بذلك الأمان الذي كان يلفها كلما وضعت رأسها على صدره، لقد أوحشها الحب والأمان وللحظة مجنونة اقتربت منه، ورغم خطورة ما تفعله ورغم كثرة الأجهزة من حوله إلا أنها صعدت سريره بحرص وجلست ثم أمالت رأسها على صدره، ولم تحتمل فانهمرت دموعها ساخنة على صدره وهمست: متى ستعود؟ ودموع أكثر وألم أكبر، وفجأة أحست بزغللة في عينيها... ما هذا هل حقاً تحركت أصابعه؟ أم أنها تتخيل ذلك وسط ظلام حزنها؟

مهلاً وأغمضت عينيها للحظة ثم فتحتها... وركزت نظراتها على يده، أجل لقد رفع أصابعه... ولمحتها الممرضة فجاءت راكضة. سيدتي... انهضي أرجوكِ ما الذي تفعلينه... ستعرضينه للخطر... وبذهول نهضت هتاف وقالت وهي ترتجف: انظري إنه يتحرك... انظري أرجوكِ.

وركزت الممرضة نظراتها حيث أشارت هتاف وللحظة ظنتها واهمة لكن مهلاً... لقد حرك أصابعه فعلاً... ليست واهمة، وصرخت الممرضة تنادي الطبيب... وجاء طبيب آخر معه واستدعوا طبيب الأعصاب وهتاف تبكي، أصبح بكاؤها عالياً: الحمد لله... لقد عاد عاد، أجل لقد تحرك أخيرا... متى سيصحو يا دكتور؟

وابتسم لها الطبيب بحنان: اهدئي سيدتي... إنها إشارة جيدة... قد يعود قريباً، وبقيت هتاف في ذلك اليوم بجواره حتى انتهت أوقات الزيارة وعندما عادت زفت الخبر لأهل زوجها وأثناء انبهارهم بالخبر، دخل ولدها فواز، فركضت إليه وضمته وهي تبكي: والدك سيعود... أجل سيعود قريباً... كانت دموعها حارة وصادقة... دموع الفرح والأمل الذي لاح بعد طول انتظار.

(33)

هالة

جلست هالة وحدها في حديقة المنزل، كان الجو صحوا في ذلك اليوم..

بدت أكثر نحولا وهدوءا.. لقد انتهى عماد من حياتها.. لم تحادثه منذ ذلك اليوم، لقد مضى شهر على ذلك، ياه كم كان الرابط بينهما واهيا وضعيفا، حتى أهلها عندما أبلغتهم أنها تركت عماد لم يتأثروا كثيرا، ربما اكتسبوا مناعة ضد الألم بعد طلاق هبة، أو ربما لانشغالهم بزواج هند الأسبوع القادم، أو ربما لأنهم لم يحبوا عماد أبدا وأحسوا منذ زمن أنه ليس جادا بالارتباط بها، فهو لم يحدد موعد زواجه منها قبلا.. حتى أمها التي صدمت في البداية بالخبر، تخطت الأمر سريعا.. وقالت لها: أن يتركك قبل عقد القران أفضل من أن يفعل بعده.. فتلتصق بك كلمة مطلقة كأختك.

أما هي فقد كانت تتألم بصمت.. لكن ما يخفف ألمها أنها اتخذت موقفا صان لها كرامتها، لكان ألمها أكبر لو أنها استمرت بعلاقتها به ورضيت على نفسها ذلك الذل والنكران الذي ذاقته معه، وقامت هالة واقفة وقد قررت أن تخرج، تريد أن تنشغل عن أفكارها، وفكرت بفواز ابن

هتاف، واتصلت بهتاف التي كانت تعيش أسعد أيامها بسبب حركة نبيل، واستأذنتها بأخذ فواز إلى أحد المراكز التجارية، ستشتري له ألعابا وتلهو معه قليلا وبعد ساعة كان الصغير معها وهما يتضاحكان في المجمع، كان ولدا لطيفا ورائعا، وقضت وقتا جميلا معه وأثناء الخروج أشار إلى محل يبيع الكتب وأفلام الكارتون، فدخلت معه ليشتري فيلما يريده، وتفاجأت بإعلان كبير لكتاب عماد الجديد، واتجهت وكأنها منوّمة مغناطيسيا حيث يعرض الكتاب، وجدت أكواما منه على رف كبير ومدت يدها المرتعشة والتقطت إحدى النسخ، ولمست الغلاف وكأنها تلمس ماضيها.. وفتحت صفحة الإهداء وقرأت: «إلى جميع المعجبين والمعجبات.. فبكم أستمر وإليكم أهدي كتابي الثاني».

وأعادت الكتاب مكانه فهذا الكتاب وصاحبه وإهداؤه لم يعودوا يخصونها..

وقالت في نفسها: يا له من إهداء معبّر، ويليق بتفكير صاحبه، فلأجل المعجبين والمعجبات تخلى حتى عن خطيبته..

وهزت رأسها كأنها تطرد أطيافا تلاحقها وذهبت تبحث عن فواز..

كيف أقدر أن أحرر قلبي من حبك وهواك
سجنتني بين أطيافك وليس لي سوى الهلاك
أطلق سراحي من ذكراك فالويل لي من جفاك
إن قلت الموت فقد ذقته في حبك ولم أسلاك
إن قلت الويل فقد عرفته وأنا عاجزة أن أنساك
كيف أصبر في البعد وأنا أموت؟ وكيف أحيا بالحب الذي قتلني وكيف أعود؟؟

(34)
هبة

كانت هبة جالسة تراجع تقريرا يخص العمل وهي جالسة في غرفتها في المنزل عندما دخلت عليها هند، فرفعت رأسها وقالت: ماذا تريدين؟ كان مزاجها حادا مؤخرا ومتقلبا جدا منذ طلاقها.. فقالت هند بتودد: جئت أقترح عليكِ أمرا.. فتركت هبة التقرير وقالت بلهجة جافة: ما هو؟

فتنحنحت هند وقالت: تعلمين أنني اشتريت فستانا بسيطا لعقد قراني، بصراحة هو فستان يصلح للخروج، لكنني مازلت أحلم بارتداء فستان أبيض وطرحة، ككل البنات، وقد فكرت أن أرتدي فستان عرسك الذي لم ترتديه.

وللحظة شعرت هبة وكأن هند عدوة لها، أحست أنها لطالما ناظرتها وحسدتها على طارق.. لربما حسدتها أيضا على فستانها حتى تركها طارق وظل فستانها حبيس الدولاب، وللحظة أحست أن الدنيا تدور بها، هذه هي أختها الكبرى التي كانت عانسا وحيدة فإذا هي الآن من تتزوج وتخطط لارتداء ثوب الفرح بينما أصبحت هبة مطلقة وحيدة، وتمالكت نفسها وقالت كأنها تسخر من الأقدار: تظنين أنه مقاسك؟ حتى لو عدت لريجيم الخمس تمرات لن يكون ملائما لك.

فقالت هند بلهفة: سآخذه عند الخياطة لإصلاحه، تستطيع تقصيره وإضافة قماش مشابه لتوسعته.. ما رأيك؟

وقامت هبة من مكانها وفتحت ضلفة الـدولاب.. لقد مضى وقت لم تنظر فيه إلى ثوبها الأبيض.. وأخرجته برفق، وللحظة تذكرت شكله عليها.. كان قوامها رائعا، والثوب الثمين يلفها.. لطالما تخيلت وجه طارق وهو يراها به، وترآى لها وجهه فأغمضت عينيها بألم.. ومدت يدها به لهند وهي تقول دون أن تنظر في وجهها: خذيه.. مزقيه إن أردتِ.. فلا حاجة لي به..

والتقطت هند الثوب بفرح وخرجت مسرعة كأنها تخاف أن تغيّر هبة رأيها..

وفي ذلك المساء وقفت هند بالثوب أمام الخياطة، بدت الخياطة مذهولة أمام هند التي لم تستطع إغلاق ظهر الثوب لشدة ضيقه عليها وبدا طويلا جدا عليها فهبة ممشوقة القـوام.. نحيلة القد، بينما هند قصيرة القامة وممتلئة الجسد..

هـزت الخياطة رأسها وقالت: ما تريدين فعله بهذا الثوب سيفسده.. قد يَتْلَفُ ويبدو مهلهلا..

فقالت هند بإصرار: افعلي ما قلته لك، ابحثي عن قماش مشابه لتخيطيه عند الجوانب وقصّري الثوب وسيصبح

ملائما.

فردت الخياطة: لِمَ لا أخيط لك ثوبا جديدا على مقاسك؟

فغضبت هند: وما الذي يهمك إن تلف الثوب، سأدفع لك ما تريدين، نفذي ما أقوله ولا تجادليني.

وهزت الخياطة رأسها من جديد وبدأت تأخذ مقاسات هند وهي تشعر أن ما تفعله جريمة بحق ذلك الثوب المنحوس.

(35)

هتاف

وصلت هتاف إلى المستشفى والفرحة تلمع على وجهها، أصبح مشوارها اليومي مليء بالتفاؤل وهي تدخل لترى زوجها..

كانت قد قضت ذلك الصباح في منزل أهلها للاستعداد لعقد قران هند في الغد، سيكون حفلا ضيّقا نظرا لظروف العريس، عشرون شخصا فقط من الأقارب المقربين بمن فيهم عائلتها، أما من طرف العريس فستحضر أخته الناظرة فقط.

وسارت هتاف في ممرات المستشفى وهي تبتسم، لم تكن هي نفسها تدرك كم بدت جميلة وشابة في تلك اللحظة.. ووجهها متورد رائع، ووصلت إلى حيث يرقد نبيل.. ومن خلف الزجاج رفعت رأسها لتراه.. فوجدت سريره فارغا.. وتفاجأت وخطر لها أنه قد نقل لعمل الفحوصات.. هل حدث تطور لحركته، ربما استفاق ونقل لغرفة أخرى، وجرت بسرعة نحو المرضة الخارجة من باب العناية الفائقة وسألتها وهي تشير نحو سرير نبيل: لو سمحتِ.. المريض الراقد هناك.. أين ذهب؟

وقالت الممرضة بأسى: سيدتي.. لقد توفي ذلك المريض منذ ساعة..

ولم تستوعب هتاف ما قالته الممرضة.. فقالت: أسألك عن نبيل.. انظري ذلك هو مكانه.. أين هو الآن؟

وعادت الممرضة تؤكد: لقد مات.. أنا حقا آسفة.

وصرخت هتاف: لا تمزحي.. لقد تحرك قبل فترة.. ربما أفاق.. ربما صحا ونُقل إلى غرفة أخرى؟

فشدت الممرضة على ذراعها وقالت: كانت صحوة الموت.

وصرخت هتاف بأعلى صوتها: لا لا..

وسقطت على الأرض تبكي كل دموعها وألمها وقهرها..

لقد مات نبيل.. مات بعد خمس سنوات في غيبوبته، لم يرجع إليها.. لقد تركها إلى الأبد..

لقد ذهبت روحه منذ سنوات وبقي لها جسده لكن جسده الآن أصبح بلا روح أيضا.

مات حبيبها ووالد ابنها.. الرجل الذي عاشت على أمل عودته..

وخلال وقت قصير.. وصلت والدة نبيل وسهيل وشادن.. وجميعهم يبكون.. وانحنت شادن تضمها.. وهتاف تهمس لها: لقد تركني.. لقد رحل يا شادن.. نبيل لن يعود..

واتصلت شادن على السيدة خالدة والدة هتاف، وبعد

ساعة جاءت مع والد هتاف وهيثم وهالة وهبة.. لقد أصبحت ابنتهم أرملة وانتهى الانتظار الطويل برحيل مليء بالخيبة والدموع.

وداعاً أيها القلب الحنون
وداعاً أيها الكنز المدفون
وداعاً أيها الحب المكنون
وداعاً لك من الجدران ومن صمت السنون
وداعاً لك ولقلبي الذي أخذته معك ولن يعود ولو جفت المآقي والعيون..
حبيبي قد كنا بالأمس سوياً..
ننظر إلى السماء العليا
واليوم أنت في التراب تحته مخفياً
حبيبي كنت معك امرأةً وفية
وهبتني ابننا فواز أغلى هدية
إذا سألني عنك يوماً فلن أجيبه بصوتٍ شجياً
سأقول له هو في السماء يطل علينا صبحاً وعشياً
سأقول له قد فارقنا لكنه يحبك حباً أبدياً
حين أسرح في بحور عينيه لن أبكي
بل سأضمه إليّ ضمة قوية

هو جزء منك ومن رائحتك العطرة الزكية
سأعلمه الكبرياء والعزة ليكون مثلك رجلاً قوياً
ليعوضني الله به وسأصبر على فراقك صبراً جلياً

(36)
هالة.هبة

جلست هالة بجوار أختها في العزاء.. بدت هتاف ذاهلة معظم الوقت.. وفي أحيان كثيرة بدت كالمجنونة.. وتطوعت هالة بقضاء الليل عندها، فهي لاتزال تعيش في منزل نبيل وأسرته، وعليها قضاء شهور العدة كلها في بيتها.. وفي هذه الأيام الصعبة الأولى لا بد أن يكون أحد من أهلها بجوارها..

ونظرت هالة إلى هند وهي تبكي بحرقة.. كانت تبكي على نفسها وعلى زواجها الذي تأجل بسبب موت نبيل، ولولا الحياء لأصرت على إقامته رغم كل شيء، أليس نبيل في غيبوبة طويلة منذ سنوات، لقد كان كالميت، وموته بكل الأحوال أفضل من وجوده في المستشفى كجثة لا روح فيها، المفروض أن تفرح هتاف بموته، على الأقل أعفت نفسها من انتظار لا فائدة منه، هكذا كانت هند تفكر وهي تذرف دموع غيظها في العزاء.

ومن بعيد جلست هبة واجمة.. لم يعد في الحياة ما يؤلمها منذ طلاقها.. ونظرت مليا في وجوه أخواتها، كل عذابهن بسبب الرجال.. ها هي هتاف الجميلة تكاد تبكي

بدل الدموع دما بسبب موت نبيل وقبل ذلك كانت تعيش كالقديسة بانتظار عودته من غيبوبته وكل ذلك بالإضافة إلى العذاب الذي ذاقته بسبب الندم الذي كاد أن يقتلها لشعورها أنها كانت سبب الحادث الذي قلب حياتها رأسا على عقب.. كل عذاب هتاف كان بسبب رجل.. نبيل.

وها هي هند تبكي أيضا بسبب رجل تكاد لا تعرفه، لكنها تسعى كالمجنونة لتتزوج به، وقبل ذلك أيضا كانت معذبة لأنها لم تتزوج ولم تجد رجلا يتقدم لها.. كل عذاب هند كان ولايزال بسبب رجل.. مسعود..

وتنهدت بحرقة وهي تتأمل هالة بجوار هتاف.. بدت هتاف كتمثال يجسد الحزن وهالة بجوارها كظل للحزن كله، تأملتها وهي تبدو نحيلة جدا ووجهها شاحب ممتقع وبدت عيناها كبيرتين جدا وسط وجهها، لقد تعذبت أيضا بسبب رجل لم يستحقها.. رجل تلاعب بمشاعرها وحتى بارتباطه بها لم يكن ينصفها، رجل جحدها بعد أن ساندته ووقفت معه لينجح، فما كان منه إلا أن تنكر لها وهجرها، وها هي معذبة بعده كما كانت معذبة معه، كل عذاب هالة أيضا بسبب رجل.. عماد.

وكانت هبة تبتسم بسخرية عندما وصلت لنفسها.. إنها أيضا معذبة وإن أنكرت عذابها وتعالت عليه، معذبة بسبب

زوج أخافها وأرهبها، زوج أناني لم يستوعب طموحها فأخفته عنه، ثم اكتشف ما تخفيه فلم يرحمها وطلقها قبل عرسها.. لم يهمه أي شيء وقتها.. الزفاف.. ثوبها.. عرسها.. الدعوات.. الناس.. أهلها.. كل شيء انتهى بكلمة واحدة ودون أي اعتبار غير أنانية الرجل.. وها هي تعمل كالآلة وأصبحت كالحجر بلا مشاعر.. كل عذابها هي بسبب رجل.. طارق.

وفجأة دخلت فتاة إلى قاعة العزاء، وهمست لإحدى الجالسات، فأشارت لها نحو هتاف وهالة، وتقدمت الفتاة متعثرة بخجلها إلى أن انحنت نحو الفتاتين وهمست لهما بشيء ما.. ولاحظت هبة الاهتمام الذي لاح بوجه أختيها، واستغربت، من تكون هذه الفتاة؟ ها هي تقبّل هتاف.. وتشد على يدها، وقامت معها هالة وعرّفتها على هند.. ثم اتجهتها نحو أمها.. وما إن عرفتها الأم حتى امتقع وجهها وصافحتها ببرود.

وتأملتها هبة وهي تتجه مع هالة نحوها.. بدت شديدة البياض.. مليحة الوجه.. عيناها جميلتان جدا.. ووقفتا أمامها وانحنت هالة وهمست: هذه هي جنات.. أختنا من أبينا!

وبهرت هبة.. وبلا شعور هبّت واقفة، بدت أطول من جنات بكثير، ومدت يدها وصافحتها بقوة: أهلا.

وقالت جنات: عظّم الله أجركم.

وردت هبة: أجرنا وأجرك.

وللحظة وقفت جنات مرتبكة كأنها لا تدري ماذا تفعل، فدعتها هالة للجلوس.. فجلست في مقعد مقابل وهي تقرأ جزءا من القرآن الكريم، وجلست هبة في مكانها، والتفتت لتلمح أمها وهي مقطبة الوجه.. حتى أمها تعذبت كثيرا في حياتها بسبب الرجال.. أجل ألم تتعذب لأنها لم تنجب رجلا؟ ألم تتعذب عندما تزوج عليها زوجها لإنجاب الولد؟ لقد عذّبها طويلا بزواجه عليها.. وكما يبدو لازالت تتعذب حتى الآن بسبب غلطة رجل.. أباها.

والتقت عيناها بعيني جنات.. ياه كم تبدو هي أيضا حزينة.. هي أيضا ضحية الرجال.. ضحية أبيها الذي تخلى عنها لأنها بنت.. ولم يكن الأمر قطعا بيدها، إنها خلقت أنثى، وهجرس لقد طلقها وأهانها كما يقول هيثم ومن يدري قد يكون في حياتها رجلا آخر يعذبها.. تساءلت هبة.. لكن ما الفرق.. فالرجال جميعا لا يسومون النساء سوى العذاب.. وفكرت هبة.. جميع النساء ضحايا الرجال.. ضحايا استبداد الرجل.. أو غرور الرجل.. أو أنانية الرجل..

ودون أن تحسن انزلقت دمعة حارة على وجنتها..

(37)
هيثم

دخل هيثم قاعة الدرس كأنه يهرب من شبح الحزن الذي يلاحق عائلته، بدت أيام العزاء كالدهر.. لقد تألم كثيرا لحزن أخته الأرملة، وآلمه جدا شبابها الذي ضاع الكثير منه في أحزانها، لكم تمنى لها أن يعوضها الله خيرا بعد كل ما عانته.

لقد غاب عن المحاضرة السابقة.. وفي كثير من الأحيان أحس أنه يشتاق إلى هذا الدرس.. وفي قرارة نفسه أحس أنه يشتاق إلى زميلته في هذا الدرس أيضا.. كان ينوي الاعتذار منها على ما بدر منه في المرة السابقة، لقد انتقدها بطريقة جارحة.. لم يكن يملك الحق في انتقادها.. لقد تفاجأ هو أيضا بجرأته عليها، لقد اعتاد طوال حياته أن يكتم أحاسيسه بصدره، لم يستطع أبدا التعبير عما يحسه تجاه الآخرين بكل تلك الصراحة، لم تكن تلك صراحة فقط، كانت أقرب إلى الوقاحة حقا، يجب أن يعتذر منها.. ودخل قاعة الدرس متأخرا قليلا، ورحب به الأستاذ على عجل فقد كان مستغرقا في الشرح واتجه نحو درجه.. وكانت جالسة هناك.. كأنها بانتظاره.. والتقت عيناهما فأشاحت

عنه بوجهها، كانت غاضبة منه وساخطة عليه.. لم يتغير فيها شيء.. لازالت متبرجة كأنها في حفل وشعرها الأشقر المصبوغ يحيط بوجهها الملون.. ورغم استنكاره بدت جميلة جدا.. وجلس بجوارها وقال بصوت خافت: مرحبا. ولم ترد عليه، ولم يركز فيما يقوله الأستاذ، كان كل تفكيره في كيفية استرضائها، وصدره يضج بانفعاله.. وفي منتصف الدرس توقف الأستاذ لفترة الراحة.. لديه عشر دقائق كي يحادثها.. وقامت من مكانها وخرجت إلى حديقة المعهد.. وخرج وراءها ورآها واقفة تتأمل حوض الزهور، وبسرعة تقدم نحوها ووقف خلفها مباشرة وقال بصوت مرتعش وبلا مقدمات: أنا آسف.

والتفتت نحوه بكل جسدها وقالت بحدة: ماذا تريد مني؟

فقال بارتباك: أردت فقط الاعتذار منك.. لقد أخطأت في حقك ورأيت من واجبي الاعتذار لك، لم يكن لي الحق في قول ما قلته لك..

وأطرقت برأسها قليلا ثم وجهت نظراتها نحو الأفق البعيد وقالت: لم يحادثني أحد في حياتي بتلك الطريقة من قبل.

فقال: أنا حقا آسف..

واستدار ليمضي في سبيله، فقالت كأنها تناديه: لماذا لم تحضر الدرس الماضي؟

والتفت نحوها ثانية وقال بانكسار وكأنه يريد إثارة عطفها: لقد توفي زوج أختي قبل أسبوع، تعرّض لحادث سير منذ أكثر من خمس سنوات.. كان في غيبوبة والأسوأ أن أختي هي من كانت تقود السيارة وقت الحادث.. كانت تشعر بتأنيب الضمير، والأمر أسوأ الآن بعد وفاته.. أظنها كانت تنتظر عودته.

وتأثرت سماهر وهي تقول بحرارة: المسكينة يا لها من قصة حزينة، رحمه الله وأعانها على مصابها.

وساد صمت قصير.. فسألها هيثم: مازلتِ غاضبة مني؟

فقالت سماهر: هل حقا تراني كما وصفتني المرة السابقة؟

فابتسم بحنان وقالت: أراكِ جميلة جدا.. ولا تحتاجين لكل هذه الزينة لإظهار ذلك.. أظنك أجمل بكثير على طبيعتك، وهذا مجرد رأي.

فابتسمت له.. وسارت معه نحو الدرس وفي نهاية اليوم ودّعته بلطف..

المفاجأة حصلت عندما حان وقت الدرس التالي، جلس هيثم في مكانه وهو ينتظرها.. وعندما دخلت كاد أن يشهق.. بدت فتاة مختلفة جدا هذه المرة.

ارتدت ثوبا بسيطا يغطي ركبتيها.. وتصل أكمامه إلى ثلاثة

أرباع ساعديها.. ثوب أزرق ناعم وهادئ، وشعرها الأشقر تحول إلى لون بني داكن طبيعي، وقد شدته للخلف ووجهها بدا نظيفا، تقريبا بلا مساحيق.. بدت كطالبة مدرسية رائعة الجمال وشديدة البراءة وصغيرة جدا، وابتسم لها ابتسامة كبيرة كأنه يشجعها، وجلست بجواره.. ولأول مرة لم يستطع شم رائحة عطرها الزاعقة.. وهمست بهدوء وخجل: ما رأيك؟

فقال هامسا بحرارة: لم أر في حياتي فتاة أجمل منك اليوم.

وضحكت وبدأ الدرس.. حتى الأستاذ علّق ضاحكا وهو يداعبها: ألدينا طالبة جديدة اليوم؟

كان مظهرها الجديد يليق بها.. ويبدو حقيقيا جدا وبلا مبالغة..وانتهى الدرس وهذه المرة التفت هيثم نحوها ليدعوها لشرب القهوة في كافتيريا المعهد، وذهبت معه وتأملها طويلا ثم سألها: سماهر.. من أنت؟ أخبريني من تكونين؟ أشعر أنني أريد معرفة كل شيء عنك..

وكأنها كانت تنتظر هذا الحديث فبدأت تقول: اسمي سماهر عبدالرزاق، في التاسعة عشرة من عمري، لدي أخت تكبرني بثلاثة أعوام اسمها سما، والداي طبيبان.. وهنا تكمن المشكلة..

واستفسر قائلا: ماذا تقصدين؟

فقالت بضيق: منذ صغري وأنا أراهما يعيشان حياة مهنية ناجحة، لقد أحبا بعضهما في الجامعة وساندا بعضهما البعض ونجحا معا.. وعندما أنجباني أنا وأختي كان جل اهتمامهما أن نصبح طبيبتين مثلهما.. كانت سما متفوقة في دراستها ولطالما أحبت العلوم والأحياء، بدت لهما كمشروع ناجح لطبيبة ذكية فاهتما بها جل الاهتمام، أما أنا فكنت أكره العلوم ولا أطيق الأحياء، أحببت الرسم منذ صغري.. كنت أرسم على الجدران وأنا صغيرة وكانا يعاقباني على ذلك.. وكبرتُ وتحقيقا لرغبتهما درست المواد العلمية في الثانوية، كانت سما قد تخرجت قبلي والتحقت فعلا بكلية الطب، لقد تفوقت في سنواتها الأولى تفوقا مبهرا.. وكان دوري قد جاء لألتحق بكلية الطب مثلها..

وسكتت سماهر قليلا وسألها هيثم: تدرسين الطب؟

فابتسمت بسخرية: اجتزت اختبارات القبول في كلية الطب، والتحقت بها فعلا.. لكنني لم أستطع احتمال تلك الأجواء.. أنا لا أطيق أن أرى الدم، لا أطيق معرفة تفاصيل الأمراض، كلما درست أعراضا شعرت بها في جسدي، والمصيبة الأكبر أنني عندما دخلت المشرحة للمرة الأولى.. أغمى عليّ.

وضحك هيثم رغما عنه..

وضحكت هي معه وأكملت حديثها: صدقني.. هذا ما حدث معي.. وقتها قررت أن أنسحب من كلية الطب، وجدت نفسي عاجزة حقا عن الاستمرار، وعندما أعلنت رغبتي لعائلتي جن جنونهم، اعتبروني عارا عليهم، فاشلة، كسولة وربما غبية، اتهموني بأنني جبانة وغير جدية في تحديد مسار حياتي، رغم أنني أجبرت على اتخاذ الطب كمسار لي، مسار لم أرغب أبدا في اختياره، وما كاد يقتلهم هو أنني أعلنت لهم برغبتي بدراسة الرسم، كانوا يصرخون في وجهي، أبعد كلية الطب تدرسين الرسم؟! هل أنتِ مجنونة؟! ولم أستسلم كنت أدافع عن ميولي بدراسة شيء أحبه وأستطيع الإبداع فيه، ما دخلهم هم إن كنت أنا أريد ذلك، وعشت صراعا مريرا، شعرت بنفسي منبوذة بينهم.. هم عباقرة العلم وخيرة الأطباء كما يرون أنفسهم، واتخذت قراري وحدي ودون إخبارهم قمت فعلا بسحب أوراقي من الجامعة وسجلت للالتحاق بدورة فنية معروفة.

وسألها هيثم بانبهار: وكيف كانت ردة فعلهم؟

فقالت بمرارة: يكادون لا يتحدثون إليّ.. مضى عام على ذلك ولازلت أحضر دروسا مختلفة في الرسم.. وعندما أكون في البيت أتجاهلهم كما يتجاهلون هم وجودي وأقضي وقتي بين لوحاتي.. لديّ لوحات رائعة.. وذلك يكفيني.

وساد صمت حزين.. فقال هيثم بتردد: سأسألك شيئا لكن أرجوكِ لا تسيئي فهمي..

فقالت بسرعة: أعرف ما يدور بذهنك.. وجوابي هو نعم، لقد أردت أن أغيظهم وأن ألفت انتباههم إليّ، فصبغت شعري وبدأت أتبرج وأرتدي ما يحلو لي، فقط لأغيظهم، أردت أن أشعرهم بتمردي عليهم، أختي سما تكاد تبدو كالصبيان لشدة إهمالها لزينتها وأناقتها، ترتدي نظارة سميكة طوال الوقت وتشد شعرها إلى الخلف بإهمال، أردت أن أكون على النقيض منها، أردت أن أثبت لعائلتي أنني أستطيع أن أفعل ما أريد وأنني لا أهتم لرأيهم بي..

فقال هيثم بحنان: وهل حقا لا يهمك رأيهم بكِ وبما تفعلين؟

ولأول مرة لمح دموعا تترقرق في عينيها وهي تقول: بل أفعل، أنا أهتم برأيهم.. وذلك ينغّص عليّ حياتي.

فقال هيثم: لا تهتمي لأحد.. ليس مهما ما يعرفه عنك الآخرون أو ما يظنوه بك، المهم هو ما تعرفينه أنتِ عن نفسكِ وما تظنينه بها، فالإنسان الواثق هو الذي يستمد صورته الحقيقية من أعماق نفسه وليس من عيون الآخرين.

والتقت عيونهما طويلا.. لقد كانت عبارته تلك بمثابة الصحوة له كما هي بالنسبة لها..

وأخيرا سألها: بالمناسبة.. ما معنى اسمك؟

فقالت بقوة: معناه الشديدة الصلبة.. كالرمح الصلب العود..

وحقا كان ذلك.. فقد أصابه رمح صلب في قلبه.. رمح الحب.. لقد عرف لحظتها أنه وقع في حب تلك الفتاة المتمردة.. الشديدة الصلبة.

(38)
جنات

وقفت جنات بجوار باب شقتها وهي تحكم إغلاقه بالترابيس وسحبت المفتاح بعد أن تأكدت من قفل الباب كما اعتادت أن تفعل منذ شهرين.. لقد تزوجت والدتها منذ شهرين تماما.. ولازالت تتذكر ليلة رحيلها إلى منزل زوجها. كانت تلك الذكرى تنبض بالحياة في مخيلتها وتقض مضجعها، لقد كادت يومها أن تتعلق بأذيال أمها كطفلة صغيرة.. أما أمها فقد كانت سعيدة، لم تشغل بالها بابنتها الشابة التي أصبحت تعيش وحيدة، بل أصبح أولاد زوجها الذين تسعى جاهدة لكسب ودهم هم شغلها الشاغل منذ تزوجت بأبيهم، وكأن الخادمة التي ترافق جنات كفيلة بتبديد وحشتها وتهدئة روعها وهي تعيش وحدها.. والتفتت جنات لترى الخادمة وراءها، بدت الخادمة ضخمة الجسد وأطول من جنات بكثير وقالت بلغتها العربية الركيكة: تريدين شي؟

فقالت جنات: لا.. اذهبي للنوم.

إنها تخاف هذه الخادمة، وتجتاحها الوساوس دائما نحوها، بل أحيانا تخاف أن تطلب منها شيئا فقد بدت قاسية الملامح وأقرب إلى الآلة منها إلى البشر.

ودخلت جنات غرفتها وأقفلت بابها بالمفتاح أيضا، وتمددت في سريرها.. أصبحت تجد صعوبة في النوم كل ليلة، كأن النوم يتدلل عليها ويهرب منها.. وسرحت وراء أفكارها.. وأفكارها دائما تقودها إلى راشد، إنها لا تعرف عنه أي شيء منذ شهرين، لم تحادثه ولم يحاول هو الاتصال بها منذ اللقاء الأخير الذي جمع بينهما في ذلك المطعم المشؤوم، ولم يأتِ أيضاً كعادته لدفع مكالماته منذ ذلك اليوم.

لقد اشتاقت إليه، ولاتزال تحبه، ودائما تتخيل أنه أتاها خاطبا وهو يعتذر لها عن تفريطه بها، وسرحت جنات وهي تفكر بأخواتها.. لقد أحبتهن.. تمنت لو أنهن دعونها لتعيش بينهن.. أشفقت على هتاف وتأثرت لحالها، وارتاحت إلى هالة، فأحبت صوتها الرقيق وعينيها المعبرتين، وأعجبتها هبة، بدت لها امرأة شامخة على نحو خاص، وشدها فضول هند ولازالت تذكر نظراتها الفاحصة إليها.. لكن زوجة أبيها تكرهها بلاشك، لقد عاملتها بغرور وتعالٍ جارح، ترى ما هي أخبار هيثم، لقد انقطع عنها.. لم يعد يسأل عن أخبارها، دخل حياتها بسرعة ثم خرج منها بسرعة ونسيها وكأنها لم تكن.. ونامت في الثالثة فجرا بعد أن أرهقتها أفكارها وذكرياتها.. وصحت في السابعة صباحا لتذهب إلى العمل، بدت مرهقة جدا وقد خط الأرق هالات سوداء تحت عينيها،

وارتدت ملابسها على عجل، لم تعد تهتم بما ترتديه كما في السابق، بدت مكتئبة لأقصى حد، وكأنها فقدت أملها في الحياة، ولم تتناول شيئا قبل خروجها.. كانت أمها في السابق تصر على أن تتناول إفطارها قبل أن تخرج للعمل، لكن أمها الآن لا تهتم إلا بأبناء زوجها وربما تعد لهم إفطارهم الآن وتلح عليهم بتناوله قبل أن يخرجوا.. ووصلت إلى مكتبها وجلست كأنها تتهالك عليه، وتقدمت منها زميلتها سناء وقالت: صباح الخير.. سأطلب لنفسي سندويتشا.. هل تريدين تناول الإفطار معي؟

وهزت جنات رأسها نفيا، فقالت سناء: يجب أن تأكلي، لقد نحفتِ كثيرا.

فردت جنات: أحيانا أنسى أنني يجب أن آكل.

وربتت سناء على كتفها قائلة: ارحمي نفسك.. يجب أن تخرجي من حالة الحزن التي تتملكك لازلتِ شابة وأمامك حياة جميلة، ابتسمي لتبتسم لك الحياة.

وأصرت سناء أن تأكل جنات معها، وفعلا شعرت بتحسن كبير بعد ذلك، كانت سناء صديقة مخلصة، ودعمها لجنات في تلك الفترة كان شعاعا مشرقا في حياة جنات المظلمة باليأس.

ومر الوقت والمراجعون يتوافدون على جنات، كانت قد

أنهت معاملة مهمة للتو عندما رفعت رأسها وفوجئت براشد بشحمه ولحمه يقف أمامها.. واهتزت رموشها وأغمضت عينيها لثوان كأنها تريد أن تتأكد من أنها لا تحلم، وفتحت عينيها.. إنه هو.. لقد أتى إليها، لابد أنه سيعود إليها ويطلب منها أن تسامحه، ودون أن يتحدث جلس أمامها وهي تحدّق فيه كأنها لا تصدق عودته، وأخيرا تحدث راشد: كيف حالك؟

وردت بلهفة: بخير.. وأنت؟

وقال لها بسرعة: جئت لأشتري خطا جديدا.

وصُدمت.. أحقا جاء فقط لشراء خط جديد!

وسحبت جنات ورقة من درج مكتبها ودفعت بها نحوه وقالت: هذه قائمة الأرقام المتوفرة.. اختر واحدا.

وحدّق راشد بالأرقام قليلا ثم أشار لأحدها وقال: أظن هذا مناسبا، أرقامه متناسقة.

وبدأت جنات بإجراء المعاملة له، وقالت: الخط باسمك طبعا؟

فقال لها وكأنه يلقي بقنبلة في وجهها: لا.. أريده باسم الآنسة منى يوسف.. خطيبتي..

وللحظة شعرت جنات أن الدنيا تدور بها.. وهتفت: ماذا قلت؟

إنه يعرف أنه لا يستطيع فتح خط باسم خطيبته دون حضورها شخصيا لكنه أراد أن يبلغ جنات.. أراد إبلاغها أنه خطب.. إنه يعلم أنها تنتظره.. شعر أن من حقها عليه أن تعرف بارتباطه.. ولم يجد طريقة أخرى ليفعل ذلك سوى أن يأتي إليها، وهاله ما بدا عليها من ألم.. لكنه يتعذب أكثر منها.. إنه يحبها، لكن والدته ألحّت عليه ولم يستطع الصمود أمام رغبتها بأن يتزوج وكأنها تخاف أن تخطفه جنات منها، وبصوت ذبيح قالت جنات وقد امتلأت عيناها بالدموع: مبروك.. أحضِرها معك في المرة القادمة لتختار الخط بنفسها..

ولم تستطع البقاء بقربه فقامت من مكانها وهي تكاد تجري.. وخرجت من مقر عملها مسرعة وبلا استئذان وركبت سيارتها.. ووضعت رأسها على مقود السيارة وهي تجهش بالبكاء..

ووصلت إلى البيت وركضت نحو غرفة أمها، وفتحت الغرفة الخالية وارتمت على سرير أمها وهي لاتزال تبكي، واحتضنت وسادتها ودست وجهها تستنشق رائحتها العالقة بها... وهي تشعر بحاجتها إليها أكثر من أي وقت مضى...

عودي يا أمي عودي وسأفرش لك الأرض بستان

عودي إليّ فأعطيك نفسي وأتحدى معك عواقب الزمان
عودي يا أمي واطلبي ما شئت من ماس.. من ذهب.. من مرجان
عـودي قبـل أن تحـرقنـي الـدمـوع ويـؤلمنـي الاشتياق والحرمان
عودي قبل أن أفقد عقلي وأنا أسيرة بين الجدران
عودي فأنتِ أمي مصدر الأنس ومصدر الحنان
ستظلي بقلبي مهما دار الزمان أو تغيرت الأوطان
أنتِ أنا وأنا أنتِ لكِ في قلبي أعز مكان
لِمَ تتركيني وترحلي بقدميك عني اللتين تحتهما تقبع الجنان

(39)
هند

قالت هند بإصرار وهي تخاطب أمها: والمانع؟ لقد كان نبيل في غيبوبة طويلة، وموته كان متوقعا في أي لحظة، ما ذنبي أنا لأنتظر أكثر.. مضى على موته شهران.. ثم إن هتاف هي التي بالعدة لا أنا!

وتنهدت الأم وقالت: يا ابنتي ماذا يقول عنا الناس، نزّوج ابنتنا وأختها لاتزال بالعدة، ثم ماذا سيكون شعور أختك؟ ألم تفكري بذلك؟

فقالت هند: قالت إنها لا تمانع، لقد ذهبتُ لأسألها بنفسي، قالت: تزوجي ولا تنتظريني، فحزني سيطول، هذا ما قالته بالضبط ويمكنك سؤالها.

وأطرقت الأم برأسها تفكر، ودخلت هبة بعد انتهائها من العمل، وقالت: ما الأمر؟ ماذا حدث؟

فقالت هند: قررت أن أتزوج الخميس القادم، وسأنتقل مع مسعود إلى الشقة التي استأجرها لنا، لا أريد الانتظار أكثر..

فتساءلت هبة: والأثاث؟

هند: لقد اشترى غرفة النوم والستائر، والباقي سنشتريه

معا..

فردت هبة بسخرية: ولمَ أنتِ مستعجلة هكذا؟ وهتاف؟

وتأففت هند وهي تعيد نفس الكلام الذي كانت تقوله لأمها منذ دقائق.. وصمتت هبة، قد تكون هند على حق، الانتظار لن يغير شيئا.

وكان لها ما أرادت.. تم الاتفاق على يوم الخميس لتتزوج فيه، في ذلك اليوم اجتمعت العائلة.. الأم وهبة وهالة فقط.. جلسن مع أخت مسعود، كانت الوحيدة التي حضرت من عائلته، وجلس الرجال في صالة أخرى، الأب وهيثم ومسعود وهجرس الذي أصر الأب على دعوته، لقد انتهى عقد القران للتو، وشعرت الأم أن قلبها يكاد ينفطر، تمنت لو كان زواج ابنتها في ظروف أفضل، لو أقيم لها حفل صغير على الأقل.

ونزلت العروس من الدرج، ورغم أن الثوب بدا غريبا بعض الشيء نتيجة إصلاحه، إلا أنها بدت مقبولة تماما، كانت عيناها تلمعان بفرحتها، لم يهمها أن زواجها حدث بلا حفل وصخب.. كل ما كان يمهمها أنها تزوجت فعلا وارتدت الفستان الأبيض والطرحة.. أخيرا غادرت عالم الآنسات.. بلا رجعة، رفعت شعرها للأعلى ووضعت مكياجا مناسبا، بدت سعيدة على نحو مثير للشفقة.. وابتسمت هالة وهي تساعدها على الجلوس وتفرد لها ذيل ثوبها، وقامت أمها

تقبلها وهي تبكي.. ولم تفهم هند سبب بكائها.. بدت في عالم آخر.. عالم من السعادة والأحلام، وتقدمت هبة وقبلت أختها وقالت ضاحكة: ماذا فعلتِ بالثوب؟

وضحكت هند: ما رأيكِ؟

فقالت هبة وقد غلبتها عاطفتها نحو أختها: أجمل بكثير مما كان عليّ.

وقامت أخت مسعود لتبارك أيضا واحتضنتها هند برفق كأنها تشكرها أنها سعت لزواجها.. والتفتت الأم نحو هالة وقالت: اذهبي ونادي الرجال ليدخلوا، واتجهت هالة إلى الصالة الأخرى ودخلت لتنادي الرجال قائلة: لقد نزلت العروس.. تفضلوا. فأومأ لها الأب برأسه، والتقت عيناها بعيني هجرس فارتبكت، إنه يكاد يلتهمها بنظراته وكأنه تفاجأ بها، لقد عرف من عمه أنها فسخت خطبتها وفي تلك اللحظة فكر أنها من الممكن أن تكون له، واشمأزت هالة منه، شعرت وكأن بقعة لزجة من الزيت قد سقطت على وجهها، واستأذن هجرس بالخروج، كان ذلك تصرفا مهذبا من قبله، لا يصح أن يدخل على النساء.. ودخل الأب وهيثم ومسعود، وبصوت عالٍ أطلقت أخته زغرودة فرح، وكادت العائلة أن تنقض عليها، هل تناست أن أختهم في حالة حداد، ولم تهتم الأخت بهم وتجاهلت نظراتهم الغاضبة بلا مبالاة، وأخيرا

صعدت هند مع مسعود إلى غرفتها لتبدل ثوبها لتخرج معه إلى شقتهما.. وفكرت الأم في العذر الذي قاله لزوجته الأولى في ذلك الوقت! ترى أي كذبة قالها ليغطي فعلته!

وبعد فترة نزلت هند بثوب آخر يصلح للخروج لتذهب مع عريسها، وبكت الأم ثانية وهي تودع ابنتها، وعندما خرجت قالت أخت مسعود البغيضة: لماذا تبكين؟ كم من الوقت أكثر تريدين وجودها بقربك؟

وهذه المرة ردت عليها هبة بحدة: نريدها بقربنا طوال العمر، إنها أختنا وغالية علينا.

وسكتت الأخت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة..

(40)
هتاف

كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجرا عندما فتحت هتاف عينيها بقلق.. استوت جالسة في سريرها وتناولت كأسا من الماء من الطاولة بقربها.. ثم التفتت لتغطي ولدها فواز.. وانحنت تقبله وهو نائم.. وتنهدت بحسرة وهي تفكر.. لقد أصبحتَ يتيما يا ولدي.. وانهمرت دموعها بصمت.. كأنما عز عليها حالهما.. أنت يتيم وأنا أرملة، ترى كيف تعيش الأرامل؟ بين أطلال الماضي وذكريات الأحبة الذين رحلوا على الأرجح، أمر آخر كانت تفكر فيه هتاف بين أحزانها.. كيف ستكون حياتها بعد موت نبيل؟ هل ستبقى في منزل أهله أم ستعود إلى منزل أهلها؟ قطعا لن تعيش وحدها.. لقد بقيت في منزل أهله طوال السنوات السابقة لأنها كانت زوجة نبيل وكان هو في عداد الأحياء رغم غيبوبته، وبقيت أيضا لأجل ولدها أو بالأخص لأجل أم زوجها الذي وجدت في حفيدها عزاء لها فهو قطعة غالية من ولدها، لكن الآن، لم يعد لهتاف ما يربطها بهذه العائلة، وبصراحة تشعر أنها الملامة على موت نبيل كلما التقت عيناها بعيني أم زوجها.. لم تعد تطيق البقاء في هذا البيت، ثم إن كل ركن فيه يذكرها

بالمرحوم.. تحتاج حقا إلى الخروج من هنا.. لكنها خائفة.. تخاف أن ترفض حماتها خروجها.. تخاف أن تظل سجينة في بيتهم مع شبح نبيل الذي يعذبها.. الوحيدة التي تحبها في هذا البيت هي شادن والتي ساندتها كثيرا وكانت لها أكثر من الأخت والتي حتما ستفتقدها.

ومرت الأيام طويلة.. وأخواتها لا ينقطعن عنها، وأمها أيضا، وأخبرت ولدها أن والده توفي، يجب أن يعرف.. بكى قليلا ثم تخطى ذلك سريعا.. إنه لا يعرف أباه ولا يذكره أبدا.. وأخيرا انقضت شهور العدة وأيامها، وفي يوم انتهائها زارتها أمها وتحدثت معها في موضوع انتقالها مجددا إلى منزل عائلتها، وأخبرتها هتاف أنها فكرت في ذلك مرارا وتريده، وصارحت أمها بخوفها على مشاعر حماتها، فقالت الأم بصراحة: من حقك فعل ما تشائين.. وتستطيع حماتك رؤية فواز متى أرادت.. سأفاتحها بالأمر إن كنتِ محرجة.

فقالت هتاف باستعطاف: لننتظر قليلا.. لقد انتهت عدتي للتو، لازال الوقت مبكرا.

وغضبت الأم: ست سنوات ليست بالوقت القصير يا ابنتي.

هتاف: أرجوكِ يا أمي سأخبرها بمجرد أن أجد فرصة مناسبة.

وسكتت الأم على مضض، لقد صبرت ابنتها طويلا، وتعذبت كثيرا، وحان الوقت لتبدأ حياة جديدة، لا تريدها أن تبقى بلا زوج إلى الأبد، المسكينة عاشت سنوات طويلة بلا سند وبلا شريك، وحمّلت نفسها الكثير من المسؤولية والإحساس بالذنب وبلا مبرر، والحمد لله أن انتظارها لأمر لن يحدث قد انتهى الآن على الأقل.

(41)
هالة

لقد اشتاقت إليه.. مهما كابرت وتظاهرت باللامبالاة، لكنها بينها وبين نفسها لاتزال تشتاق إليه، إنها تحن إلى تلك الأيام التي جمعت بينها وبينه، كم كانت أياما جميلة وغالية، محادثاتهما الليلية، حبهما في الجامعة وخطبتهما وذلك الإحساس الجميل الذي كان يملأ صدرها بوجوده في حياتها.. كانت هالة تشعر بالوحدة بشكل فظيع.. ومنذ فترة قصيرة شعرت بأن الاكتئاب يكاد يسيطر عليها، وقامت من سريرها تلك الليلة وفتحت دولابها وأخرجت صندوقا كبيرا كانت تحتفظ بداخله ببعض الحُلي، وفتحت الصندوق وأخرجت صورة صغيرة له، كتب لها وراءها «إلى حياتي.. هالة».. ونظرت طويلا إلى صورته، وهمست بصوتها العذب: لقد كذبت عليّ.. لم أكن حياتك يوما.. اخترت حياة أخرى لا مكان لي فيها. وسرحت بها الأفكار.. لابد أنه يعيش قصة حب مع إحدى معجباته، من يدري ربما وجد فتاة غيرها، لقد مر على انفصالهما شهور طويلة ولم يسأل عنها أبدا طوال تلك المدة، حتى عندما توفي نبيل توقعت أن يتصل بها ليعزيها أو على الأقل أن يبعث إليها برسالة هاتفية، لكنه لم يفعل..

لقد خذلها عماد تماما، ماذا ستفعل هي بمستقبلها.. قد يتقدم لها رجل آخر وقد تقبل به.. وانقبض صدرها.. لا.. لا تستطيع الزواج برجل لا تحبه.. أو على الأقل لا تريد الزواج برجل وعماد لايزال في قلبها.. من يدري قد تتزوج فتنسى.. كثيرات يتزوجن لينسين.. لكنها لا تستطيع ولا تريد، وخطر لها خاطر هزها.. هل تأمل أن يعود إليها، هل تريد انتظاره؟ وهل سيعود إليها يوما.. لا يجب أن تنتظره.. لا تريد أن يحدث معها كما حدث مع أختها هتاف.. لا تريد أن تعيش انتظارا بلا فائدة أو أمل..

وفي قرارة نفسها اتخذت قرارا بأن تقبل الزواج بأي عريس مناسب يتقدم لها..

(42)

هبة

كان ذلك الاجتماع مهما.. جلست هبة في قاعة الاجتماع الكبيرة في الشركة بين عدد من المدراء المهمين لوضع خطة عمل استراتيجية للمرحلة القادمة.. كانت الشركة قد توسعت وباتت من أكبر الشركات الاستثمارية في الكويت.. وقد أصبح هؤلاء المدراء من خيرة العقليات الاستثمارية في البلد، وحاولت الشركات المنافسة تقديم عروض مالية مميزة لاستقطابهم وكانت هبة و احدة من بين هؤلاء، لقد اكتسبت خبرة تفوق عمرها وعُرف عنها ذكاؤها الحاد وسرعة بديهتها، كما عُرف عنها أنها شديدة الإقناع ولها تأثير خاص على المستثمرين، كانت تستطيع إقناع أكثر الزبائن دقة وعنادا بما تريد..

وبينما جلست بينهم في الاجتماع بدت جميلة جدا، بطلتها الجادة الرزينة مع بعض التعالي في سلوكها.. لم يكن هذا التعالي غرورا لكنها اكتسبته نتيجة تقلدها منصبا مهما في الشركة مما جعلها تتصرف بطريقة عملية بحتة، وكُلفت هبة في ذلك الاجتماع بإيجاد مساهم قوي لتأسيس صندوق استثماري ضخم يتاجر بالأسهم الخليجية، كان المشروع مبشرا بالخير، لكن الشركة تحتاج دعم أحد رجال الأعمال

المهمين لتتمكن من طرحه في السوق بالحجم الذي تريده، وانتهى الاجتماع وبقيت هبة مع مدير الشركة وحدها وهما يفكران.. وأخيرا سألها مديرها: لقد كنت أفكر بشخص تعرفينه، فكرت لو أنك عرضتِ عليه تلك الفكرة.. وتساءلت هبة باهتمام: من هو؟

فقال: ابن عمك.. هجرس.. إنه فاحش الثراء، وأظن مشروعا كهذا قد يثير اهتمامه، ما رأيك لو حاولت؟ ما هي طبيعة العلاقات بينكما؟

وابتسمت بسخرية: هجرس؟ لم يخطر ببالي من قبل، إنه ابن عمي حقاً، لكن لا توجد علاقات بيننا، لكن علاقته قوية بأبي، فأبي يعمل معه..

كادت تقول إن أباها يعمل عنده.. لكنها تداركت الأمر، وقال مديرها: حاولي معه إذن.. ستكون نقلة كبيرة للشركة إن نجحنا في طرح صندوق كهذا، وبالطبع سيكون لكِ نصيب من التكريم.

وعرفت ما يقصده، إنها مرشحة للترقية وبالترقية القادمة سيصبح راتبها كبيرا بالإضافة إلى امتيازات لم يحظ بها أحد في عمرها من قبل، إنها تصعد بسرعة الصاروخ، وإن كان الأمر يتوقف على هجرس فستحاول إقناعه حالا..

وقامت إلى مكتبها واتصلت بوالدها.. أخبرته أنها تريد

التحدث مع هجرس بموضوع يخص العمل، طلبت من والدها أن يمهد له الموضوع، وبعد ساعة اتصلت بها سكرتيرة هجرس لتحدد لها موعدا معه في اليوم التالي..

وفي ذلك اليوم اهتمت هبة بهندامها بشكل خاص ليس لشيء لكنها عرفت مع الوقت أن المظهر الجذاب له تأثير كالسحر.

ارتدت تنورة قصيرة ضيقة بيضاء ومطرزة بخيوط ذهبية عريضة، وارتدت جاكيتا بنفس اللون والتطريز، وارتدت حذاء أبيض بكعب عالٍ، بدت أشبه بعارضة جميلة خرجت من إحدى مجلات الأزياء، وتركت شعرها منسدلا وسرحته بحيث فرقته من المنتصف برقة، لاتزال تقصه قصيرا.. لا تملك الوقت للاهتمام بشعر طويل.

وخرجت لتذهب إلى هجرس.. ووصلت إلى الشركة، كان والدها بانتظارها.. لا تعرف لِمَ شعرت بأن والدها بمثابة الخادم لهجرس، لقد استقبلها عند الباب بلهفة وهو يحكي لها عن نشاط هجرس وذكائه، وعندما وصلا إلى مكتبه، لم يدخل معها بل تركها وهو يحيي السكرتيرة بتواضع وتملق، هناك شيء لا تفهمه هبة في علاقة أبيها مع ابن أخيه، وطردت تلك الأفكار عن رأسها وهي تدخل إليه، بدا المكتب فخما ورائعا لأبعد الحدود.. وقد كُسيت الجدران بقماش

من المخمل وأطر خشبية مذهبة، والتقت عيناها بعينيه، يا لبشاعته، هكذا فكرت هبة، إن له وجها قبيحا جدا بلاشك، وبدا قصيرا أمامها وهو يقف للترحيب بها، هذا ما ظنته هبة عندما هبّ واقفاً عند دخولها لكنه فعليا وجد نفسه واقفا إجلالا لجمالها، لقد بهر بها.. لم يكن قد رآها منذ سنوات وعندما رآها لم يصدق عينيه.. لقد كان منذ فترة يفكر بخطبة هالة أختها لكنه الآن يدرك أن هبة تفوقها جمالا وجاذبية بكثير، إن فيها شيئا أعجبه.. شيء ما لم يجده في الكثيرات ممن عرفهن.. إنها قوية وذكية ويظهر ذلك جليا في عينيها.

ومد يده يصافحها والتقت أصابعه القصيرة الغليظة بأصابعها الطويلة الرشيقة، وجلست هبة أمامه وهو يقول: أهلا بابنة عمي.. أنا تحت أمرك.. بماذا أخدمك؟

وبطريقتها المحترفة حدّثته هبة عن نشاط شركتها وقدمت له كراسة مطبوعة تتحدث عن إنجازات الشركة وأنشطتها في السوق، وبعد تلك المقدمة، دخلت مباشرة إلى الموضوع الذي جاءت لأجله، لم تكن تحب إضاعة الوقت في التملق.. بدا عرضها واضحا ومرتبا وهي تطرح أفكارها بطريقة جادة محترمة، بدت رائعة حقا ومؤثرة، واستمع إليها هجرس بتركيز فرغم كل شيء كان هو أيضا رجل أعمال ناجحا وذكيا أيضا،

لقد تضاعفت ثروة والده على يديه، وانتهت هبة وأعجبتها الأسئلة التي طرحها هجرس، لقد استهانت بخبرته لكنها الآن تقر له بالمعرفة، وأجابت عن أسئلته ووعدته بتحضير بعض البيانات التي طلبها وإرسالها له في أقرب وقت، وانتهت الزيارة وقد جنّ هجرس بها.. وخرجت هبة من مكتبه لكنها دخلت في قلبه.. واستدعى هجرس عمه حالا.. كأنه يخاف أن تطير هبة من بين يديه، وجاء العم مسرعا.. وجلس أمام هجرس..

طوال سنوات كان السيد عبدالوهاب كالأسير لدى أخيه والد هجرس بسبب دين مالي كبير، لقد خسر مبلغا كبيرا في البورصة واستدان أموالا كثيرة، وكتب شيكات بلا رصيد، وكاد أن يدخل السجن لولا أن سدد عنه والد هجرس دينه.. كان المبلغ ضخما وكتب له عبدالوهاب وصل أمانة بالمبلغ، وتنازل له كتابيا عن نصيبه في هذه الشركة كجزء من سداد ذلك الدين، لكن والد هجرس لم يطالبه بالسداد أبدا.. ومرت السنوات وتحسنت أحوال عبدالوهاب وبقي في الشركة رغم أن أحدا من أسرته لم يعرف أنه لم يعد شريكا فيها.. لكنه لم يقم أبدا بسداد ذلك الدين لأخيه، وتوفي والد هجرس وورث هجرس جميع أمواله بعد أن سجل له والده الشركة والعقارات التي يملكها باسمه، أما أمواله النقدية فقد احتفظ

بها بودائع خارج البلد وباسم هجرس أيضاً، وأصبح هجرس ثريا جدا، ولم يطرد هجرس عمه من الشركة ولم يطالبه أيضا بسداد دين أبيه، فشعر العم بالامتنان له، وبقي مخلصا لهجرس كما كان مخلصا لوالده من قبله..

وقال هجرس: لدي طلب عندك يا عمي..

فقال العم بحرارة: آمرني يا ولدي ماذا تريد؟

فقال هجرس: لقد تفاجأت بابنتك هبة.. لم أتخيل أنها بهذا الجمال والذكاء.. إنني أفكر بخطبتها.. ما رأيك؟

ورد العم: تعلم أنني لا أمانع لو أعطيتك روحي يا ولدي لقد ظلمها زوجها السابق كثيرا وطلقها قبل الزفاف.. لم يكن يريدها أن تعمل، وكما ترى البنت ذكية ومتفوقة في عملها ووصلت لأعلى المناصب.. لم يكن يستحقها.

فقال هجرس بلطف: لن أمنعها من العمل، تستطيع فعل ما تريد.. بالعكس أنا أشجعها على ذلك، اعرض الأمر عليها وأخبرني بالرد.. ولا تتأخر عليّ.

وقام الأب وقد وعده خيرا.. وما أن خرج من مكتبه حتى انهارت قسمات وجهه من القلق.. ماذا لو رفضت هبة الزواج به، ماذا سيكون مصير علاقته بهجرس، كيف يتملص منه وقتها، ماذا إن ثارت ثائرته وفسدت علاقته به.. لكن لمَ التشاؤم قد توافق هبة، صحيح أن هجرس دميم الوجه لكنه

غني وذكي وابن عمها، ماذا فعل بها طارق الوسيم الذي كانت تحبه! لم يلحق بها سوى الأذى والألم..

وعاد الأب إلى البيت في ذلك اليوم وهو مهموم، كان خائفا جدا من رد هبة، وقد قرر أن يفاتحها بالموضوع وحدها، لن يخبر أمها الآن.. يريد أن تكون له الفرصة ليؤثر عليها وحده دون تدخل أي شخص آخر.

وانتظر الأب عودة ابنته وهو متوتر، والأم ترقبه بصمت، وتتساءل ما الذي حدث معه، وكلما سألته رد عليها بفظاظة.. لا شيء!

ووصلت هبة وتفاجأت بوجه أبيها المتقع وأحست بحدسها أن هناك خطب ما.. وبعد الغداء بدا والدها متوترا أكثر وهو ينظر إليها بين الحين والآخر، وأخيرا قامت الأم لتنام كعادتها بعد الغداء، وتنحنح الأب وهو ينظر إلى هبة، كانا وحدهما، فقد قال هيثم إنه سيتغدى خارجا، وكانت هالة قد تغدت قبل الجميع فدوامها ينتهي باكرا مقارنة بدوام القطاع الخاص، وأخيرا وجد الأب أن الفرصة سانحة له ليفاتح ابنته في الموضوع فابتدأ حديثه قائلا: لدي موضوع يخصك.. أريد أن أفاتحك به يا ابنتي.

وتأكد لهبة صحة إحساسها فقالت: خيرا يا أبي؟

فقال الأب بجدية: اسمعيني جيدا يا ابنتي.. وركزي فيما

سأقوله لك.. تعلمين كم أنا فخور بك، أنتِ بالذات دونا عن إخوتك.. بالطبع أنا فخور بهم أيضا لكنك الأكثر نجاحا في نظري.. لقد صنعتِ لنفسك مجدا عمليا ومنصبا كبيرا رغم صغر سنك وكل ذلك جاء بمجهودك الشخصي وبلا واسطات أو توصيات، لقد اعتمدتِ دائما على نفسك..

وسكت الأب قليلا.. وفكرت هبة في نفسها أنها دفعت ثمن كل ما نالته غاليا.. فقد طلقها طارق بسبب عملها.. وعاد الأب يقول: اليوم طلب هجرس يدكِ مني..

وهبت هبة واقفة من هول المفاجأة: أنا؟ متى؟؟

وشدها الأب لتجلس ثانية وهو يقول: اليوم بعد أن خرجت من مكتبه.. يبدو أنه أعجب بك، هكذا هو هجرس يرى أن الحياة مليئة بالفرص التي يجب على الإنسان اقتناصها، يبدو أنه لم يُرِد أن يضيع فرصة ارتباطه بك فأسرع يخطبك لنفسه.

وصمتت هبة.. وتذكرت هجرس بوجهه المنتفخ وعينيه الجاحظتين، ثم إنه أقصر منها بكثير.. إنه كالمسخ أمامها! هل يكون نصيبها رجل مثله.

وكأنما أحس الأب بما تفكر به ابنته فأسرع يقول:أعرف أن هجرس غير جميل.. شكله غير مقبول.. لكن الرجل يا ابنتي ليس بشكله، تذكري أنه ابن عمك وأن عمك المرحوم

كان ذو فضل عليّ..

وشعرت هبة أنها على وشك اكتشاف سر خنوع والدها أمام هجرس.. فقالت: هناك أمر يحيرني يا أبي.. أشعر أنك تخفي عنا أمرا يخص عمي.. صحيح؟!

فقال الأب: صحيح يا ابنتي لكن ما سأقوله لك هو سر بيننا، وهذا الأمر لا يجب أن يؤثر على قرارك بالزواج من هجرس..

وحكى لها الأب حكاية الدين الذي سدده والد هجرس، وهبة تسمع أباها وهي مصدومة.. وعندما انتهى الأب قال: لا تظني أن هجرس قد ساومني بالدين على زواجك منه تأكدي أنه لم يفعل ذلك ولن يفعل، وحتى وإن فعل فإنني سأفعل ما بوسعي لسداد دينه.. إن سعادتك يا ابنتي هي الأهم لدي ولستِ مجبرة أبدا على الموافقة لكنني أردتك أن تعرفي كل شيء عن موضوع الدين مادمت قد تتزوجين هجرس.

وسألت هبة: لماذا طلق هجرس أختي جنات؟

فقال الأب بغضب: لأنها لا تستحق النعمة، عاندته ونكدت عليه حياته، وأخاكِ الأحمق سعى لطلاقها دون الرجوع إليّ..

فقالت هبة: هل سألتها لماذا طلبت الطلاق؟

فأشاح الأب بوجهه عنها: كان بينهما مشاكل، ولم أحدثها منذ طلاقها، ولا أريد أن أرى وجهها، لو أن كل زوجين تطلقا بسبب الشجار لما بقي أحد متزوج أبدا.

وسكتت هبة طويلا.. كانت تفكر بطارق.. ما الذي جنته عندما تزوجت رجلا وسيما تحبه، لقد خذلها وجرحها من الصميم، لا.. لم يكن اختيارها صائبا ومن يدري قد يكون هجرس رغم قباحة وجهه أفضل منه، على الأقل لن يفرط بها مادام قد خطبها بهذه السرعة فلابد أنها أعجبته بجدية ثم إنه ثري جدا وناجح وستستفيد من دعمه في عملها بدلا من طارق الذي كان يكره نجاحها وعملها كل الكره، وللحظة أحست أنها بزواجها من هجرس ستعاقب طارق، أجل ليعرف أنها تزوجت رجلا ناجحا من رجال الأعمال، وعلاوة على ذلك رجل يعرف قيمة النجاح ويقدّره، ولن يقف كعثرة في طريقها وأخيرا قطعت صمتها وقالت: اسمح لي بهذا الطلب يا أبي.. أريد أن أتحدث مع هجرس أولا، وبعدها سأقرر الزواج به إن وافق على شروطي.

فقال الأب بلهفة: أية شروط يا ابنتي؟

فقالت بغموض: ستكون بيني وبين هجرس، وإن وافق سأكون زوجته بلا تردد.

وفي تلك الليلة أبلغ والدها هجرس برغبة هبة التحدث إليه

واتصل بها هجرس ليلتها.. إنه رجل لا يضيع وقته، ولأول مرة تسمع صوته عبر الهاتف.. صوته خشن جدا وغريب.. به رنة حادة مزعجة تليق به، وتحدثت معه هبة كأنها تناقش صفقة ما كما تفعل في عملها، لكن هذه الصفقة هي الأهم في حياتها بلاشك.

قالت له: في الحقيقة لقد فاجأني طلبك بالزواج مني، هل لي أن أسألك لِمَ تريدني زوجة لك؟ ما الذي يشدك إليّ ويجعلك تتقدم لخطبتي بهذه السرعة؟

فأجابها هجرس: ألهذا أردتِ محادثتي؟.. أظن أن لديك الكثير لتقوليه.. حسنا لقد أعجبني جمالك حقا.. لكن ما يشدني إليك أكثر هو الذكاء المطل من عينيك.. تعجبني المرأة الذكية.

فقالت: ولماذا طلقت أختي جنات؟

فضحك قائلا: صحيح هي أختك.. لقد نسيت ذلك.. لأنها كانت غبية جدا.. شعرت هبة بالإهانة والغضب، صحيح أنها لم تلتقِ مع جنات سوى مرة واحدة لكنها تذكرت الحزن الكبير المطل من عينيها وعز عليها أن تسمع هجرس البغيض وهو يسيء إليها، فقالت بحدة: لا أظنها غبية أبدا، إنها جميلة وحزينة جدا.

فتأفف هجرس وقال: ماذا تريدين أن تعرفي؟ لم نتفق

أبدا، وهي التي أرادت الطلاق، ألا يكفي ذلك لتعرف أنها غبية!

يا لهذا الغرور! كادت تهتف به، لكنها غيّرت الموضوع لتخبره بالأهم: اسمع يا هجرس لدي شرطان للزواج بك، الشرط الأول يخص أبي.. أنت تعرف أنه مَدين لوالدك المرحوم بمبلغ كبير.. أريد ذلك المبلغ كمهر لي، إن أعفيت والدي من دينه وأعطيته وصل الأمانة الذي وقعه من سنين طويلة.. تكون قد حققت لي شرطي الأول.

وساد صمت قصير وقال هجرس بهدوء: ألم أقل لكِ إنكِ ذكية.. وما هو شرطك الثاني يا ابنة عمي؟

فقالت هبة: أن لا أترك عملي أبدا.. أريدك أن تعلم أنني أحب عملي ولا أفكر بتركه، لقد ضحيت بالكثير لأصل إلى ما أنا عليه، تلك هي شروطي يا ابن عمي ولك كل الوقت للتفكير بها، إن قبلتها سأكون زوجتك، وإلا فلك مطلق الحرية للتراجع عن خطبتي.

وتوقعت هبة أن يطلب منها هجرس مهلة للتفكير على الأقل كي لا يبدو ملهوفا عليها لكنه قال بهدوء وثقة: لا أحتاج للتفكير.. أنا موافق على شروطك، غدا سأسلم لوالدك وصل الأمانة في ظرف مختوم ليعطيه لكِ، وتأكدي أنني لن أطلب منكِ أبدا ترك عملك.. بل على العكس.. يعجبني ما تفعلينه

وأراه إنجازا رائعا ومن الغباء خسارته.

وفعلا وفّى هجرس بوعده لها وفي المساء التالي كانت هبة واقفة أمام أبيها وهي تمد يدها له بوصل الأمانة الذي كان يقض مضجعه طوال سنين وصدم الأب به وقال بذهول: ما هذا؟ فقالت بحنان: هذا مهري يا أبي.. أن أحرر رقبتك من أي دين أو ذل.

وبكى الأب وهو يضمها ويقول: أقسم بالله أنكِ بعشرة رجال يا ابنتي..

قال ذلك وهو يعني ما يقول.. فقد استطاعت هبة أن تفعل ما عجز هو عن فعله لسنوات طوال..

مكتبة
t.me/t_pdf

(43)

هيثم

جلست سماهر في مقهى المعهد وهي تنتظر قدوم هيثم، لقد ارتبطت به ارتباطا وثيقا طوال الأشهر السابقة، وسجلا معا في صفوف جديدة في الرسم، وخلال الفترة الماضية أنجز كلاهما أجمل لوحاته، كانا يحضران الدروس معا ويتحدثان كثيرا ويرسمان كثيرا وكل منهما مصدر دعم وإلهام لصاحبه، مع الوقت فكرا جديا بإقامة معرض يضمهما معا، كانا سعيدين جدا، فكل منهما وجد ضالته في الآخر، كأنهما عاشا عمريهما يبحثان عن بعضهما البعض، لقد أحبا بعضهما كثيرا، وعرفا أن هذا الحب هو أجمل شيء في حياتهما، حب هادئ رقيق، كنسمة الهواء الباقية رغم العواصف والرياح، ووصل هيثم.. كان وجهه ممتقعا والضيق يسيطر عليه وجلس أمام سماهر وهو يتحدث وكأنه لم يغب عنها أبدا فهي دائما معه بطيفها الذي يحيط به: لا أصدق حقا أنها وافقت على ذلك البغيض.. لقد سئمت من الحديث معها إنها مجنونة بلاشك.

فقالت سماهر بهدوء: هل أخبرتها بما فعله مع أختك جنات؟

فقال بغضب: أخبرتها، ولم تهتم، إنها مجنونة كما قلت لكِ، تقول إنها تعرف ما تفعله، يا للخسارة، إن هبة قوية وذكية جدا لم أكن أظن أنها توافق على الزواج بشخص مثل هجرس بهذه البساطة!

وساد صمت وكلاهما يفكر بهبة وسألت سماهر: وما هو موقف أهلك؟

فهز هيثم كتفيه بتهكم: أمي موافقة لأن هجرس ثري، وهند لا تهتم بأحد سوى زوجها، وهالة تبدو كشبح حزين ولا رأي لها، وهتاف غارقة بأحزانها بحيث تبدو كالمذهولة عما يدور حولها.. أنا الوحيد الذي أعارض هذا الزواج وبشدة، وكالعادة يرى أبي أنني أخيّب أمله بموقفي هذا.

سماهر: خطرت لي فكرة، ما رأيك أن تطلب من جنات أن تتحدث إليها؟ ربما استطاعت إقناعها، فهي التي تزوجت من هجرس وعاشت معه وتعرف حقيقته، لا أحد غيرها يستطيع إقناع هبة بالعدول عن زواجها به صدقني..

وقفز هيثم واقفا وهو يقول: كلامك صحيح، سأذهب إلى جنات الآن، كيف غاب ذلك عني.. سأرجوها أن تذهب للتحدث مع هبة.. أشكرك حبيبتي.. يا لها من فكرة.

وابتسمت سماهر في وجهه وهي ترجو من كل قلبها أن تحل تلك المشكلة في حياة حبيبها..

(44)
جنات

كانت جنات تجلس في الصالة أمام التلفاز... لم تكن تتابع البرنامج المعروض أمامها بل كانت سارحة في حالها وحزنها، لقد جاءت والدتها هذا الصباح لزيارتها، بدت كالغريبة أمامها وبدت سعيدة جداً ثم جلست كالضيفة أمام جنات تسألها عن أحوالها وتحدثها عن حياتها الجديدة، أخبرتها أنها نجحت في كسب ثقة أبناء زوجها، وأحدهما وسطها عند أبيه ليوافق على خطبة فتاة يحبها، والثاني أصبح يناديها بأمي، بدت الأم وكأنها حققت انتصاراً كبيراً وكان ذلك واضحاً على ملامحها التي أوحت لجنات أنها أصغر سناً، واستمعت إليها جنات والغيرة تنهش صدرها... وساد صمت محرج بين الأم وابنتها وأخيراً استأذنت الأم للذهاب، ووقفت جنات تودعها عند الباب وللحظة أحست أنها تريد أن ترمي بنفسها على صدر أمها وتتشبث بها كالأطفال وترجوها ألا تتركها، لكنها أطرقت بعينيها إلى الأرض ودموعها تملأ مآقيها، وأحست الأم بما تعانيه وتمنت لو استطاعت أن تخفف عن ابنتها لكنها لا تريد أن تضحي بحياتها الجديد، فزوجها يسعدها ويدللها، لقد عوضها سنين الحرمان الطويلة، وسيأتي يوم

تقدر فيه ابنتها تصرفها... وخرجت الأم كأنها تجري وتنهدت جنات وهي تتذكر أحداث ذلك الصباح، وتدثرت ببطانية كبيرة كانت تجلس فوقها وانهمرت دموعها ساخنة وأخذت تجفف وجهها بكم قميصها كطفلة يتيمة وحيدة وفجأة رن هاتفها النقال، وانتفضت في جلستها، وأمسكت بالهاتف.. كانت الساعة تشير إلى الثامنة وقتها، ونظرت إلى اسم المتصل... ياه إنه أخوها هيثم! ما الذي ذكره بها! وابتسمت بحزن وكأنها ترثي نفسها وردت عليه وجاءها صوته متدفعاً: جنات؟ كيف حالك؟ أنا هيثم أخوكِ.

فقالت بحزن: أهلاً هيثم... وسكتت....

فعاد يقول: أريد أن أراك، هناك موضوع مهم يجب أن أحدثك فيه.

فقالت جنات: أنا في المنزل، تعرف مكانه تعال إليّ إن كنت تريد رؤيتي....

وتردد هيثم وقال: وأمك؟ أهي في البيت؟ أفضل أن نكون وحدنا.

وقالت بسخرية مريرة: لا أحد هنا، تعال الآن... سأنتظرك.

وأقفلت الخط، وكأن قدوم هيثم إليها قد بث فيها الحياة من جديد، فقامت مسرعة وهي تنادي الخادمة وتأمرها بترتيب

الصالة وطلبت منها تحضير عصير البرتقال الطازج لتقدمه لهيثم عندما يأتي، ودخلت جنات غرفتها لتبدل ملابسها، ارتدت ثوبا قطنياً بسيطاً.. وغسلت وجهها وسرحت شعرها وشدته للخلف، وأمسكت قلم الكحل لتحيط عينيها بخط أسود رفيع، فقد بدت شاحبة جداً وعينيها ذابلتان فاضطرت للاستعانة ببعض المساحيق علها تعيد إليها بعض نضارتها، ونظرت إلى نفسها في المرآة، لقد خسرت الكثير من وزنها في الفترة السابقة، وبدت كالمريضة وفي تلك اللحظة دق جرس الباب وجرت مسرعة لتجيبه، وفتحت الباب وتقدم هيثم إلى الداخل، ولم تتمالك نفسها من الابتسامة في وجهه، أحست فجأة أن لديها في حياتها أحدا يزورها، أحست أن لها أهلاً وأحبت هذا الشعور وكأن هيثم قد أغناها عن أهلها جميعاً، وابتسم لها، تمنى لو ضمها إليه لكنه تحرج من فعل ذلك، صحيح أنها أخته لكنهما متباعدان جداً، ودعته للدخول وجلسا وهما يسألان عن أحوال بعضهما وقال هيثم: لقد تغيرت كثيراً، لقد نحفت جداً... هل تتبعين ريجيماً؟

وقبل أن تجيبه جاءت الخادمة تحمل صينية العصير وقدمته لهيثم فحدثتها جنات وكأنها تتباهى أمامها: هذا هيثم، إنه أخي... وأومأت الخادمة نحوه باستغراب، فمنذ شهور لم يزر سيدتها أي شخص باستثناء أمها... وأحست

جنات وكأنها تخوّف تلك الخادمة الرهيبة بأخيها، فهو رجل وتمنت أن تهابه فهي حتى تلك اللحظة تخاف من هذه الخادمة.

وأخيرا تحدث هيثم: جنات أتيت إليك في خدمة.. إنه معروف لن أنساه لك...

وظهر الاهتمام في عينيها: خيرا؟ ماذا تريد مني؟

فقال: إنها أختي هبة، أقصد أختنا هبة فهي أختك أيضا، ولابد أنك لا تريدين لها الشر، أحتاج مساعدتك لننقذ حياتها.

وللحظة تراءت هبة أمامها بطولها الفارع وشعرها القصير ونظراتها الثاقبة في العزاء، وجزعت جنات: ما الذي حل بها؟

هيثم: لقد تقدم هجرس للزواج بها، والمجنونة وافقت عليه لقد تم تحديد موعد الزواج بعد أسبوعين، ساعديها يا جنات فأنت تعرفين هجرس خير المعرفة وقد تستطيعين إقناعها بالعدول عن رأيها، إنه لا يستحقها... أرجوكِ ساعديني فقد فشلت في التأثير عليها.

وتراءت لجنات هذه المرة صورة هجرس.. قباحته.. غروره.. رائحة أنفاسه... ثقله وبغضه... نساؤه وخياناته... تحقيره للآخرين... وصفعاته... وارتجفت في مكانها، وقالت

بصوت مرتعش: ماذا تقول؟ كيف حدث ذلك؟

وكاد هيثم أن يصرخ: لا يهم كيف المهم أنها ستتزوجه، أرجوكِ يا جنات ساعديني... كلميها، حاولي ذلك يجب أن ننقذها منه...

وأومـأت جنات برأسها وهي تعده أن تفعل وهي لاتزال ترتجف...

(45)
هند

جلست هند وهي ترتدي ثوباً حريرياً مزيناً بالريش، كان وجهها مليئا بالمساحيق بزينتها المبالغ بها، لكنها تفعل ما بوسعها كي تبدو جميلة وأن تتبع آخر صيحات الموضة، نظرت إلى ساعتها للمرة المائة هذا المساء، كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساءً وهي على تلك الحال منذ السابعة على الأقل، ثلاث ساعات كاملة من الانتظار، وكأن الانتظار بات مصيرها وقدرها منذ تزوجت مسعود، ثلاثة أشهر كاملة وهي تعيش ذلك الانتظار الذي يكاد يقتلها ببطء، والأمر الذي يعذبها والذي أخفته تماما عن أهلها أن مسعود لم يكن يبات عندها أبداً، فزوجته الأولى لا تعرف بأمر زواجه عليها، لا تعرف بوجود هند في حياة زوجها الأمر الذي لم يستطع مسعود كشفه أبداً، كان عاجزا عن مصارحة زوجته بزواجه الثاني، إنه يهابها بشكل كبير، وكلما حدثته هند بهذا الخصوص ثار في وجهها وغضب منها، إنه لا يستطيع فرد عضلاته إلا عليها ليته يستطيع أن يكون قويا هكذا أمام زوجته الأولى، وكلما سألتها أمها عن حالها كانت تخبرها كاذبة أن مسعود يقسم لياليه بينها وبين ضرتها، لم ترد أن يغضب أهلها منه،

لقد أرادت الهدوء والاستقرار في حياتها كما لم ترد شيئا من قبل، حلمت برجل وأولاد، فإذا بها تعيش في بيت بلا رجل، حلمت بقرب يعوضها سنين الحرمان فإذا بها تعيش بعدا وجفاء، حلمت بحياة سعيدة تملأ وقتها وتشغل عقلها فإذا بها تعيش حياة باردة مع الملل والفراغ.. لقد تحولت حياتها إلى ساعات طويلة من الانتظار، الوحيدة التي كانت تسمع شكواها هي أخت مسعود، لقد صارحتها هند بوضعها، لكنها رجتها ألا تتدخل خوفا أن يغضب منها مسعود، وفي ذلك الصباح اقترحت عليها أخته أمراً لايزال يتردد في ذهنها، اقترحت أن تقوم هند بالاتصال بزوجته كفاعلة خير وتخبرها بزواج مسعود عليها لعلها تكون الطريقة الوحيدة لإبلاغها فإن كان مسعود يتملص من مسؤولية إخبارها، فلتفعل هند ذلك، ومهما كانت ردة فعل زوجته من ثورة وغضب فعلى الأقل سيكون لهند الحق وقتها بمطالبة مسعود أن يعدل بينهما في المبيت، فمن غير المعقول أن يبقى الحال على ما هو عليه، لقد قضت هند الأيام الأولى في رعب وهي في شقة كبيرة وحدها في الليل وفي وقت سابق طلبت منها أمها العودة إلى بيت أبيها للنوم في الأيام التي يفترض بمسعود أن يقضيها عند زوجته لكن هند رفضت، إنها لا تتخيل نفسها تعيش متنقلة بين بيتين ومن ناحية أخرى لا تريد الخروج من

شقتها والذهاب للمبيت عند أهلها. لقد خرجت من منزل أهلها كزوجة ولا تريد أن تترك عش الزوجية لتعود كالعزباء من جديد، ونظرت هند مجدداً إلى الساعة.. لقد مضت نصف ساعة أخرى وبدأ صبرها ينفد وقررت الاتصال بمسعود وبمجرد إمساكها لسماعة الهاتف، سمعت قفل الباب وهو يدور، ودخل مسعود إليها، وجرت هي لاستقباله بلهفة وكأنها نسيت ساعات الانتظار السابقة بمجرد رؤيته أمامها، وارتمت على صدره وضمها إليه بهدوء وحنان، كان يحس بمدى حرمانها، إنها لا تشبع من وجوده بقربها فهو لا يكاد يستقر عندها حتى يتوجب عليه الانصراف إلى بيته الأول... ورفعت رأسها تسأله: تناولت العشاء؟ فوقعت عيناه على طاولة الطعام وقد رص الأكل فوقها بترتيب جميل فهز رأسه وقال: لا، جئت أتعشى معك، وجلسا معاً يتحدثان ويأكلان، بدت هند سعيدة جداً بوجوده معها وكأنها ملكت الدنيا، إن كل ما تريده هو حقها بوجود زوجها معها، تريده أن يبقى معها وينام في بيتها إنها أيضا زوجته ولها حق عليه، وقضى ساعة أخرى معها، وقبل أن ينتصف الليل قام ليعود إلى بيته وتكدرت ملامح هند وقامت واقفة أمامه وهو يهرب من نظراتها المتوسلة وهتفت: إلى متى نبقى هكذا؟

وقال بضيق: هند أرجوكِ لا تعكري الليلة بالإلحاح، دعينا

نستمتع بوقتنا معا بلا جدال.

هند: لكن هذا الوقت لا يكفيني، أرجوك أخبر زوجتك واعدل بيننا كما يقول الشرع.

ورد عليها مسعود بضيق أكثر: لِمَ تصرين على فتح هذا الموضوع كلما رأيتني؟

هند: لأنني أريدك معي، أحتاج إليك، أخاف قضاء الليل وحدي، وأكره أن أعيش كزوجة بالسر.

مسعود: اذهبي لقضاء الليل عند أهلك.

هند: إنهم لا يعرفون أنك لا تبيت معي أبداً، مسعود يجب أن تفكر بي أكثر، لم يكن ذلك اتفاقنا، إلى متى أعيش معك هكذا؟

ووصل مسعود إلى الباب والتفت نحوها وقبّلها كأنه يسكتها وسكتت هند لتلتقط أنفاسها وفتح الباب و... خرج.. كم بدت الشقة موحشة بعد رحيله... وخطت نحو الأريكة في الصالة ورمت بنفسها بقوة فوقها وهي تتنهد، وتواسي نفسها: اهدئي... سيعود غداً... وعادت إلى ساعات الانتظار..

(46)
هتاف

كانت هتاف خارجة من مقر عملها عندما رن هاتفها النقال.. كان المتصل هو سهيل، الأمر الذي فاجأها، فأجابت مسرعة: ألو؟ سهيل؟ خيرا إن شاء الله؟ هل حدث شيء؟

وجاءه صوتها يقول: هتاف لدي موضوع مهم أريد أن أحدثك فيه على انفراد....

وسألته هتاف: ما الأمر؟ لقد أخفتني؟

فقال: يجب أن أراك، لا ينفع الحديث في الهاتف، ما رأيك لو التقينا في أحد المطاعم الآن؟ وليكن الأمر بيننا لا تخبري شادن فالموضوع خطير.

واتفقت هتاف معه على اللقاء والخوف يعتصر قلبها، ماذا حدث يا ترى؟ وأي موضوع يريد سهيل إخبارها به، وركبت مع السائق ووصلت إلى المطعم الهادئ الذي اختاره سهيل، ودخلت، بدت فاتنة بثوبها الأسود الضيق الذي ارتدته ذلك اليوم، مازالت ترتدي السواد ولمحت سهيل يشير إليها من بعيد فخطت نحوه مسرعة وجلست وهي تسأله: لقد حيرتني؟ ما الأمر؟

وابتسم لها بحنان وقال: اهدئي قليلا واجلسي، ماذا

تطلبين؟..

كان النادل قد اقترب ليأخذ طلبهما فطلبت عصيرا فقط في حين طلب سهيل طبقا من السلطة...

وابتعد النادل، وعاد تساؤل هتاف، وأخيراً تحدث سهيل: اسمعي يا هتاف... أنا حقا أقدر ما تمرين به.. منذ ذلك الحادث وحتى اليوم وأنا أراكِ نموذجاً للزوجة المحبة المخلصة، وأعلم حقا كم عانيتِ بسبب نبيل وما حدث معه.

واغرورقت عيناها بالدموع...

وعاد يقول: نحن نقدر بقاءك في منزلنا حتى هذه اللحظة ولولا أنك امرأة أصيلة لما كنتِ بقيتِ، ولربما ما كنتِ بقيتِ تنتظرين أخي كل تلك السنوات وهو في تلك الحال.

وقالت هتاف: كنت مستعدة أن أنتظره عمري كله، رحمه الله، كان غالياً عليّ، إنه زوجي وحبيبي ووالد ابني... سأظل أحبه طوال العمر.

وواصل سهيل حديثه قائلا: هتاف... بصراحة والدتي خائفة من أن تقرري الرحيل والعيش في منزل أهلك، تعلمين أنها متعلقة بفواز، فهو قطعة من نبيل ولولا وجوده لما كانت تحملت غيابه، لقد فكرنا أنا وأمي في الأمر طويلا ووجدنا أن الحل هو أن تبقي معنا وإلى الأبد، وذلك لن يتحقق إلا إذا تزوجت بي.

وكادت هتاف أن تصرخ: ماذا؟

وقال بسرعة: فكري بالأمر، فأنا عم فواز، وسأربيه كابني ثم إن زوجتي شادن لم تنجب ويقول الأطباء إن العيب منها، لذلك فإن زواجي بأخرى أمر محتوم، فلتكوني أنتِ زوجتي ما دامت الظروف مهيأة لهكذا زواج.

وارتجفت هتاف: هل جننت يا سهيل؟ أنا اعتبرك كأخي، لم أنظر إليك يوما كرجل أتزوجه، وهل نسيت من هي شادن بالنسبة لي؟ إنها أكثر من أختي، إنها أقرب الناس لي، هل تريدني أن أكسر قلبها وأخونها بزواجي بك؟

وقال سهيل بحرارة: بالعكس يا هتاف... ستقدر شادن الموقف وستتقبله... إنها تحبك كثيرا.

فقالت بحزم: لا يا سهيل، فالطعنة عندما تأتي من أحبائنا لا تُنسى أبدا ولا تُغتفر، لاشيء يجعلها تقبل بخيانتي لها.. لن تلتمس لي أي عذر وقتها... لا يا سهيل أنا أرفض طلبك رفضاً باتاً وأرجوك لا تفاتحني بهذا الموضوع مرة أخرى...

وقامت هتاف وهي لاتزال ترتجف... وخرجت من المطعم وهي تكاد تجري إلى السيارة وأمرت السائق أن يعود بها إلى البيت، إن ذلك البيت لم يعد بيتها وأيامها فيه انتهت منذ تلك اللحظة، يجب أن تخرج، أمر رحيلها محتوم الآن.. لأجل شادن يجب أن ترحل يجب أن تصون صداقتها وحبها..

ولأجل نفسها وحياتها أيضاً، ووصلت إلى البيت...

كانت حماتها جالسة في البهو، وألقت عليها التحية على عجل وجرت تصعد إلى غرفتها، وأقفلت الباب وبهدوء أخرجت حقيبة ملابسها وبدأت توضب أغراضها، ستأخذ كل الأشياء المهمة ثم تعود لاحقا لتأخذ الباقي، لن تبقى يوما واحدا في هذا البيت، لقد مضت خمسة أشهر منذ مات نبيل وحان وقت رحيلها بلا عودة وفتحت دولاب فواز أيضا وأخذت بعض ملابسه المهمة ولعبته المفضلة... ووضعت في حقيبتها كل ما استطاعت تكديسه داخلها وأقفلت الحقيبة، ثم نادت فواز، كان يلعب في الصالة المجاورة فجاء مسرعاً وشدته نحوها برفق وللحظة أحست برغبة باحتضانه إلى صدرها لكنها لم ترد إثارة مشاعره وبهدوء قالت له: حبيبي لقد قررت أن نذهب لنبيت في منزل جدتك الأخرى.

فقال الصغير: لماذا؟

فابتسمت له: لأنها أمي وأنا اشتقت إليها وأريد أنام في غرفتي هناك... مضى وقت طويل منذ فعلت ذلك.. وأريدك أن تأتي معي.

وسألها فواز أسئلة كثيرة ردت على معظمها ثم نزلت على الدرج وهي تجر حقيبتها وراءها، وبمجرد نزولها أمام حماتها فُتح باب المنزل ودخل سهيل والتقت عيناه بعيني أمه ووقفت

هتاف أمامها وقالت: سأعود إلى منزل أهلي....

فقالت الأم بغضب مكبوت: لماذا؟

فردت هتاف: لديّ أسبابي، ولا أظنك تهتمين لبقائي.

فقالت الأم بغضب واضح هذه المرة: صدقتِ فأنا لا أهتم لكِ أبدا... لكنني أهتم بفواز... إن أردت الذهاب اذهبي لكن اتركي ولد نبيل ليعيش بيننا.

وكادت هتاف أن تصرخ في وجهها لكنها تمالكت أعصابها وقالت: إنه ابني أيضا ولن أتركه لأحد، تستطيعين رؤيته في أي وقت تريدين.

فصرخت الأم: لن يخرج فواز من البيت... ارحلي أنتِ بلا رجعة... لكن ابن نبيل سيبقى معي.. ألا يكفيك أنكِ حرمتني منه، قتلتيه وبقيتِ على قيد الحياة يا وجه النحس والشؤم.

وللحظة أحسست هتاف برغبة بالتقيؤ... إن هذه المرأة تعبر أخيراً عما بداخلها، لطالما كرهت هتاف ونظرت إليها بحقد لكنها الآن خلعت قناعها وأفصحت عما بنفسها... وردت هتاف: كان ذلك قضاء وقدراً... وتأكدي لو أنني استطعت لكنت فديت نبيل بعمري كله.. لقد كان أعز عليّ من نفسي... أنا راحلة ولن أترك ولدي.

وانتبهت هتاف أن فواز واقف بجوارها وهو يرتعش من الخوف، ما كان من المفروض أن يسمع الطفل ذلك الحوار

القاسي. وفجأة لطمت الجدة خديها وولولت ثم اندفعت تحضن فواز بطريقة هستيرية وهي تقول له: أمك تريد أن تحرمني منك كما حرمتني من أبيك... تريد أن تأخذك بعيدا عن بيتك... هنا بيتك يا فواز وأنا التي ربيتك....

والولد يبكي وهتاف واقفة تحترق من الغيظ، وأخيرا تدخل سهيل قائلا: دعا الولد يختار أين يريد أن يعيش... فواز تكلم هل تريد أن تبقى هنا أم تريد أن تذهب مع ماما؟

واستمر بكاء الولد، وبتلك اللحظة بكت هتاف وهي تقول: حرام عليكما، اتركاني أرحل بسلام مع ولدي، حرام ما تفعلانه...

وعاد سهيل يلح على الطفل والجدة تبكي وتدعو: حسبي الله ونعم الوكيل.. تريدين حرق قلبي وأخذ حفيدي.

وأخيراً قال فواز: أريد أن أبقى هنا....

فصدُمت هتاف... وظهر الانتصار على وجه الجدة... وهي تحتضن الصغير إلى صدرها....

وبقيت هتاف واقفة مكانها لا تدري ماذا تفعل... وأخيراً قالت الجدة: اخرجي من بيتنا فأنا لا أطيق رؤية وجهك. وهذه المرة صرخت هتاف: سأبقى رغماً عنكِ... لن أترك لكِ ولدي... هل تفهمين؟

وبتلك اللحظة فتح الباب ودخلت شادن التي كانت خارجة

وعادت لتوها... وصُدمت بحال الأسرة... وبسرعة فهمت ما حدث... وخطت نحو هتاف وأحاطتها بذراعها وهي تقول: هيا حبيبتي... اصعدي إلى غرفتك واستعيذي من الشيطان الرجيم... هيا يا هتاف تعالي معي.. أرجوكِ.

وصعدت هتاف خلفها كالمشدوهة، لقد تصعبت الأمور وتأزمت... تكاد لا تصدق ما حدث، لكنها لن تستسلم، لن تعيش سجينة في منزل الكره هذا، لا تريد البقاء هنا، وشادن بجوارها تمسح على رأسها وتطبطب عليها، وهتاف تبكي... إن تلك العائلة بلا رحمة، ورمت برأسها على صدر شادن... وتذكرت طلب سهيل الزواج منها، وازداد نحيبها ما كانت لتخون ثقة شادن بها أبدا وما كانت لتتسبب لها أبدا بالألم والقهر... إنها أختها وحبيبتها...

وبعد ساعة سمعتا طرقا على الباب وفتحته شادن فإذا به فواز الصغير وقد بدا خا●ئفا... وانحنت شادن وهي تقول له: أهلا حبيبي... ادخل... لا تخف.

وأشاحت هتاف بوجهها عنه، كانت غاضبة منه، ولاتزال تعاني جرحا في قلبها عندما اختار جدته عليها...

وقال فواز: ماما... ماما.

ورق قلب هتاف... قلب الأم الذي لا يقسو... وقالت: نعم حبيبي...

فقال باكيا: أحبك يا ماما... وأريد أن أذهب معكِ.

وفتحت هتاف ذراعيها تدعوه إليها، وارتمى الصغير بين أحضانها وهما يجهشان بالبكاء وشادن تبكي أيضا معهما...

ومر الوقت... ونام فواز... وظلت شادن عندها حتى منتصف الليل ثم ذهبت إلى غرفتها.. وبقيت هتاف مستيقظة.. وساد الصمت حولها وبهدوء فتحت باب غرفتها وأرهفت السمع، لابد أن العجوز الظالمة قد نامت....

وعادت هتاف إلى غرفتها وقد اتخذت قرارها، ستهرب من هذا الجحيم... وحملت فواز على كتفها ولم تأخذ معها حقيبة الملابس، المهم أن تنجو بنفسها وبولدها، ونزلت إلى الطابق الأرضي... وفتحت قفل الباب الداخلي وكأنها تفتح باب سجن كبير وهبت عليها نسمة هواء باردة... وتسللت خارجة بسرعة ووقفت لبرهة، إنها لم تقد أي سيارة منذ ذلك الحادث اللعين، وخافت أن توقظ السائق في وقت كهذا... وفكرت ماذا تفعل.. وعادت إلى الصالة وهي لا تزال تحمل ولدها النائم على كتفها... وقد قررت أن تؤجل هروبها لكن عينيها وقعتا على حقيبة شادن التي تركتها في مكانها عندما عادت وقت حدوث المشكلة ثم انشغلت مع هتاف ونسيت أخذها... وبيد ترتجف فتحت حقيبة شادن وأخرجت منها

مفتاح سيارتها ثم خرجت ثانية وتوجهت نحو سيارة شادن وهي ترتجف من الخوف... وفتحت باب السيارة الخلفي ووضعت فواز برفق ومددته في الخلف ثم جرت وركبت في مقعد القيادة، وللحظة مر بها شريط ذكرياتها يوم كانت تقود السيارة يوم الحادث وانهمرت دموعها والتفتت لترى المقعد الفارغ المجاور لها.. وحدقت في الفراغ وتخيلت نبيل وهو يبتسم لها، بدا لها وجهه واضحاً جداً وكأنها رأته حيّا منذ وقت قصير حتى إنها أحست بنظرة الحب في عينيه.. كان حبا كبيرا لم ينته أبداً في قلبها... وأشاحت بوجهها إلى الأمام وأدارت محرك السيارة بيد مرتجفة وأحست بالخوف يكاد يشل حركتها وفجأة سمعت هاتفا داخليا يهتف بها: لا تخافي... أجل كانت تلك آخر كلمات نبيل إليها... يجب أن لا تخاف لأجله، وإكراما له... تجاهلت خوفها من القيادة... وهمست: يا الله... إليك ألتجئ وعليك أتوكل... أعطني القوة والثبات واحفظني أنا وولدي لنصل سالمين إلى بر الأمان....

وأخيرا خرجت من كراج المنزل والتفتت نحو هذا البيت الذي لم تعرف فيه السعادة منذ زمن طويل وهمست من بين دموعها: الوداع....

(47)
هالة

في تلك الليلة بالذات كانت هالة تعاني الأرق، تقلبت في سريرها مرارا وهي تحاول دعوة النوم لتريح نفسها من تعب يوم طويل...

وكانت الساعة تشير إلى الثانية فجرا عندما قامت هالة من سريرها متملمة، بدت صغيرة جدا وهي ترتدي لباس نوم ملون ومزين بالرسومات كالأطفال، وشعرها الناعم يهف على وجهها الرقيق... واقتربت من نافذة غرفتها تطل على الشارع الساكن والبيوت النائمة حولها، وفجأة ظهرت سيارة مترنحة في بداية الشارع، وتساءلت هالة يبدو أن صاحبها قد نسي إضاءة أنوار السيارة وهو يقود لكن مهلا.. لقد وقفت السيارة الغريبة عند بيتها تماما وحدقت هالة في الظلام.. يا إلهي إنها تعرف هذه الفتاة وركزت قليلا وتعرفت على أختها هتاف وهي تنزل من السيارة وتفتح الباب الخلفي... وجرت هالة وهي تنزل على السلالم وفتحت باب المنزل وبلا تفكير خرجت حافية إلى مدخل المنزل لتفتح الباب لأختها، وعندما لمحتها هتاف كادت ألا تصدق عينيها، كانت طوال الطريق تفكر في كيفية الدخول إلى المنزل في هذا الوقت وفكرت

بمدى الرعب الذي سيشعر به أهلها إذا دقت جرس الباب في وقت كهذا، وتفاجأت بأختها تظهر أمامها وقد أنقذتها من ذلك المأزق...

وبهدوء دخلت الأختان وهتاف تحمل فواز وهو يغط في النوم لقد كان نومه ثقيلا... كوالده... فكرت هتاف وهي تدلف إلى الداخل... إلى الأمان... إلى بيتها بعد غربة طويلة...

ووضعت هتاف فواز على الأريكة... وأخيرا تحدثت هالة بصوت مبحوح: ماذا حدث؟ أخبريني ما الذي حدث لتأتي إلينا في هذا الوقت؟

وقالت هتاف هامسة: دعينا نصعد إلى غرفتي... لا أريد إيقاظ أحد في المنزل.

فقالت هالة: لنصعد إلى غرفتي أنا فغرفتك مقفلة ومليئة بالأتربة... لم يستعملها أحد منذ مدة.

وتعاونتا على حمل فواز على الدرج... ووضعتاه في سرير هالة.

وأخيرا رمت هتاف بنفسها بين أحضان أختها، كان شعرها الطويل مشعثا وبدت عيناها مليئتان بخطوط حمراء من أثر البكاء... وحكت هتاف لأختها ما مر بها... حكت لها عن خطبة سهيل لها وباقي الأحداث التي توالت بعد ذلك...

وعندما انتهت كانت هالة قد استشاطت غضبا... من يظن هؤلاء القوم أنفسهم ليجرحوا أختها بهذه القسوة!

وهدأت هتاف وأحضرت لها هالة كوبا من الماء وبعض الخبز والجبن لتأكل... فقد قضت يومها السابق دون طعام وتسللت هالة إلى غرفة هند لتحضر مرتبة سريرها... جرتها بصعوبة نحو غرفتها وهي تحاول قدر الإمكان ألا تصدر إزعاجا... واستلقت الأختان معا فوق المرتبة على الأرض وهما تتحدثان وأخيرا نامتا بهدوء...

كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا... عندما استيقظت هتاف... كان فواز لايزال نائما وكذلك كانت هالة، ونهضت هتاف بهدوء ودخلت الحمام، تمنت لو استطاعت تغيير ثيابها وتذكرت أنها لا تملك أي شيء من أغراضها وخرجت من الغرفة... ونزلت إلى الصالة وطلبت من الخادمة أن تحضر لها البيض كانت تتضور جوعاً... وبعد نصف ساعة نزلت الأم من غرفتها وفوجئت بابنتها جالسة أمامها.

وقالت الأم: هتاف... ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المبكر؟

وابتسمت هتاف: أمي... أحبك يا أمي...

وقامت تجري ورمت بنفسها بين أحضان أمها كأنها تستنجد بها، وحكت لها كل ما حدث، والأم ترتعش من

شدة الغضب... وعندما عرفت بطريقة هروب ابنتها ثارت ثائرتها... وبسرعة أبلغت الأم الأب بما حدث وأيقظت هيثم وقرروا جميعا الذهاب إلى منزل أم نبيل للتفاهم معها على ما حصل ولإحضار أغراض ابنتهم وولدها...

وارتاحت هتاف... إنها لم تعد وحيدة، لقد استعانت بأهلها وعزوتها وها هي بينهم الآن معززة مكرمة ولن تسمح لأحد بأن يزعجها بعد الآن...

واستيقظت هالة وجلست تأكل مع أختها وبعد دقائق نزل فواز وهو يبكي، لقد خاف وجوده في سرير هالة واستغرب الأمر، وحضنته هتاف وشرحت له أنهما سيبقيان هنا، وأنه يستطيع زيارة جدته وقتما يشاء وبدأت هالة تداعبه وتقبله، لقد كانت خالته هالة هي الأقرب إلى قلبه، وأخذت تعده بالخروج للملاهي وشراء الألعاب، فهدأت نفسه وبدأ يأكل...

وبعد ساعتين عادت الأم وهي تحمل حقائب ابنتها، لقد تشاحنت مع والدة نبيل وأسمعتها كلاما تستحقه، وبدا سهيل مسالما أمام الأب، أما شادن - التي قاد هيثم سيارتها وأعادها إليها - فقد بدت مصدومة لجرأة هتاف وطريقة هروبها... لم تتخيل أنها قادت السيارة في ذلك الوقت المتأخر... لكنها في داخلها فرحت أنها بخير وبين أهلها أخيرا وهي التي ساعدت

والدة هتاف في توضيب أغراضها، كانت حزينة أن هتاف قد غادرت لقد أحبتها بحق وتعودت عليها لكنها عرفت أن ذلك في صالحها، فمن حقها أن تترك هذا المكان وأن تبدأ حياة جديدة..

(48)
هبة

جلست هبة أمام جنات في أحد المطاعم وهي تستمع إليها، كانت جنات تحكي لها عن تفاصيل حياتها مع هجرس، أخبرتها عن تكبره وغروره، صلفه وتعاليه، معاملته السيئة لها ثم عن نزواته وأخيرا عن صفعاته...

بدت هبة مذهولة لما تقوله أختها... معقول أن يكون هجرس بذلك السوء، لكن شيئا ما في داخلها كان يحذرها، ماذا لو كانت جنات تغار منها لأنها ستتزوج طليقها؟! ما الذي يؤكد لها كلامها؟ إنها لا تعرف هذه الأخت، ولم ترها سوى مرتين، وربما كانت كاذبة، لكن ماذا لو كانت صادقة لا.. لا تظنها كذلك، ثم ما الذي يدفع جنات لإخبارها كل تلك الحكايات عن هجرس، ما الذي يهمها إن تزوجت هبة به، لا يعقل أن جنات تخاف عليها، إنها لا تعرفها أصلا وبالتأكيد لا تحبها... كيف تحبها وهي الأخت التي أبعدتها العائلة ونبذتها... لا وجود لمشاعر الأخوة بينهما.

وعندما انتهت جنات... ساد صمت قصير... وأخيرا قالت هبة: أشكرك على اهتمامك.. لكنني أعرف مصلحتي، على العموم لا أظن أن مستقبلي يهمك لهذه الدرجة.

وصعقت جنات... إن هبة لا تثق بها ويبدو أنها لا تصدق ما قالته لها... وقالت بحرارة: صدقيني يا هبة... أقسم لك أن كل كلمة قلتها لك حقيقية تماما... ومهما كانت طبيعة علاقتنا معا تظلين أختي ورأيت أنه من واجبي أن أقدم لك النصيحة.

ورفعت هبة رأسها بكبرياء وقالت: أشكرك على نصيحتك وأظن أنني صاحبة القرار فيما يخصني...

وانتهى اللقاء على ذلك... وعادت هبة إلى مقر عملها وهي تفكر في كلام جنات، ترى ما الذي تنويه من وراء ما تفعله، ودخلت هبة مكتبها وجلست تقرأ تقريرا هاما وهي تحاول التركيز فيما تقرأه بصعوبة، وأحست بشخص يقف أمامها، وقبل أن تعي سمعت صوتا تعرفه جيدا وكأنه آتٍ من عالم بعيد: كيف حالك يا هبة؟

وببطء رفعت هبة رأسها لتجد طارق أمامها... إنه هو بشحمه ولحمه، الحبيب الذي خذلها... وارتبكت... أحست بقلبها يخفق بعنف وبلا شعور ووضعت يدها على صدرها كأنها تهدئ من روعها...

وقال طارق بحنان: فاجأتك... أعرف ذلك، كان يتوجب عليّ أن آخذ موعدا قبل أن آتي... لكنني خفت أن ترفضي رؤيتي...

ودون أن تدعوه جلس طارق أمامها...

وظلت هبة صامتة... تكلم طارق: كنت آتي لأراك من بعيد.. لم أنسك أبدا... كلما فاض بي الشوق كنت أجد نفسي أراقبك من بعيد...

وقاطعته هبة بحدة: طارق.. ماذا تريد مني؟! لِمَ أتيت؟!

طارق: سمعت أنك خطبت لابن عمك هجرس... هبة لا تتزوجيه، سمعته سيئة وهو لا يصلح لك.

فقالت هبة بتهكم: ومن الذي يصلح لي يا طارق؟ ثم ما شأنك أنت بما أفعله؟ بأي صفة تتدخل في حياتي؟ لا تملك أي صفة الآن تخولك فعل ذلك..

طارق: لاأزال أحبك، صدقيني... لقد تعذبت كثيرا... هبة دعينا نفتح صفحة جديدة، كلانا أخطأ في حق الآخر وحبنا يستحق محاولة أخرى.

وامتلأت عيناها بالدموع وقالت بسخرية: محاولة أخرى؟ تظن الأمر لعبة أم ماذا؟ أي محاولة نقوم بها بعد أن طلقتني قبل عرسنا بأسبوع؟ أي محاولة تنفع بعد أن لاكت سيرتي الألسن؟ أي محاولة قد تجدي وأهلي لا يطيقون ذكر اسمك؟ هل تمزح معي عندما تقول إنك تحبني؟ لقد أنهيت ارتباطنا بكلمة واحدة وبلا رحمة، تقول إنك تحبني؟ أين كنت إذن طوال تلك المدة؟ الآن أتيت إليّ لأنني سأتزوج رجلا أفضل

منك.. رجل يقدرني ويقدر ما وصلت إليه...

وسكت طارق... كان يقدر مدى غضبها لكنه حقا يريدها أن تعود إليه، وقد ضغط على نفسه وداس على كرامته ليحاول هذه المحاولة... لم يكن قدومه إليها سهلا على نفسه... وتجمدت الكلمات فوق شفتيه... لم يكن إصلاح ما كُسر بينهما ممكناً حقاً...

وقالت هبة: طارق... إن كنت تستطيع إعادة الزمن إلى الوراء... إلى تلك اللحظة التي رميت فيها عليّ يمين الطلاق... عندها فقط تصبح عودتي إليك ممكنة..

وقام طارق... وخرج من مكتبها... وذهب...

وبقيت مذهولة مكانها... لقد ذهب بسرعة... ليته رجاها، توسل إليها... ليته حاول معها أكثر، لقد استعجل مرة أخرى، وتمنت أن تناديه... تمنت أن تصفعه، أن تقتله، أن تضمه إلى صدرها... كل ذلك التناقض مر بها في لحظات لتكتشف أنها لاتزال تحبه... رغم كل شيء...

لقد خسرته من جديد... وإلى الأبد...

لماذا أتيت الآن؟

أتيت بعد مرور الزمان.. بعد أن

حرّقني الشوق وغلبني الحنين

بعد أن بكيت عليك سنينا وسنين
أين كنتَ عندما كنتُ أناديك ولا تسمع؟
لا عاد شيء يا حبيبي الآن لك يشفع
لا عاد الشوق يا حبيبي ينفع
لقد قررت أن أنساك.. أن أعاند قلبي
وأعاندَ هواك
رُغْمَ أني لم أحب من العالم رجلاً سواك
هاك روحي.. هاك قلبي.. هاك كل
شيء فيني فداك
لكن اتركني أنا والسنين
اتركني لقدري الأليم
اتركني حتى أقدر على أن أكمل حياتي مع الأنين..
أن أعيش وسط اللوعة والحرمان
اتركني وحدي مع مصيري والله وحده المستعان

(49)
هيثم

جلس هيثم أمام سماهر والضيق يكاد يخنقه، كان يشعر بالخيبة واليأس... لقد فشلت مساعيه بإقناع هبة بعدم الزواج من هجرس، بدت مصممة على ذلك الزواج بشكل غريب، ولم تفلح جنات في التأثير على قرارها.

ونظرت سماهر إليه بحنان... إنه مرهف الحس... واعتاد دائما على إخفاء مشاعره... لكنها تحس بكل معاناته وإن حاول عدم إظهارها وقالت له بحب: هيثم دع الأمور تجري كما هو مقدر لها، لا تتعب نفسك في التفكير ولا تكلفها ما لا طاقة لها به...

هيثم: كيف لا أفعل... إنها أختي، أراها وهي ترمي بنفسها إلى ذلك الرجل المنحرف وأعجز عن إيقاف ذلك... إنني أشعر بالعجز أكثر من أي وقت مضى...

سماهر: لا تقل ذلك، إنك تظلم نفسك بما تقول، لكننا لا نستطيع تغيير الآخرين، لا سلطة لنا إلا على أنفسنا... ومن يدري قد تستطيع هبة التعامل مع هجرس والسيطرة على طباعه، تبدو لي فتاة قوية وصلبة.

وقال هيثم بحنان: هي كذلك حقا... تعلمين لم أكن أظن

أنني أحبها إلى هذا الحد، كنت دائما أغار منها... فوالدي يعتبرها أفضل مني، واستطاعت تحقيق النجاح الذي لم أحققه في نظره.

فردت عليه سماهر وهي تبتسم لاعترافه بالغيرة من أخته: إنك أطيب وأنقى رجل في الدنيا... دع أختك تختار طريقها وثق أنها ستعرف كيف تنجح في حياتها كما نجحت في عملها... إنها ذكية ومثلها لا داعي للخوف على مصيرها.

وسكت هيثم... لقد أصبح مؤخرا مشغول البال بأحوال أخواته البنات، زواج هبة، وجنات التي تعيش وحدها والذي فاتح أباه بأمرها فرفض حتى الإصغاء إليه، وهتاف التي تعيش الخوف من أن يقوم أهل زوجها باختطاف ولدها، لقد أخذ ولدها فواز بنفسه لزيارة جدته، وبقي ثلاث ساعات كاملة حتى انتهت تلك الزيارة وهو ينتظر في منزل أهل زوجها بناء على توصيات أخته المرعوبة، وهالة التي يراها تذبل يوما بعد يوم، والحزن يأكلها أكلا، وهند التي تعيش حياة سرية غريبة ولا تبالي بأحد سوى بمسعود، بدت حياتهن مرتبكة وضائعة وتمنى هيثم لو استطاع مساعدتهن أكثر، كان ليفديهن بروحه لو استطاع...

وتنهد وهو يقول: أتعلمين أنت مصدر السعادة في حياتي، لا أعرف ما كنت سأفعله لولا وجودك بجواري... أحبك

كثيرا... أكثر مما تتصورين... وأريدك دائما معي...

وتوردت وجنتاها خجلا وأطرقت وهي تقول: أنا أيضا أريدك دائما معي.

وانطلق هيثم يقول بحماسة: سماهر.. ما رأيك أن أتقدم لخطبتكِ؟ ما المانع؟ يا إلهي... كيف لم أفكر بذلك قبلا، أظن أن الأمر سيكون رائعا وقد نتزوج قريبا ما رأيك؟

وفوجئت سماهر بقوله، لقد أحبته كثيرا، وهي حقا تتمنى قربه، لكنها لم تتخيل أنه سيتقدم لها بهذه السرعة...

وعاد هيثم يقول: إننا متقاربان جدا، وأظن عائلتي ستفرح حقا بكِ، ما رأيكِ حبيبتي؟

سماهر: لقد فاجأتني يا هيثم... أنا موافقة طبعا فلا شيء أحب إليّ من الزواج بك، لكن هل تظن التوقيت مناسبا؟

فقال بحماسة أكبر: طبعا، ستكونين عونا لي... وسأواجه كل التحديات مادمت معكِ...

وقالت سماهر بحذر: هيثم... أين سنسكن عندما نتزوج؟ وكيف سنتدبر حالنا، فكلانا لا يعمل...

وسكت هيثم وكأنه استفاق من حلم جميل على نداء مزعج... نداء الواقع... ثم قال: كلامك صحيح، سأبحث عن عمل من الغد، سأعمل كي نستطيع إعالة أنفسنا...

وتحمست سماهر: وأنا أيضا سأعمل، لقد أخذنا ما يكفي

من الـدروس وحان وقت العمل الجـدي... لنحقق أحلامنا ولنكن معا...

ومد يده واحتضن يدها وكأنه يعاهدها على ذلك.. على تحقيق حلم جميل بالزواج والارتباط والنهاية السعيدة لقصة حبهما الجميلة...

(50)
جنات

جلست جنات على مكتبها في العمل وقد انتهى دوامها للتو، سحبت حقيبتها من درج المكتب، وكانت توضب أغراضها عندما اقتربت منها زميلتها حنان التي تعمل في قسم مختلف، فتاة لطيفة اشتهرت بدماثة خلقها ولطفها، ورحبت بها جنات وجلست حنان في المقعد المقابل وهي تقول: أعلم أن وقت الدوام انتهى لكنني لن أطيل عليك الحديث، بصراحة ابن عمي يبحث عن عروس، وقد خطرتِ ببالي عزيزتي، إنه مطلق منذ عامين وله ولد يعيش مع طليقته، ويرغب في الزواج، فكرت أنكِ ربما تناسبينه، فما رأيك؟

وابتسمت جنات، لقد كانت ترغب حقا في الزواج، إنها تريد الستر، تريد رجلا يداوي جراحها وينقذها من وحدتها.

وأحست حنان بقبولها المبدئي فقالت: بصراحة لقد أتى بالأمس إلى هنا ورآك من بعيد، لقد جن بكِ، يقول إنك دخلتِ قلبه...

وشعرت جنات بالحرج... وقالت: صحيح؟ ماذا قال عني؟

فقالت حنان: قال إنك تبدين جميلة ورائعة، يريد أن يعرف

إن كنت تمانعين بالزواج به، ومن حقك طبعا أن تريه وأن تعرفي عنه ما تريدين... وعلى فكرة لدي صورة له، وعندما رأت جنات الصورة عرفته على الفور، كان يجلس أمامها مباشرة بالأمس... يبدو وسيما!

واستمر الحديث بين الفتاتين لبرهة، وتم الاتفاق على أن تحدد جنات موعدا للعريس وأهله ليأتوا لرؤيتها في البيت، وقالت حنان إنها ستبلغ ابن عمها بموافقة جنات المبدئية وتمنت أن يتم الموضوع على خير.

ولأول مرة منذ زمن شعرت جنات بالسعادة تزورها بعد طول انقطاع، ولم تستطع الصبر فاتصلت بأمها من هاتفها النقال أثناء عودتها من العمل، ولم ترد أمها، واستشاطت جنات غيظا، لكنها طردت شعورها بالغيظ بسرعة، لا تريد لأي شيء أن يعكر سعادتها الجديدة، فاتصلت بزميلتها سناء وأخبرتها بما حدث، كانت سناء قد خُطبت منذ شهرين، وفرحت كثيرا بالخبر السعيد وتمنت من كل قلبها أن يتم زواج جنات فهي أدرى الناس بطيبة قلبها وصعوبة ظروفها...

ووصلت جنات إلى الشقة وفتحت الباب لتجد الخادمة أمامها وفكرت في نفسها عندما تتزوج ستطرد هذه الخادمة المجرمة بلا شك، ستعتني بزوجها وبيتها بنفسها وتناولت غداءها وآمالها تدغدغ مشاعرها...

لم تكن تظن أنها تتمنى الزواج لهذا الحد، إن زواجها هو الحل لكل معاناتها ووحدتها..

وفي اليوم التالي انتظرت اتصالا من حنان، ومر الوقت وحنان لم تتصل، وخجلت جنات من أن تبادر هي بالاتصال بها، لا يصح أن تفعل ذلك... لا يجب أن تبدو ملهوفة على ابن عمها، وفي طريق عودتها رن هاتف جنات النقال فخفق قلبها، لكن أمها كانت المتصلة، لم ترد على اتصالها بالأمس إلا الآن، وأجابت جنات وأخبرتها عن العريس المنتظر، وفرحت الأم فرحة صادقة ودعت لابنتها... وأخبرتها جنات أنها ستبلغها بموعد حضوره مع أهله حالما تتصل بها حنان...

ومر اليوم التالي بلا اتصال من حنان ولا خبر... وتوترت أعصاب جنات، ما الذي حدث، إن كان الرجل قد رآها وأعجب بها كما تقول حنان، فلماذا لم يتصلوا لتحديد موعد زيارتهم حتى الآن؟

وفي اليوم الثالث بدت جنات نافدة الصبر وعصبية المزاج حتى إنها كادت تمزق معاملة أحد العملاء المزعجين وكادت تطرد عمليا آخر لولا تدخل سناء لتهدئتها...

وجاءت عطلة نهاية الأسبوع، وقضتها جنات في البيت، وأفكارها تتقاذفها... لم تخرج وأساساً لم تكن تخرج كثيراً... فهي دوماً وحدها...... وكل ما فعلته كان التفكير والهاتف

يكاد لا يفارقها على أمل اتصال لم يتم...

وعندما باشرت العمل في بداية الأسبوع قررت أن تحسم الأمر وتوجهت بنفسها إلى مكتب حنان، كان الوقت مبكرا، ولمحت حنان تتناول فنجانا من القهوة، فأسرعت ودخلت مكتبها وقالت بارتباك: صباح الخير يا حنان...

وفوجئت حنان بها ولكنها قالت مرحبة: أهلا جنات.. تفضلي.

وجلست جنات وهي تشعر بعدم الارتياح، ومن دون مقدمات قالت: بصراحة كنت أنتظر اتصالك طوال الأسبوع الماضي وعندما تأخرتِ قلت لنفسي أن آتي إليكِ لأعرف ما حدث بخصوص الموضوع الذي بيننا.

وسكتت جنات وهي تلهث كأنها قطعت شوطا طويلا من الجري، وبهدوء قالت حنان: بصراحة يا جنات.. هناك أمر ما يجب أن تعرفيه، لقد أخبرت ابن عمي عن ردك وكاد يطير من الفرح، وفاتح أهله بالموضوع، وطلبوا منه مهلة ليسألوا عنك وعن عائلتك، وذلك شيء طبيعي في الزواج.

وبقيت جنات صامتة وكأنها تنتظر مصيبة ستقع على رأسها...

وأكملت حنان: أنا آسفة حقا... لقد سمعوا أنكِ تعيشين وحدك في شقة... بلا أهلك، وأن والدك شبه متبرئ منك،

وكما تعلمين كونك مطلقة وتعيشين وحدك فإن هذا الوضع مثير للريبة ولذلك لم يوافق أهله على التقدم لخطبتكِ.

ووجمت جنات ثم قامت دون أن تنطق بكلمة واحدة لتخرج من مكتب حنان.

ووقفت حنان وهي تقول لها: أنا آسفة حقا... أنا محرجة منكِ و...

ولم تسمع جنات باقي كلامها، خرجت كالذبيحة من مكتبها، إنها لا شيء، مجرد نكرة في حياة أهلها، والدها تخلى عنها ووالدتها فعلت مثله تماما... وها هي أصبحت مطلقة وسيئة السمعة بلا ذنب جنته... وخرجت جنات من مقر عملها، بلا استئذان أيضاً... وركبت سيارتها وعادت إلى شقتها، وخيل إليها أن حارس العمارة لا يحترمها وعندما ركبت المصعد مع جارها خيل إليها أنه ينظر إليها نظرات وقحة، معقول أن كل من حولها يظن بها السوء لمجرد أنها تعيش وحدها، ماذا تفعل إن كانت تلك هي ظروفها، ما ذنبها في كل ما وصلت إليه، إن الدنيا ظالمة، ومظلمة... دنيا قاسية لا رحمة فيها...

ودخلت شقتها وأقفلت باب غرفتها ووقفت طويلا أمام المرآة، إن لباسها محتشم ووجهها تقريبا بلا زينة، وهي لم تعرف في حياتها رجالا غير هجرس الذي تزوجته بلا حب

وراشد الذي أحبته بلا زواج، لم تكن أبدا فتاة رخيصة أو لعوبة، لكن الناس يعتبرونها كذلك...

عجبا لقد تحجر قلبها... لِمَ لا تبكي... يجب أن تبكي كي ترتاح، لكن دموعها أبت النزول... فالناس لا يستحقون أن تبكي لأجلهم، أجل لن تبكي بعد اليوم لأجل أحد... يكفيها عذاب وألم...

وقررت أن ترفض الناس كما رفضوها وأقسمت أن تصبح قاسية على الآخرين كما ذاقت هي قسوة أحبائها وأقرب الناس إليها...

ليذهب الجميع إلى الجحيم... أباها، وأمها، وهجرس وأخواتها وأخوها هثيم... وأخيرا راشد.. والرجال جميعا من بعده...

(51)
هند

جلست هند أمام أخت مسعود وهي تصغي إليها باهتمام وتركيز وكل حواسها متحفزة... قالت الناظرة: هل فهمتِ ما قلته...

وأومأت هند برأسها علامة الموافقة.. وبيد مرتعشة أمسكت سماعة الهاتف واتصلت... رن الهاتف طويلا قبل أن تجيب عليها زوجة مسعود: ألو؟

بدا صوتها أجش بعض الشيء... وبصوت ثابت وقلب مرتعش قالت هند: أنتِ زوجة مسعود؟

فقالت: نعم، من أنتِ؟

فقالت هند بصوت كالفحيح: زوجك متزوج من أخرى وإن كنتِ لا تصدقين يمكنني أن أعطيك عنوانه الجديد لتتأكدي...

ومرت لحظة صمت.. وهند تكاد تحبس أنفاسها، وأخيرا سألت الزوجة بصوت رهيب: من أنتِ؟

أجابت هند بسرعة: فاعلة خير.. أريد مصلحتك..

وبهدوء سألتها الزوجة: وما هو العنوان؟

وألقت هند السماعة قبل أن تعطيها العنوان، المهم أنها

زرعت الشك في قلبها، ولابد أنها ستحاول التحقق من الأمر، وتنهدت.. وقالت أخت مسعود: ما بك شاحبة هكذا؟ هند: أشعر بالخوف، ترى هل ما فعلناه صحيحا؟

فقالت: طبعا صحيح، أم أنكِ تريدين قضاء بقية حياتك كزوجة في السر؟

وسكتت هند، وفي ذلك اليوم، لم يأتِ مسعود عندها وعندما اتصلت به لم يرد عليها، وفي اليوم التالي أتى وآثار الأرق على وجهه، والتقت عيناه بعينيها فارتبكت ولم يقل لها شيئاً، وعندما سألته عما يعانيه، لم يصارحها بشيء لم يخبرها أن زوجته أقامت الدنيا ولم تقعدها وأنه أنكر زواجه بهند، لم يشك أبدا ولا للحظة واحدة أن هند نفسها هي التي حاولت الوشاية به، وبقي عندها فترة قصيرة وعندما خرج، لم يكن يعرف أن زوجته الأولى كانت تراقبه، وأنها رأته بأم عينها وهو يدخل إلى زوجته الجديدة.

(52)

هتاف. هالة. هبة

جلست هتاف في الصالون النسائي الشهير ويد مصففة الشعر تعبث بخصلات شعرها الرائعة وهي تقوم بلفها وتنسيقها، وعلى كرسي آخر جلست هالة وقد شدت شعرها بالكامل إلى الخلف في تسريحة بسيطة تليق بها، اليوم عرس هبة، وفي غرفة أخرى كانت هبة تضع مكياج العروس، وتذكرت هتاف يوم عرسها... كم كان يوما سعيدا وكم بدأت حياتها الزوجية كحلم جميل وانتهت كالكابوس الذي لايزال يجثم على صدرها، لم تتخط بعد كل ما مر بها ومازالت تعاني من نوبات حادة من الحزن واليأس، وتمنت من كل قلبها أن يكون حظ أختها أفضل من حظها، وفي مقعد آخر جلست هالة تصفف شعرها هي الأخرى وقد تذكرت أيضا حلمها الذي تلاشى كالسراب أمام عينيها لقد تقدم لها عريس الاسبوع الماضي، ورفضت أن تراه، تشعر أنها غير مستعدة للارتباط بأي رجل بعد عماد، وأحيانا تشك في قدرتها على ذلك...إنها تعرف في قرارة نفسها أنها يجب أن تنساه وأن ترتبط برجل ما، لكنها لا تستطيع المحاولة وجرحها لايزال نازفا، وتنهدت وهي تفكر، ترى كيف حاله، هل أحب غيرها، ألا يتذكرها

أبدا، ألا تخطر بباله، ألم يخالجه حنين إليها؟ لابد أنه نسيها مادام لم يسأل عنها طوال تلك المدة...

وفي الغرفة الأخرى استلقت هبة وخبيرة التجميل تزين وجهها وأغمضت عينيها وهي تتذكر تلك العلبة التي وصلتها هذا الصباح مع باقة ورد كبيرة، لقد فتحت العلبة وهي مستغربة ووجدت بداخلها ساعة أثرية رائعة، كانت بحق تحفة فنية، قاعدة رخامية ثقيلة تحمل ساعة مذهبة ومنقوشة بأزهار ملونة، وعندما فتحت الرسالة التي جاءت بداخلها قرأت: «سألتني إن كنت أستطيع إعادة الزمن.... أنا لن أستطيع، لذلك أهديك هذه الساعة ليكون معك جزء مني في زمنك القادم مع غيري....طارق».

ومزقت الرسالة ووضعت الساعة في العلبة وأرسلتها مع حاجياتها إلى منزل هجرس الذي ستنتقل إليه هذا المساء مباشرة بعد العرس، ستضع هذه الساعة في بيتها لتتحدى طارق.. أجل ستتحدى ذكراه وستعيش زمنا جديدا مع هجرس ولن تسمح للماضي بأن يقتحم حياتها مهما حدث...

وانتهت هبة... ووقفت بقامتها المشوقة تتأمل وجهها، بدت فاتنة تماما وقد أحاط بعينيها ظل ثقيل ورموش طويلة وصبغت شفتيها بالأحمر القاني، وشعرها القصير الذي أضافت إليه مصففة الشعر خصلا طويلة ارتفع فوق رأسها

كالنافورة على نحو جميل.

وخرجت إلى أختيها اللتين بهرتا بها، وعدن جميعا إلى المنزل، كانت هند قد وصلت للتو مع أمها... لقد ذهبتا إلى صالون آخر، سيقام العرس في المنزل، لم ترغب هبة بحفلة في الفندق، لقد تشاءمت بعدما حصل لها سابقا، وصعدت هبة لترتدي ثوب الفرح لتلتقط لها المصورة بعض اللقطات قبل وصول الضيوف، وصعدت هالة معها لتساعدها بارتداء الفستان، كان لونه ذهبيا مع طرحة قصيرة من التور الخفيف، لم تختر ثوبا أبيض، كأنها تشاءمت من ذلك اللون أيضا، وبدت هبة رائعة، وتركتها هالة لتكمل ارتداء ملابسها وللحظة شعرت هبة بالخوف، لم تكن قط فتاة ضعيفة، لطالما كانت قوية وصلبة، لكن في تلك اللحظة بالذات مرت بها لحظة خوف... ماذا لو كان اختيارها لهجرس خاطئا، ماذا لو فشل زواجها به، ماذا لو كان كلام جنات وهيثم عنه صحيحا.. وهزت كتفيها وهي تستجمع قواها، لقد فات الأوان على هذا التفكير، ولا فائدة من هذه الأفكار الآن، ستتجاهلها وتواصل مسيرتها، وبدأ المدعوون بالتوافد إلى الحفل، وبدت قاعة الاستقبال أشبه بخلية نحل مزدحمة بالمدعوين، والجميع سعداء لأجل هبة، فالكل يعرف قصة زواجها الأول وكيف ألغي عرسها السابق، وأخيرا نزلت هبة على سلم المنزل

المزين بالورود، بدت جميلة جدا وهي تخطو بثقة أمام الجميع وابتسامة صغيرة على شفتيها، عجبا إنها لا تحس بالخوف أو الخجل، إنها فتاة عملية جداً وتستطيع مواجهة أصعب المواقف بشجاعة، لقد واجهت الكثير سابقا من كلام الناس والشائعات بعد طلاقها وها هي اليوم مرفوعة الرأس أمام الجميع وقد تزوجت ابن عمها رجل الأعمال المشهور، وبعد ساعة من جلوسها في الكوشة وصل هجرس وقد زفه أبوها وأخوها وبعض المقربين إليها، وكاد لعابه يسيل وهو يلمحها أمامه بكل هذا الجمال، لم يتوقع أنها جميلة لهذا الحد في ثوب الزفاف، وصدم الناس بالعريس، بدا كالقزم بجوارها، إنه دميم جدا، وهمست إحدى المدعوات يا للمسكينة! إن هذا الرجل كالمسخ! واقترب هجرس منها وانتبهت هبة أنه أقصر منها فجلست ليستطيع تقبيل رأسها كما تقتضي التقاليد، وشعرت بقبلته لزجة على جبهتها، وجلس بجوارها وقد مد يده واحتضن يدها... وانقبض قلب هبة وعادت إليها مخاوفها.. واقترب والدها ليبارك لها وليقبلها... ولمحت هبة مدى سعادته فتشجعت، وعندما لمحت هيثم أخاها شعرت بشجاعتها تكاد تهرب منها، بدا حزينا جداً وهو يبارك لها وكأنه يعزيها... يعزيها بنفسها التي باعتها إلى هجرس، وعندما قامت هبة لترحل مع عريسها إلى بيته

كانت تضغط على أعصابها كي لا تبكي، ورحلت.. وأهلها يدعون لها بالسعادة والدموع تملأ أعينهم... وفي تلك الليلة عندما اندست في سرير الزوجية لمحت ساعة طارق بجوارها على الطاولة قرب سريرها وتذكرت كلماته: لقد بدأ زمنها الجديد منذ تلك اللحظة... مع هجرس....

(53)
هيثم

جلس هيثم مع والده وهو يحدثه عن رغبته بالارتباط، كان قد بدأ عمله منذ شهر في معهد خاص يدرس الرسم للمبتدئين، لم يكن راتبه كبيرا، لكنه كافٍ ليبدأ حياته الزوجية خاصة أنه متأكد من أن والده سيتكفل بمصاريف زواجه من مهر وشبكة، كيف لا وهو ولده الوحيد،

وتفاجأ الأب برغبة ابنه، كان يعتبره طفلا حتى وقت قريب، لم يشعر أبدا أن هيثم مؤهل لفتح بيت وإعالة أسرة، لكن الأب شعر بالسعادة عندما أخبره هيثم عن سماهر وعائلتها التي ما إن سمع باسمها حتى ظهر الحماس على وجهه، إن والدها طبيب مشهور، ولديه مركز طبي باسمه، وذلك النسب يشرفه بالتأكيد، ولأول مرة يثني على أمر يختاره هيثم واتفق هيثم مع أبيه أن يطلب من سماهر تمهيد الموضوع لهما، وبعدها يتصل الأب بوالدها لتحديد موعد الخطبة، وكاد هيثم يطير من الفرح، وذهب مباشرة ليفاتح والدته في الموضوع، واهتزت رموش الأم وهي تسمع رغبة ولدها بالزواج، شعور غريب جثم على صدرها، ضيق ثقيل لا حد له ما الذي حدث لها، لم هي متضايقة! تساءلت في نفسها! لأن هيثم سيهجر حضنها إلى

حضن امرأة أخرى أم لأن هيثم يعيش قصة حب لم تعرف عنها شيئا إلى هذه اللحظة، لقد أحست الأم لأول مرة في حياتها أن ولدها الوحيد بعيد عنها، أجل تكاد لا تعرف شيئا عن حياته الخاصة ومشاعره، ومن تكون هذه الفتاة التي يحبها هيثم؟، إنها تشعر وكأنها عدوة لها، وعلى وشك أن تسلبها أعز إنسان في حياتها، كأنها ضرة لها، وأحس هيثم بوجوم والدته، وقبّل رأسها وهو يقول: ستحببينها يا أمي، أنا متأكد، ستدخل قلبك بمجرد أن تريها.

واغتصبت الأم ابتسامة وضعتها على شفتيها بصعوبة وقالت: إن شاء الله يا ولدي، ما دمت أنت أحببتها بكل هذا القدر بالتأكيد سأحبها أنا.

وتركته أمه وقلبها مجروح ويكاد ينزف وكأن رغبة ولدها بالزواج طعنة غادرة لها، واتصل هيثم بسماهر... والحماس والفرح ينطلقان مع كلماته، أخبرها بوقع الخبر على أبيه... وأخبرها أن الدور عليها الآن لتفاتح أهلها بالموضوع، ووعدته بذلك... لقد أصبح الموضوع جديا الآن... وقريبا سيتوج حبهما بالزواج بعد طول انتظار، وفي اليوم التالي اتصل هيثم بسماهر.... إن هاتفها النقال مغلق، واستغرب الأمر، لم يكن من عادتها إغلاقه أبدا... وانتظر فترة ثم عاود الاتصال بها... مغلق أيضا! ماذا حدث؟!

وانتبه أن وقت الدرس الذي سيلقيه قد حان، ووقف أمام التلاميذ الصغار يشرح لهم درسا عن خلط الألوان..وشعر بنفسه لا يقوى على التركيز، وتلعثم عدة مرات وقد نسى ما يقول، فطلب منهم البدء برسم جديد باستخدام الألوان الأساسية، والتقط هاتفه واتصل بسماهر... جهازها مغلق؟ وكتب لها رسالة هاتفية... يسأل عنها ويطلب منها الاتصال به.. وحاول جمع شتات نفسه ليواصل الدرس... والقلق ينهش صدره، وانتهى الدرس، وانتهى دوامه... ثم انتهى ذلك اليوم بالكامل وهو يحاول الاتصال بها بلا جدوى، ولاحظت والدته توتره، ولم تسأله عن شيء، فقد كانت هي الأخرى تعاني الكثير بسبب موضوع خطبته التي لم تستطع أبدا تقبلها... إنها تغار! مهما أنكرت ذلك.. وغيرتها مؤلمة وحارقة، وفي اليوم التالي لم تتصل سماهر أيضا... وكاد هيثم أن يجن، ما الذي حدث لها هل أصابها مكروه، هل يحاول الاتصال بها في منزل أهلها! وبيد ترتجف تناول الصحيفة وهو يقرأ عامود الوفيات.. هل رحلت سماهر عن الدنيا أم ماذا؟؟ وتنفس الصعداء عندما لم يجد اسمها هناك، وهز رأسه وهو يستعيذ بالله، ما هذه الوساوس القاتلة التي تنتابه، يجب أن يصبر وينتظر، بالتأكيد ستتصل به، وفجأة رن هاتفه النقال... رقم غريب.. . وأجاب مسرعا وجاءه صوت

رجل يطلب شخصا ما.. الرقم خاطئ... هتف به هيثم وكأنه يلعنه، ما أسخف هؤلاء الناس...

ومر اليوم بطيئاً والقلق يكاد يخنق هيثم، وفي المساء سأله والده عن أخبار خطيبته، وقال هيثم بارتباك: لا أدري ما الذي حدث معها، لم ترد عليّ بعد!

وهرب من أبيه ودخل غرفته كأنه يدخل محرابا حزينا مع الألم والقلق، ولم ينم تلك الليلة... وفي السابعة صباحاً رن هاتفه، إنها هي، ورد عليها بلهفة: ألو؟ سماهر؟ أين أنتِ؟

وجاءه صوتها... من بعيد... وكأنها في كهف مظلم بارد...

وكاد يصرخ: مابكِ؟ ما الذي حدث؟

وبصوت باكٍ قالت له: هيثم... لقد رفض أهلي ارتباطنا، لا يوجد أمل... لقد انتهى كل شيء...

وصرخ هذه المرة بعلو صوته: لماذا؟

وقالت: يقولون إنك لا تصلح لي... يرونك مجرد رسام بلا عمل، كيف أتزوج رجلاً بلا شهادة ولا مستقبل قالوا إن كنت أنا فاشلة فلن يقبلوا ارتباطي بفاشل مثلي... هيثم لقد ضربني أبي لأول مرة في حياتي وحطم لوحاتي كلها...

وساد صمت.. صمت كالحداد على تلك اللوحات الغالية وتلك القصص الجميلة... كل قصص الحب الفاشلة...

وهمس هيثم: يجب أن نقاوم لأجل حبنا، كوني صلبة

شديدة كاسمك... أرجوكِ لأجلي أنا أرجوكِ.

فردت عليه: لا أعرف إن كنت أستطيع اقناعهم، كل ما أعدك به أنني لن أكون لغيرك أبداً ما دمت أنت متمسك بي.

ورد عليها وقد انبثقت دموعه: أنتِ روحي يا سماهر، أنا دونك جسد بلا روح....

وامتزجت دموعه بدموعها.. دموع عاشقين تأبى الأيام أن تجمعهما معا... دموع طاهرة بريئة لحب معذب ينشد ارتباطاً يمنعه القدر...

(54)
جنات

وقفت جنات أمام حارس العمارة وهي تدفع بمفتاحها نحوه لقد أخلت الشقة ذلك الصباح، ولم تعلمه بذلك حتى تلك اللحظة... وتركت له المفتاح وهو يشعر بالدهشة ورحلت من أمامه مع حقائبها، حتى الخادمة أعادتها إلى مكتب الخدم، تلك الخادمة الرهيبة لم تعد تريد أن تراها، لقد استأجرت شقة صغيرة في حي تجاري، غرفة واحدة وصالة، ولم تخبر أحدا بانتقالها، حتى أمها لم تخبرها، لا تريد أحدا بعد الآن ولن تحتاج إلى أحد، وحتى عملها استقالت منه ذلك الصباح بعد أن تم قبولها في شركة منافسة في وظيفة إشرافية بعيدا عن العملاء وبراتب أفضل، وحتى صديقتها سناء لم تودعها، والخطوة الأخيرة التي قامت بها هي تغيير رقم هاتفها النقال، لقد قررت التنكر للماضي، ولكل أولئك الأشخاص الذين رفضوها وعذبوها وتنكروا لها بالمقابل، تريد أن تبقى وحدها وأن تعيش بعيدا عنهم، لا تريد لأحد أن يقتحم عالمها، وحتى أن أمها لم تعد ترغب برؤيتها ووصلت إلى شقتها الجديدة، لقد أثثتها بالكامل على ذوقها، لم تجلب معها أي شيء

من شقتها القديمة، وكل حاجيات أمها وصورها تركتها هناك وأوصت الحارس بإيصالها إليها، وأقفلت الباب، ثم فتحت التلفاز الكبير الذي اشترته ليملأ المكان صوتا.. لقد اعتادت في الفترة الماضية أن تنام على صوت التلفاز تكاد لا تغلقه إلا عندما تذهب إلى العمل، وارتدت ثياب نومها... وتأملت نفسها، لقد نحفت كثيرا، بدت رشيقة جدا.. وبشرتها البيضاء تشع بنور حزين معذب، ما الذي ينقصها لتعيش وحيدة على هذا النحو! ألأنها محترمة نظيفة... ألأنها تصون نفسها ولا تجري وراء الرجال؟... ألأنها فتاة تريد الستر والزواج ولا تريد العبث والانحلال؟ هل سيكون مصيرها الوحدة الدائمة أم ماذا؟!! إنها فتاة مهجورة لا أحد لها ولا أحد يبحث عنها أو يهتم لأمرها، ربما تفرح أمها باختفائها، سترتاح بالتأكيد من زياراتها المتباعدة لابنتها الوحيدة، وابتسمت جنات بسخرية مرة وهي تفكر بذلك، وفتحت الثلاجة لتأكل شيئاً، إنها لا تثق بطلبات التوصيل المنزلي أو على الأخص تخاف من عمال التوصيل، تخشى أن يكتشف أحدهم أنها وحدها فيحاول استغلالها أو التهجم عليها أو ربما سرقتها، وجلست على الأريكة تأكل وتحاول متابعة الشاشة أمامها، ونامت على الأريكة والصحن على الطاولة بجوارها وفي اليوم التالي

نهضت وهي مستغربة ومرت لحظة قصيرة ثم استوعبت أنها غيرت مسكنها.. وقامت لتخطو.. خطوة مرتعدة وراء أخرى....

(55)
هند

كانت هند تجلس في الصالة وقد استيقظت لتوها من النوم، نظرت إلى الساعة... كانت تشير إلى السادسة مساءً، لقد كان مسعود عندها وغادرها منذ ساعة، ونهضت وهي لا تزال بلباس النوم لتعد لنفسها فنجانا من القهوة، وخرجت من غرفتها وقبل أن تصل إلى المطبخ سمعت طرقا على الباب... واستغربت... من يزورها في هذا الوقت؟! قد يكون حارس العمارة.. واقتربت من الباب وتساءلت من؟

فجاءها صوت امرأة تقول: أنا جارتك.. جئت أتحدث معك. وتحمست هند، قد تتعرف عليها فتتسلى معها وفتحت الباب وقبل أن تستوعب المشهد أمامها شعرت بيد قوية تدفعها في صدرها.. وترنحت إلى الوراء وهي تحاول أن توازن نفسها ووجدت أمامها فجأة أربع سيدات وقد أقفلن الباب خلفهن وقبل أن تنطق هند بأي كلمة، انقضت عليها إحداهن وهي تصرخ بشراسة: يا خاطفة الأزواج يا هدامة البيوت... وقبل أن تعي شعرت هند بصفعة قاسية وصرخت المرأة: أنا زوجة مسعود أيتها الساقطة...

وبلا مقدمات أخرى انقضت النسوة الأربع عليها، يضربنها

بعنف وهند ذاهلة عما يحصل معها، وألم كبير يكاد يقتلها واحدة تلكم وجهها وأخرى تصفعها وتلك تعضها في ذراعها، والرابعة تشد شعرها وتكاد تقتلع فروة رأسها، وخارت قوى هند وتهاوت بينهن وهي تئن.. ورفستها زوجة مسعود وهي تسقط على الأرض عند قدميها وانحنت فوقها وهي تقول: إن لم تبتعدي عن زوجي سأقتلك... هل تفهمين سأقتلك أيتها... وبصقت فوقها... وقد تمزقت ملابس هند وأحاطت بها الدماء والكدمات في كل جسدها...

(66)
هتاف

كانت هتاف تجلس مع فواز في الصالة وهو يذاكر دروسه البسيطة عندما رن جرس الهاتف، وقامت لترد فجاءها صوت لم تتبين نبرته في تلك اللحظة... فعادت تقول: ألو؟ وبصوت مبحوح جاءها صوت تعرفه، صوت هند وهي تستغيث... هتاف أنا أحتاج إليكم.... وتعرفت هتاف على صوت أختها وصرخت: هند ما الذي حل بكِ؟ ألو؟ ألو؟

وقفزت هتاف من مكانها والخوف يملأ قلبها، ما الذي حدث لأختها؟ وفتحت باب غرفة والدتها، وصرخت: أمي... أمي إنها هند.. لا أعرف ما بها.. صوتها ضعيف جداً... تقول إنها تحتاج إلينا...

وضربت الأم على صدرها وصرخت: ابنتي.. ابنتي.. سترك يا رب....

وجرت الأم كالمجنونة وخلال دقائق كانت الأم وهتاف ومعهما هيثم يقودون السيارة إلى شقة هند، ووجدوا الباب موارباً... فدفعوه ودخلوا وشهق الجميع، كانت هند ملقاة على الأرض كالذبيحة وهي شبه عارية... واندفعت الأم نحو ابنتها وهي تبكي: من فعل بكِ ذلك يا ابنتي؟

واتصل هيثم بالاسعاف.. وبدأت هتاف تبكي أيضا، لقد أصبح قلبها ضعيفاً ولم تعد تحتمل المزيد من المآسي في حياتها... وهمست هند بألم: زوجة مسعود.. ومعها نساء أخريات...

ونقلت هند إلى المستشفى في حالة سيئة... والأم تشتم مسعود وزوجته وتلعن الساعة التي وافقت على زواج ابنتها من ذلك الرجل، وتم اسعاف هند... وجاء المحقق يسأل عما حدث وأخبرت الأم المحقق عما حصل لابنتها وطلبت إبلاغ الشرطة عن الاعتداء الذي تعرضت له هند...

في تلك الأثناء اتصل هيثم بوالده الذي قام بدوره بالاتصال بمسعود ليأتي إلى المستشفى، ووصل الأب ومسعود معاً... ودخلا إلى هند، وراعهما ما شاهداه.. كان وجهها منتفخاً على نحو مخيف وقد بدت حالتها مريعة ومزرية.. واقترب منها مسعود... وعندما لمحته بكت بحرقة: كادت تقتلني يا مسعود، كادت تزهق روحي...

وطبطب مسعود على يدها وهو يكاد يذوب خجلاً وحزناً، كان ذاهلاً ومصدوما على نحو كبير، ويكاد لا يصدق أن تفعل زوجته بهند كل ذلك، واستدعت الشرطة زوجة مسعود... التي اعترفت بما فعلت بوقاحة وقالت أمام المحقق وأمام والد هند وأمام مسعود نفسه: نعم لقد ضربتها لأنها سارقة

حقيرة... سرقت مني زوجي ووالد أولادي.

وصُدم الجميع بمدى وقاحة هذه المـرأة... وبدا مسعود كالطفل أمامها وهي تحدجه بنظرة نارية غاضبة، وأنكرت زوجته أن هناك نسوة أتين معها، وعندما استدعى حارس العمارة للشهادة أنكر رؤية زوجة مسعود وهي تدخل العمارة من الأساس بدا وكأنه قد تلقى رشوة كبيرة من تلك المرأة، وطلب المحقق حبسها على ذمة التحقيق وصرخت في وجه مسعود: انظر إلى أين أوصلتنا؟ أنا أم أولادك في السجن الآن...

وعـاد مسعود إلـى هند، وقـد تحسنت قليلا... وجلس بجوارها، كانت أمها لاتزال تبكي، واستأذن مسعود الأم إنه يريد الاختلاء بهند، فقامت الأم مستسلمة وهي تشعر بكره عميق نحو هذا الرجل المتخاذل...

وجلس مسعود وقد مد يده واحتضن يد هند المتورمة وقـال: هند... اسمعيني جيداً حبيبتي... تعلمين كم أنتِ غالية عليَّ أليس كذلك؟

وكادت تهتف به بأنها لا تعلم ذلك أصلاً!! لكنها لم تقو على الكلام وقتها، فعاد يقول: لقد أخطأت زوجتي بما فعلت... لكنها زوجتي وأم أولادي ومهما فعلت لن أقبل بوجودها في السجن؟! ولا أظنك ترضين بذلك؟

وهذه المرة نطقت هند رغم الألم: مسعود ما الذي تقصده؟ ألا ترى ما فعلته بي؟ هل يرضيك ذلك؟

فقال وهو يتودد إليها ويلعب على أوتار مشاعرها: حبيبتي تلك المرأة لاتزال على ذمتي، وبقاؤها في السجن يضربي ويسيء إلى اسمي واسم أولادي، وأنت عاقلة ولن ترضي لي بالأذى، وحقك سآخذه لك منها، لن يفوت الأمر على خير ولن تنجو من عقابي وهجري، حبيبتي تنازلي عن الشكوى إكراماً لي... أرجوكِ...

وانحنى يقبلها على شفتها المشقوقة برفق... وقد مس شغاف قلبها... وانهمرت دموعها.. دموع المرأة التي تعودت التنازل حتى عن كرامتها لأجل رجل غالبا لا يستحقها...

(77)
هالة

جلست هالة أمام أختها هند وهي تراقبها، لقد مضى أسبوع على تلك الحادثة مع زوجة مسعود، وتنازلت هند عن الشكوى، ومنذ خروجها من المستشفى وهي في منزل أهلها، لقد قرر والدها التدخل ليرتب حياة ابنته بما يكفل لها سلامتها وقيمتها في حياة مسعود الذي لم يتجرأ على زيارة هند منذ خروجها، إنه خجل مما حدث وكان الأب في انتظاره ليسمعه ما يليق بشخص مثله، وشعرت هالة بصدرها ينقبض وهي ترى ذبول أختها وشحوبها وحزنها، وقامت وذهبت إلى غرفتها وبدلت ملابسها واستأذنت أمها في الخروج إلى السوق، تريد أن تهرب من جو الكآبة المخيم على البيت، وأخذت فواز معها كعادتها.. واشترت له بعض الألعاب، وطلبت لهما عشاء من أحد مطاعم الوجبات السريعة، وإن كانت لم تستطع أكل شيء منه، شعرت بمعدتها تنقبض كالبالون..

وفي اليوم التالي ذهبت إلى عملها وهي ساهمة.. بدت شاردة الذهن وحزينة جدا.. كانت ترتدي قميصا ذهبيا مطرزا بخيوط حمراء جميلة وتنورة واسعة الأطراف من

الجينز، بدت أنيقة وصغيرة كدمية زجاجية غالية وعندما نزلت لتخرج عند انتهاء الدوام وجدته أمامها.. وللحظة ظنت أنها تحلم.. وأغمضت عينيها... وتنهدت... لابد أنه الشوق الذي يجعلها تتخيله.. وفتحت عينيها.. يا إلهي.. إنه هو.. عماد.. أمامها.. وبلا شعور... ابتسمت له.. لقد نسيت كل ما فعله بها في تلك اللحظة... ابتسامة حانية كابتسامة أم عاد إليها ولدها العاق لكن مهلا أهو هنا ليعود إليها؟ وتسمرت قدماها على الأرض ورأته يتقدم إليها... واهتزت ابتسامتها ثم تلاشت، واقترب منها... إنه وسيم كفارس من إحدى الأساطير إنه فارسها هي، لطالما كان كذلك ولايزال...

وقف أمامها وتسارعت أنفاسها... وبلا مقدمات مد يده إليها وهو يقول: أردتك أن تقرئي هذا...

وتساءلت وهي تراه يحمل كتابه في يده: وما هو؟

فقال: كتابي الثالث والأخير...

وأخذت الكتاب... واستدار هو وذهب في طريقه...

ومرت عليها لحظة وجوم، وكتابه في يدها وأخيرا نظرت إليه... وصدمها عنوانه «حبيبتي... عودي»... وخفق قلبها، وفتحت الصفحة الأولى وقرأت الإهداء وهي ترتجف «إلى حبيبتي التي لم أعرف قدرها...

إلى خطيبتي التي هجرتها...

لقد كتبت قصتنا واعذريني إن كنت فعلت ذلك دون الرجوع إليك... عماد».

يا إلهي أحقا كتب قصتهما! وجرت هالة مسرعة نحو سيارتها، تكاد تطير لتصل إلى غرفتها لتقرأ ما كتبه عماد عنهما، ووصلت، ولمحت هند جالسة في الصالة وآثار كدمات باهتة لاتزال في وجهها وقد ارتسم الحزن على وجهها، وسألتها هالة على عجل: كيف حالك اليوم؟

وتأففت هند: لا شيء بعد، لم يتصل بي مسعود منذ خرجت من المستشفى، ولم يرد على اتصالاتي...

وشعرت هالة بدمها يغلي وقالت: إياك والاتصال به، ذلك الضعيف، المفروض أن يُقبِّل يديك لترضي عنه بعد كل ما حدث بسببه...

وسكتت هند، إن عذابها أكبر من أي كلمات يمكن أن تقال... كانت تعاني آلاما رهيبة.. ألما في جسدها وألما أقسى يعتصر روحها، لقد قبلت أن تكون زوجة ثانية في السر، رضيت أن تصبح أقرب إلى العشيقة منها إلى الزوجة، رضيت أن تبات ليلها وحيدة في شقة موحشة، وكتمت شكواها حتى عن أهلها، وعندما تهجمت عليها زوجة مسعود وحطمت ضلوعها تنازلت عن حقها وعن دعواها ضدها إكراما له، فماذا كان

جزاؤها؟! لقد تهرَّب منها! لم يتصل بها ولم يسأل عنها ولم يشكرها ولو بكلمة!! أهذا جزاؤها؟! ما الذي فعلته لتجني كل هذا العذاب؟ كل ما أرادته هو الزواج والستر.. لم ترد شيئا أكثر من بيت وزوج تحبه ويحبها، أرادت مملكة عامرة بالأولاد والاستقرار لكنها لم تحصل على ما أرادته بأي شكل من الأشكال... وها هي تعيش الانتظار المر الذي اعتادت عليه منذ زواجها، لكنها هذه المرة لا تعرف ما الذي ينتظرها... وإحساس ما بداخلها ينبؤها بالشر... وحتى أخت مسعود الناظرة لم تتصل بها، وحاولت هند أن تلجأ إليها، فلم ترد عليها بل إنها سمعت من إحدى زميلاتها أنها ستنتقل إلى مدرسة أخرى...

وربتت هالة على كتف أختها وانحنت تقبل رأسها وهي تقول مواسية: اصبري يا أختي، إن مع العسر يسرا، وتأكدي أن الله سبحانه يكتب لنا الخير دائما في كل ما يحدث لنا...

وترقرقت الدموع من عيني هند...

وبهدوء انسحبت هالة من أمامها ودخلت غرفتها وأقفلت بابها بالمفتاح... وفتحت الصفحة الأولى من جديد...

وبدأت تقرأ كلمات حبيبها... إليها...

أرْكدُ في دمائِك أنا .. صدقيني
في دروبك.. في شروقك ستجديني
كل شيء فيكِ يلفظ اسمي.
أنا أعلم أنكِ تُحبيني
محفورٌ بداخلك.. خُلِقْتِ وأنتي فيني
كبريائك.. عظمتك.. تمنعك عني
ولكن اعلمي.. الحب مرضٌ إذا استُلهم
شخصاً وقع في جمر الحنينِ
تعشقيني.. صدقيني.. أنا واثقٌ أنك تحبيني
بين حوافِ أصابعك.. يديك.. في كل جوارحك تلقيني
في كل خطوة تخطينها ستجديني
في الصباح.. في المساء..
صدى صوتي في أذنك
لا تهربي مني.. أرجوكي اسمعيني
أقربُ إليك من نفسك..من أنفاسك
... أضمك وتضميني
أحلفك بالله عليكِ.. عودي إليّ ولا تهجريني

(88)
هبة

جلست هبة أمام مرآتها تسرح شعرها وتصففه... كان هجرس يقيم حفلة ذلك المساء، تجمع نخبة من رجال الأعمال المرموقين وزوجاتهم، لقد اعتادت هبة منذ زواجها على هذه النوعية من الدعوات، وكانت دائما نجمة كل دعوة تحضرها بذكائها واتقادها، وفي تلك المناسبات فقط كانت هبة تشعر ببعض التقدير والاحترام لعقلية هجرس، إنها تحترم ذكاءه في عالم المال والأعمال، تشعر أنه ذو عقلية تجارية فذة، والمعدن الذي في يده يتحول إلى ذهب كما يقولون وإن كان يسلك بعض الطرق الملتوية لتسوية أعماله إلا أنه رجل خطر لا يستهان به بلا شك... أما في النواحي الأخرى فقد كان هجرس لا يعجبها قطعا وبالذات ضحكته الأنثوية الساخرة التي تستفز أعصابها كلما أطلقها أمامها، كما أنها لاحظت أن عينيه لا تكفان عن ملاحقة النساء، بدا وكأنه ذئب جائع يريد اقتناص فريسة دسمة كلما لمح امرأة أمامه، كما عرفت أيضا أنه يشرب الخمر، ليس إلى درجة السكر والهذيان لكنه يشرب على أي حال، واتخذت هي موقفا قويا منذ البداية وبدأت تنبهه أن يحترم نفسه كلما

لمحته يراقب امرأة ما، لن تسمح له بأن يقلل من احترامها، وبدا هجرس وكأنه يخاف منها في بعض الأحيان، كانت هبة حادة معه... لم تكن لينة هينة مثل جنات، بدت معتزة جدا بنفسها وثقتها في ذكائها تفوق كل شيء في شخصيتها القوية، وعرف هجرس أنها امرأة صعبة ولن يتمكن من الإساءة إليها، لأنها ببساطة لن تقبل... إنها امرأة تعرف قدر نفسها ولن تسمح له أن يحط من قدرها تحت أي ظرف...

كما أنها منعته من الشرب أمامها وبالأخص منعته أن يشرب من الأساس داخل المنزل، ليفعل ما يشاء في الخارج، لكنها لا تريد لشيء أن يدنس حرمة بيتها.. ليتعلم هجرس أن المنزل الذي ستعيش فيه يجب أن يكون محترما مثلها ولن تقبل بأقل من ذلك.. وزمت هبة شفتيها بضيق وهي تتذكر لياليهما معا، إن هجرس ثقيل على قلبها ولا يحرك إحساسها بتاتا، تشعر وكأنها مجبرة على تحمله كما تكون مجبرة على شرب دواء مر كالعلقم عندما تمرض، إن زمنها الجديد ليس زاهيا وسعيدا، لكنه بالتأكيد ناجح ومنسجم إلى حد ما، الأمر الذي كان مصدر راحة وعزاء لها هو أن هجرس متحرر إلى أبعد الحدود، لم تكن لديه الغيرة الشرقية الحامية التي كانت تستعر في قلب طارق، بل على

العكس، كان يقدس عملها وعرَّفها على الكثير من الزبائن بنفسه، وحققت إنجازات رائعة في الشهرين الماضيين - وهما فترة زواجها - وأصبحت مرشحة لمنصب نائبة المدير العام في شركتها.

وفجأة اقتحم هجرس الباب كعادته وهو يقول: هيا ألم تنتهي بعد؟

وقامت واقفة وهي تقول: كم مرة نبهت عليك أن تطرق الباب قبل أن تدخل؟

وسال لعابه وهو يفتح عينيه ليشرب من جمالها وقال: ولِمَ أطرق الباب... أنا زوجك وأستطيع الدخول هنا كما يحلو لي... ياه ما هذا الفستان! تبدين رائعة...

وحقا كانت كذلك... كان فستانا من الحرير الطبيعي... بلا أكمام ويكشف عن مساحة كبيرة من ظهرها، ولونه الفضي اللامع ينعكس على بشرتها بشكل محبب، وقد تركت شعرها القصير منسدلا وإن كانت دهنته بطريقة تجعله ملتصقا برأسها وثبتته وراء أذنيها، بدت هبة كتمثال جميل بجسدها الرشيق الطويل بينما بدا هو بجوارها كتمثال قبيح يجسد شخصية كاريكاتيرية...

ولم ترد هبة على تعليقه وفتحت علبة من القطيفة لتخرج حلقا ضخما وطويلا من الماس أهداه لها هجرس صباحية

زواجهما، كان كريما معها، واشترى لها الكثير من المصاغ والمجوهرات الغالية... لكنها لم تنبهر كثيرا بثرائه، ففي نظرها أنها تستحق الأفضل دائما وما يقدمه لها لا يوفيها حقها كما أن دخلها الكبير وما تجنيه من عملها وضعها في مرتبة الأثرياء، فلم يكن بريق المال يثيرها، فهي تملك الكثير منه... ونزلت هبة معه ليستقبلا الضيوف... ولمحت هجرس وهو يسترق النظر إلى السيدة هاجر، وبثبات تقدمت هبة منه وهمست في أذنه: غض بصرك عن تلك المنحلة وإلا اقتلعت عينيك هل تفهم؟ وأطلق هجرس ضحكته الأنثوية الكريهة وهمس لها: أبدا صدقيني لم أكن أنظر إليها... كنت شاردا فقط.

وحدجته هبة بنظرة غاضبة ثم ابتعدت عنه، قطعا لم تكن تغار عليه، لكنها لن تسمح له بإهانتها بمغامرات نسائية من أي نوع، ألا يكفيه جمالها أم ماذا؟ يا له من مرض مقيت حب النساء!!

وكانت السيدة هاجر معروفة بانحلالها في تلك الأوساط، بدت شابة مقارنة بزوجها المليونير الذي ناهز الثمانين من عمره والذي لاتزال تنتظر رحيله على ما يبدو لتبدأ حياتها مع ميراث استحق زواجها به...

وتألقت هبة كالنجمة الساطعة تلك الليلة... لقد اعتادت

النجاح في كل ما تفعله وتعودت أن يكون عقلها يقظا دائما، فمن مات قلبه من زمن لا يملك سوى أن يعيش بعقله كي يساير تيار الحياة...

(99)
هيثم

كان هيثم يعيش وقتا عصيبا... بدا نحيفا كالشبح كأنه مريض بمرض ينهشه من الداخل...

ومنذ فترة طويلة لم يقابل سماهر، لقد منعها أهلها من الخروج وحدها وعندما تذهب إلى أي مكان كان سائق المنزل يرافقها ليراقبها، وانقطعت اتصالاتها عن هيثم،أصبحت تتصل به في فترات متباعدة وفي تلك المرات القليلة التي حادثته بها كانت تبكي وتحاول البحث عن حل ما دون جدوى.

وأبلغ هيثم والده بما حدث أما والدته فلم يفتح الموضوع معها فقد كانت منشغلة بموضوع أخته هند...

أما أبوه فقد حزن كثيرا وإن كان في قرار نفسه لا يستطيع لوم أهل سماهر على رفضهم ابنه، فابنه لا شهادة له وعمله غير مشرف في نظره، فهو مجرد رسام لا مستقبل له، هذه نهاية الرسم والشخبطة... قلة الاحترام وقلة القيمة... كاد ينطق بتلك الكلمات في وجه ابنه، لكنه لم يرد أن يثقل عليه، فالعذاب المرتسم على محياه جعله يشفق عليه ويرق لحاله...

وتمنى هيثم لو استطاع أن يفعل شيئا ما، لا يريد أن يستسلم بهذه السهولة أمام ذلك الرفض الظالم الذي حرمه من أحب الناس إليه، يجب أن يحاول على الأقل، وأخيرا قرر أن يذهب ليقابل والد سماهر بنفسه، سيعرفه على نفسه، وسيطلب منه أن يعيد النظر في موضوعهما...

وفي اليوم التالي... قام هيثم باكرا واتصل ليخبر المعهد أنه لن يستطيع الحضور للعمل اليوم، وطلب إجازة مرضية ليوم واحد، على كل حال هو ذاهب إلى المركز الطبي لوالد سماهر، لم يكن يكذب تماما عندما قال إنه ذاهب إلى الطبيب!... وركب سيارته واتجه إلى ذلك المركز المعروف، إنه يعرف أن والدها مدير هذا المركز وصاحبه.. لكنه لم يتخيل أنه بهذه الضخامة وبهذا النجاح، بدا المكان مزدحما بالمرضى ومليئا بالحركة على نحو مربك له، ترى هل سيتمكن هيثم من مقابلة أبيها والتحدث معه هنا؟! هل تراه أخطأ بالحضور؟!

لكن لن يستسلم، يجب أن يواصل ما جاء لأجله، وتقدم نحو الاستقبال وألقى التحية على الموظفة المشغولة وقال: لو سمحتِ يا آنسة، أردت مقابلة مدير المركز...

وأجابت الموظفة دون أن تنظر إليه وهي تكتب شيئا على أحد الملفات: قسم الشكاوى في الدور الأول يا سيدي.

وعاد هيثم يقول بإلحاح: لا، لم أطلب رؤيته لتقديم

شكوى...

وقالت الموظفة وهي تضغط على أعصابها: هل لديك موعد معه؟ لا يستقبل إلا الحالات المستعصية..

وهز هيثم رأسه وقال: لا، لست مريضا أيضا.. أريده في موضوع شخصي...

وأثار هيثم اهتمام الموظفة، ماذا يريد هذا الشاب النحيل من الدكتور؟ ما الذي يربطه به وما عساه ذلك الموضوع الشخصي الذي يتكلم عنه؟! وقبل أن ترد عليه، تقدمت فتاة من مكتب الاستقبال... يا للهول... كم تشبه سماهر هذه الفتاة! وعرفها هيثم على الفور، لابد أنها أختها سما، بدت تشبه سماهر على نحو قريب، لكنها مختلفة جدا عنها، وتأملها هيثم وهي ترتدي رداء الأطباء الأبيض ويقف بجوارها طبيب شاب... ولمح هيثم دبلة ماسية تزين يدها اليمنى ودبلة من البلاتين تزين يد الطبيب الشاب، إذن أختها مخطوبة لهذا الطبيب... كم يبدو ذلك مناسبا لعائلة سماهر... وشعر هيثم فجأة بالضياع... شعر أنه مضعضع أمام هؤلاء القوم، كأنه أقل منهم... إنهم ينتمون إلى عالم آخر غير عالمه، الوحيدة التي تنتمي إلى عالمه هي سماهر نفسها، لا عجب إنها كانت تحس بالغربة بين أهلها كما حكت له سابقا...

واقتربت سما وسألت موظفة الاستقبال عن ملف ما، بدا

صوتها خشنا قليلا، وأجابتها الموظفة ثم أردفت: دكتورة سما هذا السيد يطلب مقابلة والدك لموضوع خاص.

ورفعت سما حاجبيها وكأنها تستفسر من هيثم عن مراده، وارتبك هيثم ثم استجمع شجاعته وقال: أردت مقابلة والدك لموضوع خاص... الأمر ضروري جدا...

وقالت سما: من أنت؟ هل يعرفك أبي؟

ورد هيثم: اسمي هيثم عبدالوهاب

وعرفته سما على الفور، إذن هذا هو حبيب أختها، وتأملته للحظة ثم قالت: تفضل معي... وقبل أن تخطو مع هيثم التفتت نحو خطيبها وقالت برقة رغم خشونة صوتها: عن إذنك يا دكتور خالد، أراك وقت الغداء...

قالت كلمة دكتور وهي تشد حروفها وكأنها تصفع هيثم بها وتنبهه أنه بلا لقب محترم يؤهله للانضمام إلى عائلتها...

وصعدا معا إلى الطابق الأول حيث تقع إدارة المركز الصحي، والجميع يسلم على سما بمنتهى الاحترام، كيف لا وهي ابنة صاحب المركز، وأخيرا وصلا إلى مكتب الأب واستأذنت سما بأن تدخل قبله لتبلغ أباها بوجود هيثم، وبعد فترة أحس هيثم أنها كالدهر، دعته سما للدخول وتركته وذهبت، يبدو أنهما اتفقا على أن يقابله الأب وحده، واستجمع هيثم شجاته وطرق الباب ودخل...

كان المكتب جميلا جدا... جدران بيضاء وإضاءة قوية ومشعة وتقدم نحو الدكتور المهيب الجالس وراء مكتبه، ولم يقف الأب لاستقباله، بل سلم عليه من بعيد دون مصافحته وببرود واضح ودعاه للجلوس، وساد صمت قصير ثم سأله الأب: تفضل... إني أسمعك... وأرجو أن تختصر فلدي اجتماع مهم بعد ربع ساعة.

ورد هيثم: لن آخذ من وقتك الكثير... اسمح لي أن أعرفك بنفسي أنا هيثم عبدالوهاب... أعمل مدرسا للرسم في معهد للفنون ويشرفني أن أتقدم لخطبة ابنتك سماهر، لقد كانت زميلتي في إحدى دورات الرسم وبصراحة لم أعرف فتاة في مثل أخلاقها وحسن تربيتها يا سيدي... وأتمنى لو أنك قبلت طلبي...

وقال الأب بطريقة عملية: اسمعني يا هيثم، أنا لا أعرفك لأحكم عليك... تبدو لي محترما... لكنك لا تصلح لابنتي، مستواك العلمي أقل مما أطمح إليه لتكون زوجا لابنتي...

فقال هيثم: الرسم مهنة شريفة... والمهم أن يحب المرء ما يعمله وصدقني أنا فنان مبدع وقد ينتظرني مستقبل رائع، أرجوك يا دكتور لا تستهين بمهنتي..

فهز الرجل كتفيه بتهكم: أي مستقبل مثلا؟ أن تصبح أستاذا في الرسم؟ أم لعلك تنشد أن تكون رساما عالميا مثلا؟

أخبرني ما هي مهنة أبيك؟

فقال هيثم على عجل: إنه يعمل في شركة كبيرة مع ابن عمي... إنه رجل أعمال ناجح.

فرد الأب: وهل تصف نفسك أنت بالنجاح؟ كيف تحكم على نجاحك؟ بالشخبطة والرسم؟ باللعب بالألوان؟ إن خيبتي بابنتي كبيرة لا يعادلها شيء، لكن ذلك لا يعني أن أزوجها بشخص مثلها، هل رأيت اختها الدكتورة سما؟ هل تعرفت على خطيبها الدكتور خالد؟ كلاهما يتخصص في الجراحة... هل تظن نفسك قادرا على تحقيق إنجاز كهذا؟ اسمع يا هيثم انس ابنتي لأنني لن أزوجها إلا لطبيب مثل أبيها ومثل أمها ومثل أختها، أو على الأقل لرجل يحمل شهادة محترمة ويكفل لها العيش الهنيء.. لا تتعب نفسك ولا تحاول ملاحقتها... أنت لست من مستوانا العلمي... تذكر ذلك جيدا...

بعد تلك الجملة لا يكاد هيثم يتذكر شيئا... كل ما يتذكره أنه لم يحس بهذا القدر من الذل والمهانة طوال حياته، إلى هذا الحد قرر أن تنتهي قصته مع سماهر... سماهر الجميلة المتمردة، توأم روحه، الفنانة المبدعة ذات الأنامل الفاتنة... لقد انتهى الأمل بينه وبينها ويجب أن يعتاد على عدم وجودها في حياته...

وعاد هيثم إلى غرفته وبلا تفكير أخرج علبة ألوانه الكبيرة

وأمسك بفرشاته العريضة ودون إحساس أخذ يرسم خطوطا سوداء عريضة على لوحاته... دمرها جميعا ومزج ألوانها الزاهية بالسواد... وفي تلك اللحظة أقسم أنه لن يرسم أبدا من جديد...

هويت حتى انتهيت
بروحي.. بدمي.. بكل ما فيني عطيت
ما استبقيت
اسقيني شربة من حبك ربما حييت
دعيني أصرخ وسط العالم
أقول هذه التي من أجلها بكيت
دعيني أرقد بين ضلوعك.. أتوه في أحضانك
أنبض في أحشائك.. وأبكي على كتفيك
دعيني أسكن أيامك وأستوحي من ضوء القمر نوراً
لأرسله إليك
قلبي أخذته مني.. أمانة بين يديك
لتري بعينيك أنك بدمي وأنا باقٍ عليك
أنتظر كل لحظة.. كل يوم.. لعلي ألقاكِ.. وأنظر إليك
إنني دونك كالمجنون.. لا أريد من العالم سوى عينيك

(100)
جنات

رفعت جنات رأسها لترى زميلها حسن يقف أمامها مرتبكا، ودعته للجلوس وبعد حديث رسمي معتاد فاتحها قائلا: آنسة جنات... بصراحة أنا معجب جدا بأخلاقك وأردت أن أعرف إن كنتِ مرتبطة أم لا؟

ونظرت إليه طويلا... إنه شاب مهذب وتتمناه كل فتاة بلا شك لكن ما فائدة ذلك... سيعرف أنها مطلقة فينصرف عنها، وحتى وإن وافق على ذلك وتقبله سيعرف أنها تعيش وحدها فيشك فيها وحتى وإن تفهم هو وضعها لن يتفهمه أهله، لا، لا تريد فضح نفسها، ولا تريد أن تخوض تجربة الرفض من جديد، فقالت بجفاء: نعم أنا مرتبطة.

وصدم الشاب وارتبك... واعتذر لها وقام من أمامها ورحل وهو يكاد يتعثر بخيبته... كانت تعجبه حقا... وأراد الزواج بها...

وسرحت جنات قليلا... ليست نادمة أنها صدته، إنها لا تصلح للزواج، لا داعي لأن تضيع وقته ووقتها، هكذا أفضل، لتوفر على نفسها كل هذا العناء...

وخرجت من عملها لتذهب إلى النادي الصحي الذي

اشتركت فيه مؤخرا، إن لديها وقت فراغ طويل تحتار ما الذي تفعله خلاله، لا أحد لها، ولا حتى صديقة تؤنس وحدتها، ومع الوقت بدأت تعتاد على هذه الوحدة.

وأثناء وقوفها لتأخذ مفتاحا لخزانة النادي لتضع فيها أغراضها، تقدمت فتاة تطلب مفتاحا آخر، وسألتها الموظفة عن اسمها، وما أن قالته الفتاة حتى التفتت جنات لتتأملها... إنها زوجة راشد، لاتزال تذكر اسمها جيدا عندما جاء ليشتري لها خطا...

وتأملتها جنات طويلا... إنها مليحة الوجه لكن قوامها مكتنز جدا، تميل إلى السمنة نوعا ما... وبالصدفة وجدت الفتاة تأتي لتستخدم جهاز المشي المجاور لجنات تماما... والتقت عيناهما معا، فابتسمت الفتاة، وردت جنات ابتسامتها... وبهدوء بدأتا تتجاذبان أطراف الحديث، بدت الفتاة اجتماعية جدا وودودة جدا... ورغم تحفظ جنات إلا أنها بدت مرتاحة تماما وكأنها تعرفها منذ زمن، وخلال الحديث قالت الفتاة: لقد زاد وزني كثيرا في الفترة الأخيرة!

ووجدت جنات نفسها تسألها: لماذا؟ لابد أنك تزوجت! يقولون إن الوزن يزيد بعد الزواج...

فضحكت الفتاة وقالت: لا، يا ريت، كنت مخطوبة لشاب، لكن الخطبة لم تتم.

وكادت جنات أن تقع من الجهاز فتمسكت بالحاجز وقلبها يخفق... وصرخت الفتاة: انتبهي عزيزتي...

وتمالكت جنات نفسها وخفضت سرعة الجهاز وقالت: لماذا؟

فقالت الفتاة بروح رياضية: صارحني أنه يحب فتاة أخرى وأن أمه غير موافقة عليها وأخبرني أنه لا يريد أن يظلمني... تأثرت كثيرا وغضبت وقتها، لكنني الآن سعيدة أنه لم يتزوجني، بعضهم يفعل ذلك ثم يترك زوجته ويعود إلى حبيبته السابقة أعرف الكثير من تلك القصص...

ولم تسمع جنات باقي حديثها... إذن راشد لم يتزوج، لم يستطع الزواج بغيرها، يا إلهي... ترى هل بحث عنها؟ هل حاول الاتصال بها؟... معقول!... هل لايزال يحبها؟ يا إلهي... ما الذي يجب عليها فعله؟ هل تتصل به؟ هل تخبره أنها التقت خطيبته السابقة بالصدفة وعرفت أنهما لم يتزوجا؟!

وكادت جنات أن تقع للمرة الثانية، وهذه المرة تركت المعهد بأكمله بعد أن ودعت الفتاة الطيبة التي أعادت الأمل إليها بعد يأس مظلم عاشته جنات منذ زمن بعيد...

وفي تلك الليلة أمسكت جنات سماعة الهاتف واستجمعت شجاعتها واتصلت برقم راشد الذي تحفظه كاسمها...

وجاءها صوته: ألو! ألو!

وأخيرا قالت: راشد!

وصرخ راشد، لقد عرفها على الفور: جنات؟ أنت جنات أليس كذلك؟ الحمد للّٰه، الحمد للّٰه الذي استجاب دعائي بأن أجدك... أين أنتِ حبيبتي؟!

وانهمرت دموعها... لاتزال حبيبته إذن... وهمست من أعماق قلبها... الحمد للّٰه!

(101)
هند

وقفت هند وهي تحدق في تلك الورقة التي وصلتها ذلك الصباح... إنها لا تستطيع استيعاب ما كتب في هذه الورقة رغم أنها قرأتها أكثر من عشر مرات منذ أن أتى إليها والدها بها... كانت تلك ورقة طلاقها من مسعود، لقد زار والدها ذلك الصباح وأخبره أنه طلق هند، وأعطاه ورقة طلاقها بنفسه، وأخبره أيضا أنه لا يريد أن يظلمها وأنه يخاف عليها من بطش زوجته وأن الحل الأفضل هو الطلاق...

كل ما عرفته هند أن والدها طرده شر طردة من مكتبه وأسمعه كلاما يستحقه، لكن كل ذلك لم يطفئ النار التي تشتعل في صدرها...

لقد انتهى حلمها... انتهى زواجها المزعوم، وها هي عادت إلى منزل أهلها من جديد، لكنها عادت امرأة أخرى... امرأة مهزومة محطمة، كسيرة القلب ومحطمة الفؤاد...

واجتمع أهلها حولها، كل أخواتها أتين وهن يخبرنها أن ذلك أفضل لها، لكنها حزينة، تعيسة، ومجروحة، مهما قال لها الآخرون، فجرحها لا يكف عن النزيف...

ومع الوقت دخلت هند في نوبة حادة من الاكتئاب واحتار

أهلها معها، وخافت الأم عليها... خافت أن يقتلها الحزن والمرض ومرت الأيام على هند وهي على حالها... وأخيرا قررت الأم أن تجبرها على زيارة طبيب نفسي ليساعدها على تخطي أزمتها ورفضت هند، كانت مستسلمة على نحو مخيف، كأنها لا ترغب في الشفاء وكأنها لا تريد أن تعيش، حتى عملها لم تعد تذهب إليه والجميع خائف عليها..

لقد انتهت هند، أصبحت بقايا إنسان حزين ودموع جارية لا تجف..

(102)
هتاف

تقدم صالح زميل هتاف في العمل للزواج بها، ذهب مباشرة إلى والدها ليخطبها، بدا الأب متحمسا للموافقة، ولم ترد هتاف عليه، وفي اليوم التالي ذهبت بنفسها إلى صالح لترد عليه... دخلت مكتبه للمرة الأولى منذ عملهما معا في مكان واحد، وعندما أراد الترحيب بها، قالت بحدة: اسمع يا صالح، أنا غير موافقة على الارتباط بك وإياك والتعرض لي بعد اليوم.

وقال باستجداء: لماذا يا هتاف؟

فقالت: لأنني لا أحترمك يا صالح، لقد كنت تلاحقني منذ كنت زوجة وأنا لا أحترم الرجل الذي يتعرض لامرأة متزوجة.

فقال: لكن زوجك كان في غيبوبة وفي حكم الميت؟

وبلا شعور صرخت بوجهه: اخرس، كان حيا... وكان يملأ حياتي حتى وهو غارق في سباته، وكنت على ذمته... وأنت لم تحترم ذلك، اخرج من حياتي ولن أتزوج بك ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض...

وخرجت من مكتبه وهي ترتجف بانفعالها... كان ذلك

كثيرا عليها ودخلت مكتبها وأقفلت الباب وارتمت على درجها تبكي بحرقة، حقا كان نبيل يؤنسها حتى وهو في غيبوبته لقد اشتاقت إليه... وهمست من بين دموعها: يا حبيبي يا نبيل... لماذا تركتني وحدي...

إنها لم تنسه أبدا... ولاتزال تحبه... وفي لحظات كثيرة كانت تتمنى لو أنها لحقت به علها تلتقيه في العالم الآخر...

(103)
هالة

أمسكت هالة بالكتاب وضمته إلى صدرها... إن عماد يناجيها، يعتذر لها، يتوسل إليها أن تعود إليه، أن تصبح زوجته، أن تغفر له، لقد تمرد عليها واستكبر، لكنه عرف أنها الحب الحقيقي في حياته وأن لا حياة له من دونها، تلك الفتاة التي تحتمله وتفهمه وتعرف كيف تحتويه... لقد أبعدها عن عالمه فضاع وأصبح عالما قاحلا بلا حب حقيقي يسكن إليه... لقد تنكر لها بعد أن ساندته ففقد السند الذي اعتاد الاتكاء عليه ليدعمه ويقويه...

وابتسمت وهي تسمع صوت عماد يجيب بلهفة على اتصالها.

وقالت بمجرد أن سمعت صوته الحبيب: سأعود، كلمة واحدة بدأت بعدها حياة جديدة لقلبين محبين عاشا الفراق وتعذبا به، وأردفت هالة: لكن بشرط... ألا تهجر الكتابة، لقد أخبرتك سابقا أنك مبدع...

فقال لها بخوف: أخاف من تمرد الفنان الذي يعيش في داخلي.

فضحكت وقالت: لا تخف، سأعرف كيف أروّضه...

وعندما أبلغت هالة أهلها بخبر عودة عماد إليها وأرتهم كتابه الجديد... فرحوا لها جميعا، وأصر والدها أن يعقد القران حالا، لن يوافق على خطبة جديدة بينهما... حتى هيثم فرح وهو يرى مدى سعادة أخته،

حتى هند ابتسمت وهي تبارك لهالة، كانت الابتسامة الأولى لها منذ طلاقها...

وفي يوم جميل عقد قران هالة في حفل صغير، هكذا تريد هالة، يكفيها وجود حبيبها بقربها، إن فرحتها به أكبر من فرحتها بأي حفل قد يقام لها...

وبدت هالة جميلة كفراشة رقيقة... وبعد عقد القران خرجت مع عماد إلى أحد الفنادق... وهناك تقدمت فتاة مع أخيها للسلام على عماد الكاتب المشهور... فرد السلام وعرفهما على هالة وهو يقول ضاحكا: أقدم لكما هالة زوجتي وحبيبتي التي عادت...

(104)
هبة

جلست هبة على تلك المائدة العامرة بما لذ وطاب من أصناف الطعام الراقية في تلك الدعوة التي أقامتها السيدة هاجر وزوجها المتهالك، كانت دعوة تضم نخبة من رجال الأعمال وزوجاتهم وأصر هجرس على تلبيتها، جلس هجرس بجوارها في حين كانت هاجر شخصيا تجلس مقابل هبة، وكلما التقت عينا المرأتين علمتا كم تكره إحداهما الأخرى!!

واصطفت على المائدة بعض الأباريق المعتمة الألوان، ولم يخف على الحضور أنها تضم أنواعا من الخمور، وإن لم يتم التصريح عن ذلك، بدت تلك المشروبات في متناول الراغبين بها، وكان هجرس أولهم، وبدأت هبة تتململ في جلستها وهي تشم رائحة المشروب تفوح من أنفاس زوجها! وأخذ هجرس يطلق نكاتا سخيفة في حين بدت هاجر الأكثر حماسة للضحك عليها، وأحست هبة بساق هجرس (تمتد) بجوارها لتصل إلى هاجر تحت المائدة، يا للوقاحة أيتجرأ على مغازلة تلك الفاسقة وهي بجواره، وفجأة قامت هبة واقفة وقالت لهجرس بلهجة آمرة: أشعر بصداع وأريد الرحيل...

وردت عليها هاجر بسخرية وميوعة: هل تريدين قرصا

مهدئا؟

فتجاهلتها هبة ولم ترد عليها وعادت تقول وهي توجه حديثها لهجرس: قلت أريد الرحيل... والآن حالا.

فقال لها بلسان ثقيل: ارجعي مع السائق، لاتزال السهرة في أولها.

وابتسم ابتسامة قذرة في وجه هاجر التي بادلته الابتسامة نفسها...

وكادت هبة أن تصفعه على وجهه، لكنها تمالكت نفسها وقد أصبحت محط أنظار جميع الجالسين، فسحبت حقيبتها وقالت: حسنا، أنا ذاهبة...

وانصرفت... وركبت مع السائق وهي تستشيط غضبا، وفي لحظة ما ندمت أنها خرجت وتركت هجرس هناك ماذا لو خانها مع هاجر! إن زوجها الكهل كان نائما على الطاولة بجوارها، ونظرت هبة إلى ساعتها، كانت تشير إلى الحادية عشرة، ووصلت إلى البيت، وصعدت غرفتها ونزعت ثوبها بغيظ كأنها ستمزقه عن جسدها، وارتدت ثياب نومها، وجلست في السرير وهي تغلي... والتفتت نحو الساعة، هدية طارق وتأففت... إنها الحادية عشرة والنصف وقررت الاتصال بهجرس، واتصلت لكنه لم يرد عليها، وقذفت بالهاتف بغضب، وسرحت وراء أفكارها ماذا يفعل هجرس

الآن، ذلك الرجل البغيض، تبا له، ماذا لو كانت زوجة لطارق، لكانت امرأة مصونة تعيش وسط أولادها بدل كونها امرأة مجتمع تتجرع التعاسة يوما بعد يوم، بماذا أفادها عملها وطموحها، مهما أنكرت لكنها تعرف الآن أنها غير سعيدة، ربما كانت فخورة بإنجازاتها.. نعم إنها فعلا كذلك، لكنها تعيسة في حياتها العاطفية... إنها لا تحب هجرس وتشمئز منه...

وعادت هبة تنظر إلى الساعة... إنها الثانية عشرة والربع وعادت تتصل بهجرس ورن الهاتف طويلا بلا مجيب، وأخذت تشتمه، شتائم كثيرة لم تكن تعرف أنها تحفظها أو كأنها اختزنتها بداخلها زمنا طويلا وكبتتها في نفسها، والوقت يمر، والنار تندلع داخلها بلا رحمة، وساعة طارق الرخامية بجوارها وعقاربها الطويلة تكاد لا تتحرك..

ومرت ساعة أخرى.. إنها الواحدة والربع صباحا واتصلت بهجرس، يا إلهي، إن هاتفه مغلق، تبا له، لابد أنه في أحضان هاجر، واشتعلت غيرتها، كيف يجرؤ على الاستخفاف بها إلى هذا الحد، لن تسكت له، والساعة لا تفارق عينيها، وفجأة تذكرت طارق بشكل أقرب، رائحته، ملمس يده، غيرته عليها، حبه لها، الشقة التي استأجرها لهما، دعوات زفافها، ثوب زفافها المنحوس، وحن قلبها إلى تلك الأيام، لقد اشتاقت

للحب، لشعور الحب نفسه، أن تكون عاشقة ومغرمة، لم يعد لها نصيب في الحب، لم يعد لها سوى رجل دميم بشع كالغول وفوق ذلك يخونها ويهينها، وتذكرت هيثم وجنات، كانا محقين، إن هجرس بلا مبادئ وبلا أخلاق، وانهمرت دموعها... والساعة بجوارها ومرت ساعة أخرى ثم ساعتان... وكادت هبة أن تجن، وقامت لتغسل وجهها، ونظرت إلى نفسها في المرآة، ما أجملها، لم تشعر يوما بأنها بهذا الجمال، إنها خسارة في هجرس، ما أقذره وأحقره، كل هذا الجمال ويخونها، إنه مريض... مريض جدا... ومقرف!

وخرجت من الحمام لتصطدم بالساعة مجددا... كانت تشير إلى الرابعة صباحا عندما فتح الباب ودخل هجرس أخيرا، كان هندامه غير مرتب، ملابسه مكرمشة تماما، واقتربت هبة منه حتى وقفت مقابله تماما... ووصلتها رائحة تعرفها، رائحة هاجر وعطرها الزاعق مختلطة برائحة الخمر والمنكر وبحقد قالت له: يبدو أنك جننت... أكنت تخونني مع تلك الفاجرة؟

فقال بلسان مترنح: اغربي عن وجهي... أريد أن أنام... أنا متعب.

وصرخت هبة: أيها السافل الحقير... كيف تجرؤ على خيانتي علنا هكذا وبلا حياء؟!

وصرخ هجرس: قلت لك اغربي عن وجهي... واعرفي أنني حر، أفعل ما يحلوا لي... هل فهمت؟

وفقدت هبة أعصابها وأخذت تصرخ بعلو صوتها: أيها الوحش القذر، لن أسمح لك بإهانتي هل تفهم، لم يخلق بعد من يهينني...

وقبل أن تستوعب، رفع هجرس كفه الغليظة وهوى بها بكل قوته على وجه هبة، فاختل توازنها، وسقطت إلى الوراء وارتطم ظهرها بحافة السرير...

وظل هو واقفا وهو يزمجر كالوحوش الضارية: اغربي عن وجهي... أنا أفعل ما يحلو لي، هل فهمت...

واستندت على السرير وقامت واقفة فوقعت عيناها على ساعة طارق... واستدار هجرس ليخرج من الغرفة، وبلا تفكير التقطت هبة الساعة الرخامية وهوت بقاعدتها الثقيلة على رأس هجرس من الخلف..

فخر واقعا على الأرض عند قدميها وقد انبثقت الدماء من رأسه لتلطخ المكان..ووقفت هبة وهي مشدوهة... وبعد لحظات سارت كالمنومة مغناطيسيا نحو الهاتف...واتصلت... ورد عليها هيثم بصوته النائم: ألو؟...

فقالت بصوت بارد كالموت: أخي... تعال حالا... أظنني قتلت هجرس للتو...

(105)

هيثم

وقف هيثم وركبتاه تصطكان ببعضهما أمام المحقق وهو يستجوب هجرس الراقد في سرير المستشفى وقد لُفَّ رأسه بالأربطة البيضاء...

وقال هجرس: أخبرتك أيها المحقق، لم أتعرض لأي اعتداء فقد انزلقت قدمي على الدرج فاصطدم رأسي بالحافة الرخامية وشج... هذا كل ما حدث.

وقال الضابط وهو يهز رأسه: لكن تقرير الطبيب الشرعي يقول...

وقاطعه هجرس بصرامة: لقد أدليت بأقوالي للتو... ولن أغير شيئا...

وهز الضابط رأسه علامة الفهم وهو يعرف مكانة هجرس ونفوذه وعرف أن الانصياع لما يريده أفضل من تحديه الذي قد يضيع مستقبله... كما أنه حر مادام لا يريد مقاضاة زوجته.

وخرج المحقق، وظل هيثم في مواجهة هجرس، وأطرق هيثم برأسه، شعر أن لهجرس فضل عليه وعلى عائلته، كان يمكنه أن يسجن هبة بتهمة الشروع بالقتل، رباه، الحمد لله

أنه لم يمت! يا لتهورك يا هبة!

ولم يتكلم الرجلان، ساد صمت محرج، واستأذن هيثم بالخروج وقبل أن يخرج همس بصوت ضعيف: شكرا لك...

ولم يرد عليه هجرس، وعاد هيثم إلى البيت وهو يفكر، الحمدلله أن أسرته مسافرة، لقد سافر والديه مع أخته هند إلى لندن قبل هذه المصيبة، رأيا أن السفر قد يفيدها ويخرجها من حالة الاكتئاب التي سيطرت عليها.

وهتاف وحدها التي عرفت بما حدث،

ودخل هيثم ليجد هبة وهتاف جالستان معا، كان وجه هبة ممتقعا وقد بدت شاحبة إلى أبعد الحدود... وباختصار أخبرها بموقف هجرس، وتنهدت الأختان بارتياح..

وقال هيثم بغضب: يجب عليك الإسراع بطلب الطلاق منه قبل عودة والدي، وإلا سيجبرك على البقاء معه، وطبعا لن نخبره بما حدث كما اتفقنا...

وأطرقت هبة ولم ترد، فعاد هيثم يقول بحدة: كنتِ محظوظة أنه لم يمت، لقد نصحتك كثيرا بعدم الزواج منه، سأذهب إليه غدا لنسوي موضوع الطلاق في أسرع وقت..

ورفعت هبة رأسها وقالت: لا أريد الطلاق منه.

وصدم هيثم وصرخ في وجهها: هل جننتِ؟ كيف تأمنين على نفسك معه بعد كل الذي حدث؟

فقالت هبة وهي تتنهد: قد لا آمن على نفسي منه، لكنني آمن على الذي في بطني..

وصُعق هيثم وكأنه لم يفهم...

وأوضحت له هتاف هذه المرة: إن هبة حامل منه... وستعود إليه..

(106)
هند

جلست هند مع أمها في حديقة الريجنت المشهورة، كان مقعدا طويلا ذا حواجز جانبية يطل تماما على تلك البحيرة الجميلة اللامعة، كانت الأشجار محيطة بهما، أشجار كبيرة رائعة أبدع الخالق في صنعها سبحانه...

ومن خلفهما انتصب مسجد الريجنت الكبير وقد بدا صرحا رائعا في بلد أجنبي ليذكرنا بوجود الإسلام العظيم حتى في وسط الغربة...

ومدت الأم يدها بفتات الخبز فتجمع حشد هائل من الحمام حولها وحول هند، واقترب البط أيضا منهما ليأكل نصيبه من الطعام، كان الجو صحوا رائعا... والسلام سائد على نحو عجيب... والتفتت الأم إلى ابنتها... بدت هند أصغر بعشر سنوات على الأقل وقد فقدت الكثير من وزنها، وبدت عيناها كبيرتان وسط وجهها الشاحب المنهك...

ومدت الأم يدها والتقطت يد ابنتها وقالت: حبيبتي يجب أن تخرجي مما أنت فيه، يجب أن تنتشلي نفسك من هذا اليأس المظلم...

ونظرت هند نحو الأفق البعيد وقالت: لأجل من أفعل

ذلك؟ ما الجدوى من حياتي؟

فقالت الأم: لأجلي أنا يا ابنتي... أنا أمك... أنجبتك وأحببتك بكل دقة من دقات قلبي... إنني أحبك أكثر من روحي، وإن فقدتك سأفقد رغبتي في الحياة.. ياه يا هند كم أحبك... منذ صغرك وأنت الأقرب إلى قلبي، لقد قضينا معاً وقتاً طويلاً وحدنا قبل مجيء إخوتك...

ومدت الأم يدها والتقطت يد ابنتها وقالت: أنت غالية جدا عليّ، ويعز عليّ أن أراك كسيرة الفؤاد فلا أنجدك.

وقبلت الأم يد ابنتها وأصابعها وقالت: عديني أنك ستبدأين صفحة جديدة، عودي إليّ كما كنت، ابنة وحبيبة وصديقة وسينتقم الله لكِ من كل من آذوكِ... حبيبتي هند إذا عشنا نتشارك أحبائنا مع أشخاص آخرين فلن نعرف معنى السعادة أبداً... تفهمين ما أعنيه صحيح؟

وانهمرت دموع هند، ورمت بنفسها بين أحضان أمها، وفي تلك اللحظة طار الحمام من حولهما مصدرا رفيفا محببا... رفيف يرمز إلى السلام الذي ساد قلب هند... سلام النفس والتصالح مع الذات...

مكتبة
t.me/t_pdf

(107)
هيثم

وقف هيثم في المرسم الكبير في المعهد الذي عاد إليه... كان يرسم لوحة كبيرة تحتوي على مجموعة كبيرة من الورود... كل وردة لها لون مميز، لا توجد وردة مثل الأخرى... ولا واحدة تشبه الأخرى في شكلها أو لونها أو عبيرها أو شذاها... كانت ورودا ملونة ومختلفة... وكلها جميلة ورائعة ومميزة.... وسمع خطوات خلفه... والتفت ليجدها أمامه... سماهر... تلك الشديدة الصلبة التي أحبها منذ رآها... وهفا قلبه إليها وبقي واقفا كأنه يدعوها إليه والفرشاة لاتزال في يده...

واقتربت منه ثم وقفت وقالت: كيف حالك؟

فقال: بخير... وأنت؟

فابتسمت: أصبحت الآن فقط بخير منذ رأيتك ترسم... معنى ذلك أن الأمل موجود... بأن تكتمل لوحة حبنا يوما ما... ما دمنا قادرين على تلوين لوحاتنا معنى ذلك أننا نستطيع أن نلون حياتنا بالحب... ما رأيك؟

فقال: بماذا؟

فقالت: بأن نصمد؟ بأن نتحدى ونحارب؟ بأن نرسم معا ورودا ملونة تملأ بساتين الحياة وتزينها، سوف نبقى نرسمها

دائما معا إلى أن نلتقي تحت سقف واحد... وحديقة واحدة تجمعنا وتظلل حياتنا..

واقترب منها والتقط يدها وبدآ يرسمان معا...

النهاية:

جنات

«تزوجت راشد.. وعاشا معا في منزل أهله، وأحبتها والدة راشد وعاملتها كابنة لها، وأنجبت ستة أولاد وبنات، كانت تريد عائلة كبيرة بحيث تهجرها الوحدة إلى الأبد».

هند

«شفيت هند، وتغيرت كثيرا... وأصبحت ناظرة ثم تزوجت من رجل أرمل وأحبت أولاده كما أحبوها ووجدت عنده كل الحب والحنان اللذين بحثت عنهما طوال حياتها».

هتاف

«لم تتزوج، ونذرت نفسها لتربية فواز، وتطوعت للأعمال الخيرية، فأصبحت سيدة مشهورة بالحب والخير وافتتحت مركزا اجتماعيا مع شادن التي تطلقت من سهيل، هكذا هي هتاف إنها وردة جميلة تفيض رائحة وفائها الطيبة على كل من يقترب منها».

هالة

«عاشت بسعادة مع عماد وأنجبت بنتا وولدا، وبقيت له

واحة وملجأ ومصدرا للحب والدعم، كما كانت كذلك له طوال حياتها..

وأصبح هو كاتبا عظيما وفي جميع مقابلاته كان يدين بالفضل لكل ما وصل إليه من مجد ونجاح إلى حبيبته هالة.. إليها»

هبة

«أنجبت هبة ولدا.. وبعد ثلاثة أعوام أنجبت ولدا آخر، وبقيت مع هجرس، لقد اعتادت عليه وعرفت كيف تعامله، وبقي هو مخلصا لها، فهو يعرف أنها لا تتهاون في الخيانة، وقد يكلفه غضبها عليه... حياته»!

هيثم

«ظل يرسم طوال حياته... لكنه لم يكن وحده إنما يرسم معها... مع سماهر حبيبته وزوجته... الشديدة الصلبة التي يعشقها»...

تمت بحمد الله

الجمعة 17/10/2008

رحلة الصمود

(1)
البداية.. في الكويت

لقد بدأت رحلتي في الكويت... ذلك البلد الآمن المعطاء... بلد الحب والخير، وفيها بدأت حياتي... فتاة جميلة من فلسطين, كنت الابنة الوسطى في عائلتي، يكبرني شقيقي علي بأربعة أعوام وتصغرني شقيقتي مريم بأربعة أعوام أيضا...

وكنت الأجمل في العائلة... بشرتي بيضاء يملؤها نمش خفيف ينتشر على خديّ وأنفي بطريقة محببة... وعيناي كبيرتان بلون العسل الفاتح ويحيط العسل سياج أخضر كالعشب الطري الصغير، لقد اختلط بهما لون العسل بإطار أخضر جميل... وأنفي أكبر قليلا مما يجب لكنه متناسب مع وجهي على أي حال... وشعري أشقر داكن وناعم واعتدت الاحتفاظ به طويلا طوال عمري بحيث يصل إلى أسفل كتفيّ... لم أكن طويلة... وبدا جسدي ممتلئا بلا سمنة... إن جاذبيتي تفوق جمالي ربما... لكنني كنت محط الأنظار أينما حللت... ففي ملامحي براءة طفلة وفي عيني شقاوة امرأة وفي قلبي أحلام متقدة جعلتني أفيض حيوية وإحساسا كاسمي... أحلام...

كان والدي يدرس اللغة الإنجليزية في إحدى المدارس الثانوية في ذلك الوقت في الكويت ويعمل بدوام جزئي في وزارة الإعلام كمترجم للأفلام الأجنبية...

أما والدتي فكانت ربة منزل... تفرغت لتربيتنا... وأكثر ما كان يهمها هو دراستنا، لطالما أفهمتنا أهمية حصولنا على شهادة علمية، ومازالت كلماتها ترن في أذني وهي تقول لي عندما كنت أتكاسل عن أداء الواجبات المدرسية: يا ابنتي لن ينفعك في حياتك سوى الشهادة فهي وحدها التي ستحميك من جور الزمن...

وكنت وقتها لا أعرف ما معنى أن يجور الزمن على أحد، لكنني عرفت ذلك بحذافيره لاحقا...

في تلك الفترة كانت حياتي مستقرة هادئة وسعيدة، كحياة أي فتاة تعيش في كنف أسرتها، لا شيء يشغل بالي سوى أكلي ولبسي ودراستي... لا مشاكل ولا هموم،

وفي السادسة عشرة من عمري تقدم لي أول عريس، ورفضه أهلي قبل أن أرفضه أنا لصغر سني ولخوفهم على تعثر دراستي...

وفي تلك السنة انتقل خالي للعيش في الكويت... كان يعيش في الأردن منذ زمن وحصل على فرصة عمل في الكويت فآثر الانتقال إليها لتحسين وضعه، ووصل خالي وكنا في استقباله،

بدا شديد الشبه بأمي وكانت المرة الأولى التي نلتقيه...

وفي المطار عانقته أمي بحرارة ودموعها تنهمر... وتقدمنا للسلام عليه وعلى أولاده... كان له ابنة في مثل عمري اسمها سميرة وابن في مثل عمر أخي واسمه نجم...

وبدا نجم مشدوها وهو يمد يده ليصافحني... وشعرت بالخجل من نظراته إليّ... شعرت أنه أعجب بي كثيرا... وزوجة خالي شدتني إليها وهي تهتف: ما شاء اللّه... ما أجملك يا أحلام، كم أنتِ جميلة ورائعة...

وتوردت وجنتاي خجلا... واتجهنا جميعا إلى عمارتنا... لقد استأجر خالي الشقة التي فوقنا تماما... سنصبح جيرانا أيضا...

بسرعة البرق بدأت صداقتي بابنة خالي سميرة، بدونا وكأننا نعرف بعضنا منذ سنوات... وانسجمنا معا بشكل رائع، إنها طيبة وحنونة وصارحتني أنها تحب شابا في الأردن وبكت وهي تحكي لي بصعوبة فراقه على قلبها...

ولم أفهم مشاعرها في ذلك الوقت، فلم أكن قد مررت بأي تجربة عاطفية بعد رغم كثرة المعاكسات التي أتعرض لها يوميا،

ومع الوقت زاد تعلقي بابن خالي نجم، إنه وسيم وإن كان يميل إلى السمنة، ونظراته تكاد لا تفارقني... وبدأ يتعمد

مصادفتي في مواعيد ذهابي إلى المدرسة القريبة من بيتنا والتي كنت أرتادها مشيا...

ولم يعترض أحد على صحبته لي، حتى أخي علي والذي كان يزهقني بغيرته لم يعترض على مرافقة نجم لي خلال مشواري إلى المدرسة، ربما شعر أنه من لحمي ودمي وأنه سيحافظ عليّ من المارة! لا أعرف حقا ما كان يجول في خلده!

كل ما عرفته أنني بدأت أحب نجم... أحببته بقلب فتاة مراهقة بلا تجارب، حب بريء وطاهر... أحببته بكل مشاعري وأحاسيسي... وتعلقت به...

كان لطيفا... ويضحك كثيرا... وطيبا جدا... بدا منفتحا وسهلا... لم يكن غيورا كأخي بل على العكس كان لطفه وتفهمه يفوق الحد...

وأصبحت أقضي يومي في انتظار رؤيته ومع الوقت كرهت أيام العطلة التي تحرمني من مرافقته لي، في ذلك الوقت لم يكن نجم يدرس، فقد أنهى دراسته الثانوية في الأردن ولم يؤهله معدله لدخول الجامعة، وكان يبحث عن عمل له في الكويت... وإن كنت لم ألمس جديته في هذا الخصوص...

وتوطدت علاقتي به أكثر وأكثر... فأصبحنا نخرج معا أيام العطل ومعنا أخته سميرة... نزهات بسيطة وبعلم الأهل طبعا،

لم يكن في حبنا أسرار أو عقد، كان حبنا جميلا وسعيدا إلى أن حدثت الكارثة الكبرى التي غيرت حياتي إلى الأبد...

لقد حدث الغزو العراقي على الكويت... واحتلت العراق الكويت وساد الفزع بدل الأمن... وتغيرت الأحوال...

ومرت أيام الاحتلال وأنا لا أعرف سوى الدموع والهلع، لم نكن نعرف مصيرنا أو مصير بلدنا ـ كنا نعتبر الكويت بلدنا، فقد ولدنا وتربينا على أرضها وما حدث مسنا كما مس أهلها تماما وربما أكثر ـ ومرت أيام الغزو في خوف قاتل، وتغير والدي الذي عرف بهدوئه وأصبح لا يطاق من فرط عصبيته ونجم وعائلته دائما عندنا أو نصعد نحن عندهم والخوف يلف الجميع، ومرت الأيام الصعبة وتحررت الكويت...

ولكن وضعنا تغير بعد التحرير... بدأت نظرة الشك في ولائنا تحرمنا حق الإنسانية والراحة في هذا البلد، بدونا كالمضطهدين... والكل يشك في نوايانا بسبب بعض ضعاف النفوس الذين تعاونوا مع الغزاة أثناء الأزمة،

وبعد شهور من التحرير كاد والدي أن يجن، لقد فقد عمله ولم يستطع الحصول على أي عمل، وكذلك خالي الذي ترك عمله في الأردن لم يستطع العودة إلى عمله بعد الغزو وهو العمل الذي هاجر من أجله ليستقر في الكويت.

وفي يوم... دخل والدي متهلل الأسارير لأول مرة منذ عام

على الأقل... وزف إلينا خبرا غريبا... سنرحل من الكويت... سنهاجر إلى كندا! لقد تقدم بطلب الهجرة (اللجوء السياسي) وتم قبول طلبه...

وصدمنا جميعا... وغضب والدي... إنه مضطر للهجرة... كيف سنعيش في الكويت التي أغلقت أبوابها في وجوهنا... وأبواب الهجرة مفتوحة لنا في كندا ومن حسن حظنا أن أتتنا هذه الفرصة للرحيل فإن أضعناها ضاعت حياتنا إلى الأبد...

وانهرت باكية... كيف أهجر بلدي الذي ولدت فيه، مدرستي وأصدقائي... وحبيبي نجم الذي بات مستقبلي معه غامضا، وانتشر خبر رحيلنا بين جميع معارفنا أو بالأخص من تبقى منهم... وفي ذلك اليوم حضرت إليّ سميرة وفي نظراتها جدية شديدة لم أعهدها بها، وصارحتني عن سبب قدومها... إن نجم يريد الزواج مني، وأخبر سميرة برغبته بذلك كي تأخذ رأيي، أن أتزوجه وأبقى معه في الكويت وربما أنتقل معه بعد فترة إلى الأردن،

وفرحت... ففي تلك المرحلة لم أكن أفكر في شيء سوى الحب... وأبلغتها موافقتي، وفي اليوم التالي ذهب خالي مع نجم إلى والدي ليخطباني منه، وأخبراه أنني موافقة، لكن والدي رفض وبعنف... حتى كاد يتشاجر مع خالي،

وأخذ والدي يصرخ في وجهي لأول مرة في حياته: هل جننتِ؟ كيف تتزوجين نجم؟ إنه عاطل عن العمل، وهو فقير معدم، كيف ستعيشين معه وفي أي بلد؟ ثم أنني لا أستطيع السفر وأنا غير مطمئن على مستقبلك ووضعك...

وما لم أتوقعه هو موقف أمي، لقد أيدت موقف والدي رغم أن نجم هو ابن أخيها... وقضيت أياما طويلة وأنا أبكي ومنعني والدي من الخروج من المنزل ومن استخدام الهاتف ومنع سميرة من زيارتي،

وأصبحت في سجن وأمي وأخي يتوليان مهمة السجان بالتناوب عليّ...

وخلال شهر فقدت الكثير من وزني وأصبحت هزيلة جدا... وأخيرا... تحدد موعد السفر، وحزمنا أمتعتنا، ويوم السفر قبلت يد والدي ليسمح لي بتوديع عائلة خالي ولم يرد عليّ... واكتشفت يومها أنهم سافروا قبل يومين فقط إلى الأردن... لقد قرر خالي العودة إلى عمله السابق هناك، ولم يخبرني أحد بقرار رحيلهم...

وهكذا انتهى كل أمل لي بلقاء نجم أو حتى وداعه، لقد أخرجه القدر من حياتي فجأة، كما أدخله حياتي فجأة،

لقد كان ذلك هو حبي الأول الذي مازلت أعتز بطهره وصفائه... الحب الذي انتهى سريعا وترك لي الحزن والألم

ومرارة الحرمان والفراق...

وودعنا الكويت إلى كندا... لأبدأ مرحلة جديدة من حياتي...

أتذكر يوم أن بنيت لي قصراً من
أسهم الشمس ذهبياً..
وحفرت لي في قلبك مكاناً أبديا
وعشت مع الحب.. حلماً جميلاً وردياً
أتذكر يوم ذهبنا لنودع غروب الشمس سوياً
يوم عانقتني وقلت لي لن تكوني لغيري
جنيّاً كان أو إنسياً
أتذكر يوم عاندت العالم من أجل أن نكمل عهدنا الوفيا
يوم بكيت لأجلك.. وقلت لهم: لا أريد غيره هو وحده
حبيبي وأمره مسموعاً منهياً
لقد جعلتني أعشقك لأبعد الحدود
وبنيت معك آمالاً ووعود
لكن الحب بات بلا وجود
يوم رحلت عني دون أمل أن تعود
وحفرت لقلبي قبراً وتركته بين اللحود
فأنا التي ظلمت في الحب ولم أكن خائنة للوعود..

(2)
في كندا

استقر بنا المقام تحديدا في مدينة مونتريال... تلك البلد الخضراء الواسعة المتفتحة حيث تجد كل شيء مختلفا ومسموحا...

كنت قدأكملت الثامنة عشرة من عمري عندما وصلنا إلى كندا وأختي مريم التي لم تكف عن البكاء طوال رحلة سفرنا، قد أكملت الرابعة عشرة من عمرها... كانت تجلس إلى جواري في الطائرة وهي تبكي صديقاتها وحياتها وجلست أنا صامتة... كنت حزينة جدا... لكن في قلبي خيط من الفرح لأنني سأجرب حياة جديدة، لم أعد مرتبطة بالكويت كما كنت بعدما سافر عنها حبيبي... لم أعد أطيق ذكرياتي هناك... تلك الذكريات التي تذكرني بحبيبي الذي رحل...

وهناك في كندا كان لنا عم يعيش منذ سنوات... اسمه إبراهيم واستأجر لنا عمي شقة صغيرة... ثلاث غرف ضيقة، والداي في غرفة وأخي علي في غرفة وأنا ومريم نتشارك غرفة واحدة، بسريرين فوق بعضهما،

ومنذ اليوم الثاني بدأت أسأل عمي المتزوج من كندية عن نظام الجامعات في كندا، لم أكن قد أكملت الصف الرابع

الثانوي في الكويت بسبب ظروف الغزو، ولكن النظام في كندا مختلف ويحتاج إحدى عشرة سنة من الدراسة وقد كنت مؤهلة حسب النظام هناك للالتحاق بالجامعة بشرط أن اجتاز بعض المواد ليتم قبولي رسميا في الكلية، وفي كلية **Dowson** تم تسجيلي بدوام جزئي لأدرس مادتين تأهيلا لدخولي الجامعة كما ذكرت.

وكانت والدتي تحس بالرعب كلما خرجت من البيت وحدي، كانت ترى الانحلال حولنا في كل مكان وهي التي لم تعتد على ذلك، فشعرت وكأنني معرضة للفساد أو الانحراف في كل خطوة أقوم بها، وبدأت أضيق بمعاملة أهلي، شعرت بهم متخلفين ومزعجين ويعاملونني كالطفلة،

أما أخي فقد كان يبحث عن عمل وأختي التحقت بمدرسة هناك وكانت تذهب وتعود بالباص...

وفي أغلب الأيام كان أخي هو الذي يوصلني إلى الجامعة ثم يأتي لأخذي كأنه حارس شخصي لي... وفي يوم لمحت شابا في الجامعة يتفحصني بنظراته، ولم أعره اهتماما... أشحت بوجهي عنه وواصلت طريقي... لكنني بدأت أراه بشكل متكرر، كأنه يتعمد المرور في طريقي، وتضايقت منه، ماذا يريد مني هذا الشاب؟ وفي يوم تجرأ وتقدم نحوي... وشعرت بالخوف وكأنني تقمصت شخصية أمي!

واقترب مني ثم ألقى علي السلام! إنه عربي، وصدمني ذلك... كان قصير القامة نوعا ما... يكاد يقاربني في الطول وهو أسمر وغير وسيم على الإطلاق،

ورددت عليه التحية ببرود... وأخبرني أنه من فلسطين أيضا وأن أهله يعيشون في الأردن أيضا... وأنه أتى إلى كندا ليكمل الجامعة... وأنه عرف أنني فلسطينية مثله فأراد التعرف علي في حال احتجت إليه فهو في خدمتي!

ولنت معه قليلا... كان مهذبا ولم يلمح إلى شيء لا أرضاه، فشكرته وقد سألني عن اسمي فقلت له: أحلام...

فقال: اسم جميل... أنا اسمي سيف...

ومرت أيام أخرى... واكتشفت بالصدفة أن سيف قد تعرف على أخي علي... كان سيف يدرس في السنة النهائية وسيتخرج بعد شهر واحد، وبدا علي متحمسا جدا لصداقته كيف لا وهو الشخص الوحيد الذي عرفه وسط الغربة؟!

أما مريم فقد تعرفت على الكثيرات من الأجانب، بدت وكأنها تحسنت وتأقلمت مع غربتنا في وقت قياسي وإن ظلت تراسل صديقاتها في الكويت...

الوحيدة التي لم تتأقلم أبدا وأتعبتها الغربة هي أمي، بدت حزينة ومتبرمة على الدوام والأسوأ أنها بدت خائفة جدا بلا سبب واضح!

أما والدي فقد حاول التكيف مع وضعه الجديد... وقد خفف عنه كثيرا وجود أخيه بقربه...

وفي يوم عاد علي وهو متهلل الأسارير وأخبر أمي أن صديقه سيف سيأتي ليتناول العشاء عندنا، وابتسمت أمي بحنان وقالت: وما بك سعيد هكذا؟

وعلقت أنا قائلة: لِمَ لا تدعوه إلى أحد المطاعم؟

فقال علي بحدة: وما دخلك أنتِ؟ لم أطلب منك الطبخ لتعترضي، ثم إنه أراد التعرف على أهلي، هل تريدينني أن أطرده؟

هكذا كان علي... دائما جاف معي... وبلا سبب... وسكت... وجاء سيف يحمل علبة من الشيكولاته، وجلس بيننا، وبدوت باردة جدا معه وكلما سألني عن دراستي، أجبته باقتضاب وكأنني خرساء بالكاد تتكلم، إن دمه ثقيل جدا... ولا يعجبني تملقه لعائلتي، وانتهت الزيارة وبعد يومين ألقى علي إلينا بنبأ كالقنبلة... لقد تقدم سيف لخطبتي... كان قد تخرج للتو وقرر العمل في كندا... ورأى أنني العروس المناسبة له،

وطارت عائلتي من الفرح! وكأنهم يريدون التخلص مني!! وصرخت باكية: أنا غير موافقة... لا أريده... لا يعجبني...

وأخي يصرخ في وجهي: إنك لا تستحقين النعمة، الشاب

محترم وملتزم وأنت لا تريدين الستر.

ووالدي يقنعني بكلامه: الشاب لا عيب فيه وعلى الأقل ستعيشين معه في كندا بقربنا، ويكفي أنك وجدت رجلا مسلما في بلد كهذا ويرغب في الزواج، لا تضيعي الفرصة من يدك!

أما أمي فقد جلست معي بالساعات تحاول إقناعي... يا ابنتي إنها فرصة لا تعوض... الشاب ذكي وجامعي... ثم إنك في بلد غريب لا تتوافر فيه فرص للزواج... من مصلحتك أن تتزوجي وتؤسسي بيتا وعائلة... ولن تجدي أفضل منه... سيحافظ عليك في هذا البلد الضائع وسيسترك، الزواج ستر للفتاة.

والكل يلح ومع الوقت بدأت ألين... قد يكون كلامهم صحيحا... من سيتزوجني هنا؟ من أين أعثر على زوج مسلم وشاب؟ وسيف يتودد إليّ ويرسل إليّ أخي كل يوم وهو يمجد بأخلاقه وفضائله... وأخيرا وافقت على الزواج...

(3)

حياة أخرى

تمت خطبتي إلى سيف بسرعة.. مجرد دعوة على العشاء في منزلنا وسط أفراد عائلتي ولبست الملابس البسيطة التي اشتراها لي سيف على ذوقه كهدية، بدوت رائعة في ذلك اليوم وبدا هو سعيدا جدا.. لا أنكر أنني كنت فرحة أنني لبست الدبلة وأصبحت فتاة مخطوبة.. لكنني كنت أتذكر نجم كثيرا وتمنيت لو كان هو خطيبي بدلا من سيف.. وبدأت بتجهيز نفسي لعقد القران.. وتقرر أن يتم بعد أسبوعين من الخطبة.. كان سيف قد بدأ عمله فعلا مع أحد المكاتب الأجنبية بدوام كامل ينتهي في الخامسة عصرا كل يوم، وبراتب جيد، وقرر أن نتزوج ونعيش في شقته التي كان يعيش فيها قبل الزواج، وذهبت مع أهلي لنرى الشقة معه، شقة صغيرة من غرفتين وحمامين وصالة صغيرة وغرفة مكتب، ولم يعترض أهلي.. ولم أعلق أنا، كنت أجهل من أن تكون لي طلبات في تلك المرحلة، وطلب سيف أن نعقد القران في شقة أهلي ولم يكن هناك الكثير من المدعوين عائلتي وعمي وزوجته وابنته الصغيرة الوحيدة، وواحد من أصدقاء سيف المقربين من الأجانب، وعندما طلبت من سيف شراء

كعكة عرس صغيرة بطابقين كي تظهر في الصور.. رفض! وتفاجأت برفضه فقال إنها بدعة، ولا داعي لإحضار كعكة عرس! وحزنت! فقرر والدي أن يطلبها على حسابه.. وضقت لذلك فطلبت من سيف إحضار بعض الأزهار.. فرفض أيضا وقال إن الأزهار عمرها قصير، لِمَ نرمي بأموالنا على شيء لا قيمة له ولا عمر، وازداد ضيقي وأنا ألاحظ بوادر البخل عليه، وهذه المرة تطوعت والدتي بشراء الأزهار، كأن والديّ خافا أن تفسد هذه الزيجة بسبب الماديات.. لا أعرف حقا لِمَ أراد والدايّ فعل المستحيل كي أتزوج من سيف!

وفي يوم زواجي استأجرنا فستانا بسيطا من التور الخفيف، وبدوت رائعة وأنا ألبس الطرحة القصيرة وشعري الطويل منسدل خلفي ويصل إلى منتصف ظهري..

كنت جميلة كالقمر وبشرتي الناعمة تتلألأ تحت الفستان البسيط، لم أضع الكثير من المساحيق، فأنا لا أبالغ في استخدامها، مجرد ظل خفيف وطلاء وردي فاتح صبغت به شفتيَّ.

وفي المنطقة التي نسكنها يعيش أحد شيوخ المسلمين الذي دعوناه ليتم عقد القران وليكتب عقد الزواج الذي وثقناه لاحقا لدى سجلات المتزوجين في كندا.. ليكون زواجنا رسميا كما تقتضي القوانين.

وتزوجت سيف.. وفي بداية زواجنا لا أنكر أنه عاملني بالحسنى، كان سعيدا بي وبتخلصه من حياة الوحدة والعزوبية، وكنت أنا أجيد الطبخ وترتيب المنزل، فعرف الفرق بوجودي في حياته.

ومع الوقت بدأت صفاته المزعجة تظهر.. وأهمها البخل.. إنه بخيل جدا.. أكثر مما كنت أتصور.. وبالكاد يعطيني فلسا واحدا.. وكلما احتجت شراء بعض الاحتياجات كان يقوم بمراجعة الفواتير والإيصالات بنفسه، وعندما كنا نذهب إلى السوق المركزي كان يقضي وقتا طويلا ليقارن أسعار البضائع لينتقي الأرخص بينها.. وكنت أفضل نوعا معينا من العصير، وكان يجن عندما أصّر على شرائه، فهو غالٍ بالنسبة للنوع الردئ الذي يختاره دائما بسبب رخص ثمنه.

وعشت مع سيف في ضيق.. ومع الوقت بدأ يبخل عليّ أيضا بحنانه وعاطفته، لم يعد يدللني ولم يعد يقول لي كلمة حب واحدة، وأنا التي أحب الكلام الجميل كأي أنثى تحتاج إلى الدفء في حياتها.

إن البخيل بخيل بكل شيء ليس فقط في ماله بل يصيبه البخل في جميع جوارحه.

وقد اكتشفت بخله بعد فوات الأوان.. ولم أشكُ لأهلي بخله، كانوا يلاحظون مدى قدم ملابسي وتهالك أخذيتي،

حتى أن جواربي كانت تتمزق من فرط الاستعمال، وفي يوم اشترت لي والدتي بعض الملابس كهدية.. وأخذتها بلهفة.. فأنا حقا أحتاج إليها، ولم تعلق هي بشيء إنما همست لي: أوصيك بشهادتك يا ابنتي.. إياكِ والتفريط بدراستك.

وكانت دراستي تسير بشكل مبشّر، فقد نجحت في المواد التمهيدية والتحقت بالكلية.. كنت أدرس إدارة الأعمال.. ولطالما صبّرت نفسي، سنوات قليلة ثم أتحرر من حاجتي المادية إلى سيف وأرتاح من بخله..

وكنت مجتهدة وذكية ولطالما أشاد بي الأساتذة وأحبوني.. أذهب إلى الجامعة صباحا ثم أعود إلى المنزل لأطهو، ويصل سيف في الخامسة والنصف ليجد البيت نظيفا وطعامه مطبوخا، لم نكن نتناول طعام العشاء، كان سيف يدّعي أنه لا يجوع لأننا نتناول طعامنا في السادسة تقريبا، لكنني كت أدرك أنه لا يفعل ذلك بخلا منه وتقتيرا..

لقد نحلت جدا في تلك الفترة..

وحملت.. ولم أفرح بحملي.. لم أكن أتوقع الحمل بهذه السرعة رغم مرور سبعة أشهر على زواجي.. ولم يظهر الفرح أيضا على سيف، سمع الخبر وبارك لي.. لكنه لم يفعل أكثر من المباركة ومن ثم السكوت..

وبدأت مرحلة الوحم، كنت أتقيأ كثيرا.. أكاد لا آكل شيئا..

وجاء الشتاء البارد بثلجه.. أستيقظ صباحا فأجد سيف قد خرج، وأكاد لا أقوى على الذهاب إلى الجامعة من شدة التعب والبرد، يا للهول، لم أكن أتخيل أنني سأتعب هكذا، وتكرر غيابي وأخيرا قررت أن أنسحب مع ذلك الفصل على أن أعود للدراسة بعد ولادتي.. وبقيت في المنزل.. وعندما يعود سيف لتناول الطعام كان يقول لي: لا تأكلي كثيرا مادمت ستتقيئين.. حرام أن نخسر الأكل على هذا النحو!

إن المال يهمه أكثر من صحتي.. وقرفت من هذا الزوج البخيل المزعج، وفي الشهر الخامس بدأت أتحسن قليلا.. وفي يوم صحوت من النوم وأنا أشعر برغبة شديدة في أكل الروبيان، مضى وقت طويل منذ تذوقته، وفرحت أن نفسي تطلب الأكل بعد كل الجفاف الذي عانيته.

واتصلت بسيف وأخبرته بما أشتهي، فصرخ في وجهي: هل جننتِ؟ ما هذا الدلع؟ أتعرفين سعر الروبيان هذه الأيام؟

ولم أحتمل.. بكيت على الهاتف وقلت: حرام عليك.. خمسة أشهر مضت علي وأنا كالميتة والآن تبخل عليّ..

فعاد يصرخ: كفاكِ دلالا.. إننا في آخر الشهر، وبالكاد أوفر المال لولادتك، انسي أمر الروبيان.

وسكتُ على مضض.. والحزن يكاد يفتك بي، ومرت باقي شهور الحمل بصعوبة.. كنت أعاني الجوع والهزال، وفي

ليالي كثيرة كنت أنام وأنا أتضور جوعا ودموعي على خدي.. ولطالما كان سيف يسخر مني ويتهمني بالدلع.

وجاءني المخاض وأنا في بداية الشهر التاسع وأنجبت بنتا صغيرة جدا، وزنها كيلوان فقط، وكانت حالتها سيئة وأدخلت العناية المركزية.

ووقفت أبكي بحرقة وأنا أدعو الله تعالى أن يحفظ ابنتي وينقذها، وبألا يضيع تعبي في حملها، والحمد لله استجاب الله لدعائي.. فقد تحسنت ابنتي تدريجيا، وبعد أسبوعين أُخرجت من المستشفى، وأهلي وسيف لم يصدقوا أنها عاشت، بدت ضعيفة الحال بشكل يثير الشفقة، واسميتها «حبيبة» لأنني أحببتها من كل قلبي منذ رأيتها، وانشغلت بتربية ابنتي، أخاف عليها أكثر من نفسي وأعتني بها بنفسي.. وتحسنت صحتها كثيرا وأصبحَت أفضل حالا مع الوقت.. ومرت الأيام وحان موعد عودتي إلى الدراسة، كان الأمر صعبا خاصة مع وجود حبيبة، لكن أمي كانت تلح عليّ لأعود إلى الجامعة ولا تفتأ تذكرني بقيمة الشهادة وأهميتها، فأصبحت أصحو باكرا كل يوم أحضّر حاجيات ابنتي في حقيبة ثم آخذها عند أمي.. وأتركها معها لأذهب إلى الجامعة، وعندما أنتهي أجري لأسترجع ابنتي ثم أعود لأطهو لسيف، طرأت لي فكرة بأن أطلب من أمي أن تطهو لي، فهي تطهو يوميا فقط

تزيد الكمية على أن أساهم بمبلغ مالي ثمن الطعام الذي تستخدمه لنا، ورفض سيف ببخله الشديد أن يساعدني، لا يريد أن يدفع شيئا ولا يريد أن يخفف عني، وأمي المسكينة أحست بمعاناتي فبدأت تطبخ لي دون مقابل.. وسيف يأكل بلا حياء ولا خجل، وأمي تقول لي: كله يهون في سبيل أن تدرسي.. وقتها لن تحتاجي إلى أحد.

وفي تلك الفترة ساءت علاقتي بسيف كثيرا، إنه ظالم لا يرحم، يراني منهكة فيتعمد إزعاجي بطلباته التي لا تنتهي وكان يضيق ببكاء حبيبة، وذات يوم ارتفعت حرارة الصغيرة واحترت بما أفعله معها، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وبكاء الطفلة لا يسكت واستعملت شرابا ليخفض الحرارة بلا فائدة، وسيف مستلق في سريره وهو يسب ويلعن.. ولجأت إليه باكية.. البنت لا أعرف ما الذي حل بها.. أرجوك لنأخذها للمستشفى.. ورفض أن يذهب بنا، وخفت أن أخرج بالبنت في هذه الساعة وحدي، وأخذت أرجوه ثم أخذت أصرخ في وجهه واشتد شجارنا والبنت تبكي وتصرخ، وفجأة فقد سيف أعصابه وصفعني على وجهي.. وصدمت! لم أتكلم كلمة واحدة، انسحبت من أمامه وأخذت الصغيرة وتركته وخرجت.. واتجهت بالطفلة نحو المتستشفى ودموعي تغرق وجهي.. كانت المرة الأولى في حياتي التي يضربني فيها

أحد.. ولم أستطع تحمل ما حدث.. ووصلت إلى المستشفى وأدخلت ابنتي إلى غرفة الطبيب بسرعة، كانت تعاني التهابا رئويا حادا استدعى إدخالها إلى المستشفى وبقيت بجوارها طوال الليل وأنا أبكي وصفعة سيف تحرقني في خدي.. لقد كرهته من كل قلبي ولم أعد أطيق الحياة معه، وجاء الصباح ولم يغمض لي جفن وابنتي تحسنت كثيرا وانخفضت حرارتها، وكتب لها الطبيب أدوية كثيرة وبالكاد استطعت التركيز معه وهو يشرح لي حالتها، حتى الممرضات أشفقن عليّ وعلى حالتي، بدوت متعبة جدا ومحطمة تماما، واتصلت بأخي علي، يجب أن يقف معي في محنتي، وجاء ليأخذني من المستشفى، ولأول مرة شعرت بحنانه عليّ، لقد رق قلبه على حالي، وذهبت إلى منزل أهلي وأخبرتهم بما فعله سيف معي وكيف تجرأ وضربني، واستشاط أهلي غضبا، حتى أنه لم يكلف نفسه عناء البحث عني، وقد خرجت من المنزل في تلك الحالة، على الأقل كان الأولى به أن يخاف على ابنته!

وفي ذلك اليوم ذهب إليه أخي علي، وتشاجر معه، ولا أعرف التفاصيل، لكن والدي أصر على أن أبقى في البيت، واحتجت أغراضا تخصني من شقتي فأخذني أخي إلى هناك خلسة أثناء ساعات دوام سيف، ودخلت شقتي وكأنني أدخل سجنا كبيرا، لم يكن ذلك المكان قط مملكة سعيدة لي،

والتقطت بعض أغراضي وأغراض ابنتي وخرجنا.

ولم يطل خروجنا.. ففي الليلة التالية أتى سيف ليسترضيني وأخذ يعتذر من والديّ ويؤكد أن ما حدث لن يتكرر، وباختصار عدت معه، لم أكن مرغمة على العودة لكنني فكرت أن من حقه عليّ أن أعطيه فرصة ثانية، لأجل ابنتنا حبيبة ولأجل زواجنا، ليس من السهل التضحية بزواج قائم، خاصة وسط الغربة، وبعد عودتي أصبح سيف شخصا آخر لفترة، أصبح لطيفا وحنونا ويدللني، وهو يردد أن الشقة بدوني وبدون ابنته لا تطاق، وكانت نتيجة هذا الدلال الزائف أنني حملت للمرة الثانية، حدث الأمر بلا تخطيط، وضاق صدري، فتجربة حملي الأولى كانت متعبة.. والدراسة التي مازالت أمي توصيني بها قد بدأت والشتاء القارس على الأبواب، وضربت أمي على صدرها عندما أخبرتها أنني حامل.. ولم يكن باليد حيلة، أما سيف فلم يفرح ولم يحزن، وتحول حملي الثاني إلى كابوس حقيقي، أكاد أموت من الوحم والتعب وابنتي التي لم تكمل عامها الأول لا أستطيع العناية بها وحدي، وامتلأت الشوارع بالثلوج ولم أعد أستطع الاستيقاظ باكرا لأذهب بابنتي إلى أمي كي أستطيع اللحاق بدروسي الضائعة، وسيف بأنانية يرفض أخذ حبيبة ليخفف عني، لأستطيع متابعة الدروس، يقول

إن ذلك المشوار سيؤخره عن عمله، ويكسبه سمعة سيئة أمام مديره إن استمر في التأخير، وهكذا ومع تردي حالتي الصحية اتخذت أصعب قرار في حياتي.. لقد انسحبت من الجامعة.. لم أكن أستطيع.. صدقوني.. كان كل ما أمر به فوق طاقتي.. وبكت أمي بحرقة وكأنها فقدت عزيزا عليها.. لكنني لم أستطع التراجع.. ومرت الأيام بطيئة، وفي الشهر الخامس عرفت أن المولود ذكرا.. وكاد سيف أن يطير من الفرح، لم أكن أتوقع أنه يرغب في الولد إلى هذه الدرجة، وأصبح يهتم بغذائي وصحتي.. وعندما توحمت هذه المرة لم يتهمني بالدلع بل لبّى مطلبي على الفور!

ومرت شهور الحمل وأنجبت ولدي «زيد»، كان ممتلئا وجميلا وبصحة جيدة، وأصبح لدي طفلان، حبيبة التي أكملت العام والنصف من عمرها وزيد الرضيع.

وانشغلت بهما جدا، أصبح الاهتمام بالطفلين يأخذ كل وقتي، ورغم كل ذلك كان حلم الدراسة لايزال يراودني، شيء ما يؤلمني من الداخل عندما أتذكر أنني أصبحت بلا شهادة، لكنني لم أستسلم، انتسبت إلى كلية للحصول على دبلوم في حضانة الأطفال، كانت الدراسة تستغرق ثلاثة أعوام لكنني أنهيتها خلال عامين نتيجة اجتهادي وخلال هذين العامين أصبحت علاقتي بسيف فاترة جدا، بدا كل منا في وادٍ بعيد

عن الآخر، كان مشغولا بعمله وعندما يعود يجلس بالساعات أمام الكمبيوتر، بينما كنت أنا مشغولة بالطفلين وبدراستي، كانا عامين من الهدنة التامة التي مرت سريعا لتبدأ حربا بيننا في ذلك اليوم.. كان يوم عطلة واستيقظت في منتصف الليل ولم أجد سيف بقربي، وبهدوء قمت من سريري لأبحث عنه، فوجدته جالسا في الصالة وظهره إليّ، كان يتحدث مع امرأة، باستخدام المايكروفون الخاص بالكمبيوتر، حديث هامس.. لكنه حديث حب، ولم أحتمل، صرخت فيه: مع من تتحدث؟ وحاول هو التملص والإنكار، لكنني سمعته وانفجرت غاضبة، ما الذي ينقصني ليحادث امرأة أخرى، وأثناء شجارنا فَقَد سيف أعصابه وضربني للمرة الثانية خلال زواجنا، كانت صفعة قوية على وجهي ثم لكمة طاحنة في بطني، ووقعت على الأرض أتلوى من الألم، وبقي هو واقفا كالمشدوه، لقد آذاني وآلمني.. وانحنى فوقي يحاول لمسي فصرخت وأنا أبكي ثم هربت منه إلى غرفة الأولاد وأقفلت الباب في وجهه، وفي الصباح التالي اضطررت لفتح الباب لآخذ ابنتي إلى الحمام فوجدته جالسا في الصالة، حاول الاعتذار لكنني تجاهلته، وأصابعه مطبوعة على خدي وكدمة زرقاء كبيرة انطبعت على معدتي، وخرج إلى العمل وهو يقول من ورائي: سأتركك لتهدئي ثم نتفاهم.. وبمجرد خروجه جمعت حاجياتي كلها

هذه المرة وحاجيات أطفالي، لن أبقى مع رجل يضربني وفوق ذلك يخونني والأهم أنني لم أعد أطيقه، وأخذت سيارة أجرة إلى منزل أهلي، في ذلك الوقت كنت على وشك إتمام الثانية والعشرين من عمري وكنت أستخسر نفسي في زوج مثل سيف، شخص بلا مشاعر وبلا إنسانية، بخيل وعصبي وخائن، ودخلت على أهلي باكية وكان أخي علي خارج كندا في ذلك الوقت.. سافر إلى دبي في رحلة عمل، وبقيت عند أهلي أسبوعا كاملا وسيف لم يكلف نفسه عناء السؤال عنا، وبعدها عاد علي وثار عندما عرف بما حصل معي وطلبت منه أن يخبر سيف أنني أرغب في الطلاق، كانت أختي مريم قد أتمت الثامنة عشرة من عمرها وقتها وكنت أنام معها في غرفتها، ولاحظتُ أنها هي الأخرى تتحدث على الكمبيوتر مع شخص ما، وعندما سألتها لم تصارحني، وذهب أخي إلى سيف وتشاجر معه وأخبره أنني أطلب الطلاق، لم أعرف ما الذي دار بينهما لكن سيف رفض طلبي وحاول التصالح مع أخي، وفي اليوم التالي أتى إلى منزل أهلي وبمجرد دخوله جريت إلى الغرفة وأقفلت الباب.. حتى الطفلان لم يرحبا به، ولم يشتاقا إليه، وفي محاولة من أهلي للإصلاح بيننا وللحفاظ على بيتي وأولادي أخذوا ينصحونني بالعودة إليه، فأنا شابة وأطفالي صغار جدا.. و.. وهذه المرة قرر والدي

الاستعانة بأحد شيوخ الدين ليصلح بيني وبين زوجي، وكانت المرة الأولى التي ألتقي بها بالشيخ حسان.. بدا رجلا طويلا مهيبا بلحية خفيفة، وجهه أبيض يشع بالنور وصوته عميق جميل، كان أرمل بلا أولاد، وفي الأربعين من عمره، وجلست مع الشيخ في منزلنا، وحدثته عن حالي مع سيف، وهز رأسه أسفا على ما تعرضت له من قسوة، وفي اليوم التالي استدعى سيف وتحدث معه ثم أتى به إلينا وجلس في وسطنا وهو يتحدث عن حقوق الزوجين، وأخذ عهدا على سيف بعدم ضربي ثانية، ووعده سيف بذلك كما وعده بترك عبثه على الإنترنت مع النساء، وبكل أسف عدت معه لكنني عدت جسدا بلا روح، لقد انتهى كل شعور يربطني بهذا الرجل ورغم ذلك حملت للمرة الثالثة.

لقد ارتبط حملي دائما بالخصام والضرب، فكلما تركت بيته عدت لأصبح حاملا من جديد، ربما كان حملي الثالث محاولة يائسة مني للحفاظ على زواجي، لكنني بلاشك حاولت، بدوت أكثر لطفا وأكثر اهتماما بسيف عما كنت عليه، وبدا هو أكثر وُدا كذلك، وسارت بنا الأيام، وعرفت أن المولود القادم بنتا، ولم يعلق سيف بشيء، وقررت أن أسميها غفران.. أعجبني الاسم وشعرت به يرمز إلى المرحلة التي كنت أعيشها.

وعندما وصلت إلى شهري الثامن حدث شيء جديد في حياتي، عاد سيف من عمله متهلل الأسارير على غير عادته وأخبرني أن والدته ستأتي من الأردن حيث يعيش أهله لتزورنا وتلتقي بنا..

لم يكن لي علاقة بأهل سيف منذ زواجنا، مجرد اتصالات في الأعياد.. مرتان في السنة على الأكثر، كنت أعرف أن والده مُتوفي وأن أمه تعيش عند أخيه في الأردن لكنني لم أتوقع أبدا أن ألتقي بها.

وفرحت.. على الأقل قد تحمل عني عبء الطفلين قليلا، ومن يدري قد تكون طيبة فتؤنس وحدتي مع ابنها، واستبشرت خيرا.. وبدأت أفكر أين ستقيم.. فشقتنا ضيقة، وقررت أن نحاول وضع سرير لها في غرفة المكتب الخاص بسيف.. وفكر سيف في حل آخر، أن تنام مع حبيبة وينام زيد معنا، ولم أعترض، اشتريت ملاءات جديدة للسرير، وفي يوم وصولها أعددت أصنافا شهية للعشاء، لطالما كنت طباخة ماهرة.. وذهب سيف ليستقبلها في المطار، وارتديت أفضل ثيابي، وقد حممت الأولاد وألبستهم أفضل ما لديهم، ووصلت حماتي.. لم أر في حياتي شخصا يشبه أمه كما كان سيف يشبه والدته، إنه نسخة عنها.. رغم أنها امرأة إلا أنهما بديا كالتوأم المتطابق رغم شعر أمه الطويل.. وتقدمت

للسلام عليها والترحيب بها، وقبلتني بنظرات متفحصة وبدت أكثر حرارة مع الأولاد مما كانت معي، وجلست الأم وهي تجول بعينيها في الشقة.. وبدأ حماسي يقل وأنا أراها جافة وغليظة.. وتأكد لي ذلك أثناء العشاء عندما كانت تأكل الطعام وهي تقول: أكلكِ طيب.. لهذا أنتِ منتفخة. لم أكن أبدا سمينة في حياتي.. إنه الحمل الثالث.. وفي الشهر الثامن كنت ثقيلة جدا ومنهكة ومن الطبيعي أن أبدو منتفخة، وساءني تعبيرها فقلت: انتفاخي بسبب الحمل.. إنني رشيقة عادة.

وتجاهلَت ردي وهي تقول: أولادك يعانون النحافة وأنتِ هكذا.. هل تأكلين أكلهم؟ ثم ضحكت ضحكة بغيضة!

ولم أرد عليها، فضلت السكوت، إن هذه المرأة عكس ما توقعت، ونمت تلك الليلة بعد أن قضيت الأمسية في خدمتها، أرادت شايا ثم حليبا، ثم شعرت بالبرد ثم بالحر ثم... لقد خاب أملي تماما..

وفي اليوم التالي أخذنا سيف جميعا في نزهة. وكان أمرا نادرا أن نخرج معه لطالما كنت أصطحب الأولاد للخروج وحدنا. وبدأنا نطوف في البلد، وأُعجبت حماتي بكندا الأمر الذي أخافني، ماذا لو أقامت عندنا إلى الأبد! لم أكن أحتمل تلك الفكرة حتى!

والأيام تمر وفي كل يوم أزداد كرها لها.. ودَعتها أمي على العشاء وذهبنا جميعا إلى منزل أهلي ليتعرفوا بأم زوجي، والحق يقال بدت أكثر لطفا مع أمي وأختي حتى أنهما استلطفتا وجودها، لم أكن أفهم أنها تغار مني على ابنها، فلم يخطر في بالي أن ذلك ممكن في تلك المرحلة من عمري ولم أشكُ لوالدتي تصرفاتها معي، شعرت أن أهلي يكرهون سيف، فأردت الاحتفاظ له بشيء من الاحترام أمامهم، والأمر الذي أعجب أمي أكثر أن حماتي لم تعجبها كارلا زوجة أخي الكندية، واستنكرت زواجه بأجنبية فكسبت أمي على الفور والتي كانت تتحسر يوميا على نصيب أخي الذي أصر على الزواج من زميلته الكندية كارلا بعد أن أشهرت إسلامها، كانت لاتزال عروسا جديدة وقتها.

ودخلت شهري التاسع وازددت ثقلا ورغم ذلك كنت أقوم بجميع أعمال البيت وحدي، لم تكلف حماتي نفسها حتى ترتيب سريرها أو غسل كوب القهوة التي تشربها بشراهة، أصبحت كالخادمة لها، وقد أصبحت عبئا جديدا علي، ولم أشكُ منها لسيف.. لم أحب أن أبدو وكأنني أريد التخريب بينه وبين أمه، ولم تكن حماتي تتحدث عن تاريخ عودتها، وفي أحيان كثيرة كانت تتصل بولدها الثاني في الأردن وتحدثه فترات طويلة غير عابئة بتكلفة المكالمات الدولية، وسيف لا

يعترض.. وأنا التي يصرخ بوجهي كلما حادثت أمي رغم أن مكالماتي معها محلية وفي نفس البلد!

ومرت الأيام وأنا صابرة، وفي منتصف التاسع جاءني المخاض ودخلت المستشفى وأنا أصرخ من الألم، كان الألم حادا جدا لا يرحمني ولا يسمح لي حتى بالتقاط أنفاسي، كانت ولادتي الثالثة متعسرة جدا.. وكدت أموت فعلا أثناءها ونزفت كثيرا أيضا.. وأخيرا جاءت غفران إلى الدنيا، إنها الأجمل بين إخوتها، بيضاء البشرة بعينين خضراوين كبيرتين، إنها أشبه بالأجانب.. وشعرها كثيف طويل جميل وناعم.

ومنذ رأيتها تعلق قلبي بها، وكذلك تعلق بها الكل، حتى سيف رغم جموده بدا سعيدا وهو يحملها، إنها ملاك صغير جميل، وحماتي سعدت بالمولودة وبدت أكثر لطفا معي في أول الأيام.

وعدت إلى شقتي، وبدأت حماتي تخنقني بتوجيهاتها التي لا تنتهي، لا تحملي البنت هكذا.. إياك أن تعطيها الحليب الصناعي.. انتبهي أنت تحملينها كثيرا وستتعود على ذلك.. ما هذا اللباس الخفيف ستمرض البنت و.. نصائح مزعجة لا تتوقف، وتتدخل في كل صغيرة وكبيرة تخص ابنتي.. وكنت أصبر عليها وأحاول أن أطيعها، لا أريد مشاكل معها، بل لا أريد أية مشاكل في حياتي.. لكن صبري بدأ ينفذ، فأنا متعبة

منهكة، ولازلت أخدم الجميع والكل يتصرف وكأنني مجرد جارية.. والطفلة الصغيرة تسهّرني طوال الليل، وفي الصباح توقظني حماتي بصراخها وهي تريد طعام الإفطار!

وهمست لسيف: متى ستسافر أمك؟

وقال بدهشة: لماذا تسألين؟

وانهرت باكية وأنا أشكو، لقد تعبت، لم أعد أجد الراحة في بيتي، وكتمت صوت نشيجي كي لا تسمعني أمه في الصالة، وغضب سيف مني.. لكنه ضاق بمصاريفها أيضا، إنه بخيل وهي تصرف الكثير من ماله، وهو يخاف أن يناقشها، وبهدوء اتصل بأخيه في الأردن من ورائها ليتفاهم معه، لابد أن أخاه قد ارتاح منها طوال فترة وجودها عندنا كان الله في عونه.. وشرح له سيف الوضع.. وأخبره أن المصاريف في كندا باهظة.. وبالغ في وصف ضخامة المصاريف طبعا، وقرر أخوه أن يتحدث معها لتعود، وعندما فعل، ثارت ثائرة أمه عليّ.. اتهمتني بالغيرة وبأنني أكرهها ولا أطيقها، وقالت لي: تريدين البقاء وحدك لتستفردي بولدي في بلد الغربة! وكلام كثير سخيف وبلا هدف سوى التجريح بي..

ولم أهتم بما قالت ولم أرد عليها.. كل ما يهمني هو أن تخرج هذه الظالمة من حياتي.. وإلى الأبد.

وفي يوم سفرها خرجت مع سيف دون أن تسلم عليّ، وكان

يوما سعيدا.. بل كان عيدا.. حتى سيف بدا مرتاحا جدا.. وبدأت أستعيد هدوئي بعد رحيلها.. أصبحت حرة في بيتي وأنظم وقتي كما يحلو لي، وارتحت من خدمة تلك المرأة الجاحدة التي لم تشكرني بكلمة وأنا التي قضيت شهرين وأكثر في خدمتها، حتى ملابسها كنت أغسلها بيدي.

لازلت أكره أم سيف إلى اليوم.. امرأة أنانية قاسية لا مثيل لها..

ومرت ثلاثة أعوام بهدوء.. وأصبحت في الخامسة والعشرين من عمري، وأكملت حبيبة عامها السادس وزيد عامه الخامس في حين أصبحت غفران الجميلة في الثالثة من عمرها.

وخلال تلك الأعوام كانت علاقي بسيف عادية.. نتشاجر كثيرا بسبب مصروف البيت.. وإن كنت اعتدت على بخله إلا أنني صبرت عليه، لقد أصبح بيننا أولاد لا ذنب لهم، ومن حقهم العيش بيننا.. والتحقت بدورة لتعليم الخياطة، وفرح سيف الذي كان يخطط أن أعمل بعد أن تدخل غفران المدرسة، وأخيرا جاء ذلك اليوم الذي قلب حياتي رأسا على عقب.. يوما أسودا لن تُمحى ذكراه من قلبي مهما حييت..

كنت قد استيقظت متأخرة من النوم على غير عادتي، وغفران الصغيرة استيقظت قبلي، فبقيت تلعب دون

إيقاظي.. وتأخرت على إحضار زيد وحبيبة من المدرسة.. فبدلت ملابسي على عجل وأخذت غفران معي لإحضار أخويها.. وعدت إلى المنزل غير المرتب وأنا مرتبكة.. ودخلت المطبخ على عجل، والأولاد يريدون الطعام وأعددت لهم بعض الشطائر وأنا أحاول إعداد شيء سريع لوالدهم.

وبتلك اللحظة سكبت غفران عصيرا أحمر على السجاد في الصالة فجزعت وركضت لأنظفه، وفتح الباب ودخل سيف، مبكرا عن عودته بأكثر من ساعة.. وخفت منه، عادة يطلب الغداء حال عودته.. وسألني: ما هذه الفوضى؟

فقلت: تأخرت في الاستيقاظ.. آسفة حقا..

وصرخ في وجهي: والغداء؟

فقلت: أعددت الباستا والشوربة، سيجهز الأكل بعد قليل..

واستشاط غضبا: تقضين وقتك في النوم وفوق ذلك لا تطبخين، تعلمين أنني أكره هذا الأكل على الغداء.. أي امرأة أنتِ؟

وتوجه كالزوبعة نحو غرفة النوم فرآها غير مرتبة وأخذ يصرخ ويشتم، ورددت عليه: كل هذا لأنني تأخرت في النوم يوماً واحداً؟.. لم يحدث شيء مهم لكل هذا حتى الخدم يأخذون إجازة.. اعتبرني مريضة اليوم.

وصرخ: بل أعتبرك ميتة يا أحلام، لقد سئمت منكِ أيتها المدللة.. وكلمة منه وكلمة مني ورفع كفه ليصفعني أمام الأولاد.. وصدم الصغار.. وبكوا.. لقد ملأ الرعب قلوبهم الصغيرة البريئة وانسحبت أبكي وهم حولي، يقبلونني ويحضنونني.. وقضيت اليوم في غرفتهم.. لم أفكر وقتها في الرحيل لمنزل أهلي، لم يعد عبئي خفيفا، فمعي ثلاثة أطفال ولا أريد الإثقال على أحد، ووالدي مريض بالسكر ولا أريد إزعاجه، لقد اختلفت الظروف، وأعلم أنني سأعود إليه عاجلا أم آجلا..

ورغم الإهانة حاولت التماس العذر له ولمتّ نفسي على كسلي.. ونام الأطفال.. وفي منتصف الليل سمعت سيف يحادث شخصا ما.. كانت امرأة بلاشك.. أخذ يحادثها بصوت واضح وكأنه يتحداني.. ولم أحتمل.. خرجت إليه.. وسألته.. وأقفل الهاتف وهو يقول بوقاحة: نعم.. إنني أحبها منذ سنوات ولن أتركها لأجلك..

وبكيت: لماذا؟ هل قصرت في حقك؟

واشتد الحوار بيننا.. واحتدم الشجار، وفجأة برقت عيناه كالوحش واقترب مني.. دفعني في صدري فوقعت على الأرض، فالتقط حزامه الموجود على الأريكة وجلدني به.. أجل ضربني بالحزام حتى خارت قواه.. المجرم الظالم.. أنا

زوجته وأم أولاده.. كأنه يفرّغ غضب سنوات من الكره وعدم التكافئ، سنوات طِوالٌ من عمري أضعتها مع من لا يستحق.. وتركني مكومة أبكي ألمي وكرامتي.. ودخل لينام..

وفي اليوم التالي.. في السابعة صباحا وقبل أن يستيقظ أحد في المنزل.. تناولت معطفي الثقيل وارتديته فوق ثياب نومي التي تمزقت بسبب الضرب، وأحكمت إغلاق معطفي وخرجت من البيت.. خرجت وأنا أقسم أن لا أعود إليه.. مهما كان الثمن.

(4)
نهاية وبداية

سرت في طريقي كالتائهة... مشيت مسافة طويلة حقا... ووصلت إلى منزل عمي الذي استقبلنا في كندا عندما وصلنا قبل سبعة أعوام، قررت عدم الذهاب إلى أهلي فأنا أعرف أنهم مهما تعاطفوا معي فإنهم سيعيدونني إلى سيف، لقد ضربني سابقا وأعادوني إليه، لكن هذه المرة الوضع مختلف... لقد صممت أن لا أعود إليه مهما حدث... وبصراحة خفت أن يحدث شيء لأبي إن رآني على هذه الحال... وعندما وصلت كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحاً وضغطت على الجرس الخارجي فجاءني صوت زوجة عمي تسأل: من؟

فأجبتها: أنا أحلام...

وساد صمت كأنها لم تستوعب ثم عدت أقول لها: إنني أحلام ابنة أخي زوجك إبراهيم...

وصعدت إليها في شقتها في الدور الخامس، وفي المصعد هالني منظري، وجهي متورم من الضرب وشفتي السفلى قد شقت وازرق لونها، كدمات على وجهي، وشعري منكوش فوق رأسي وسالت دموعي، بدوت كالمتشردين، واستقبلني عمي

وزوجته والدهشة على وجهيهما وما إن وقعت عيونهما عليّ حتى شهقت زوجته... وتقلص وجه عمي كأنه أصيب بطعنة، وبكيت... بكيت كثيرا... بكل دموعي... بكل لوعتي وألمي وحرماني حتى من إنسانيتي... بكيت حقي الذي ضاع بالحب والحنان، وخلعت معطفي وصرخت زوجة عمي: إنه وحش... ذلك الحقير تستطيعين رميه في السجن إن شكوته...

وهززت رأسي... لا أريد رميه في السجن لأجل أولادي... لكنني أريد الطلاق، وطلبت من عمي أن لا يخبر أبي وأخي... سأحصل على الطلاق ثم أخبرهما، خفت أن يحاول أبي إصلاح ما حدث وخفت أن يثور علي فيقتل سيف... وهز عمي رأسه... وفي الحال اتصل عمي بالشيخ حسان رجل الدين الذي أصلح بيني وبين سيف عندما ضربني سابقا... إنه صديق حميم لعمي ويسكن في المبنى نفسه، وجاء إلينا حالا... وذهل عندما رآني على تلك الحال، وأخذ يهز رأسه بأسف ويقول: هذا الرجل تستحيل العشرة معه لن تعودي إليه أبدا...

وبكيت: وأولادي؟!

فقال: سنهدده إن لم يعطك الأولاد حالا سنقدم شكوى ضده إنهم في كندا لا يتهاونون عن اعتداء كهذا... لقد كاد يقتلك...

وفعلا كان لي ما أردت، فكما عرفت من عمي بدا سيف مذعورا عندما هدده الشيخ حسان بالشرطة، وبالمقابل كاد عمي أن يتقاتل معه وأسمعه ما يستحق من كلام... وبدأ عمي بتوضيب أغراضي وأغراض أولادي... لم نكن نملك الكثير فسيف بخيل جدا، وأخذ الأولاد منه وهم يبكون من الخوف...

وأخيرا جاء يوم فرحي وعيدي الأكبر، لقد طلقني سيف بحضور الشيخ حسان وأمام عمي...

وزف إليّ عمي بشرى طلاقي وقد ارتمى أولادي في أحضاني وهم يبكون، كانت هزة قوية بالنسبة إليهم، وظل الشيخ حسان واقفا يهز رأسه بأسف وهو يرقب حالنا، واتصل عمي بأخي علي... الذي جاء مسرعا وصعق أخي بكل ما حدث... وفي عينيه شيء كاللوم يوجهه إلي... كيف يحدث كل ذلك وهم آخر من يعلم، ولأول مرة شعرت بنفسي قوية في مواجهته: كنتم ستعيدونني إليه.. وأنا لن أعود إليه ولو كان آخر رجل في العالم...

كنت أدافع عن إنسانيتي هذه المرة، كفاني خنوعا واستسلاما...

وذهب علي مع عمي ليبلغا والدي الخبر... كانت الصدمة قاسية على الجميع، وانتقلت مع أولادي إلى منزل أهلي...

واستقبلتني أمي بالدموع وهذه المرة اختلف الوضع، أصبحت أنام مع أختي مريم في غرفتها وغفران تندس بجواري في حين تنام حبيبة مع أخيها زيد في الصالة، فالشقة صغيرة وبالكاد تكفينا، وبعد يومين جاء الشيخ حسان لزيارتنا وخرجت أسلِّم عليه، كانت بمثابة جلسة عائلية حزينة وأخبرني أن الحكومة الكندية تصرف راتبا شهريا للمرأة المطلقة مع أولادها بشرط أن أحصل على ورقة الطلاق الرسمية من سيف، وتكفل أخي بإحضار هذه الورقة التي لم يستخرجها سيف إلا بعد أن تنازلت له عن مؤخر الصداق... وتحسنت الظروف... بدأت الحكومة تصرف لي راتبا معقولا وبدلا للسكن فاستأجرت شقة صغيرة تبعد عن أهلي مسافة ربع ساعة مشيا... غرفتان وصالة.. لكنها كالقصر في عيني... وسمعت من الشيخ حسان عن سيدة عربية كانت تعيش في كندا وقررت العودة إلى بلادها... كانت تنوي بيع أغراضها وأثاثها... فذهبت إليها وشرحت لها ظروفي فتعاطفت معي وباعتني الكثير من أغراضها وأدوات المطبخ والأجهزةالكهربائية بسعر رمزي رخيص جدا.. جزاها الله خيرا أينما كانت... وبدأت حياتي تستقر، حتى أولادي بدوا أكثر صحة ونظافة... ومرت أربعة أشهر كاملة دون أن يحاول سيف رؤية أولاده... كأننا لم نكن في حياته يوما ما.

وفي يوم اتصل بي عمي وهو يرغب في تناول العشاء عندي مع زوجته وفرحت بهما، إن لهما فضل عليّ... وأعددت أفضل الأصناف التي أجيدها، لطالما كنت طباخة ماهرة، واستقبلتهما بالأحضان، وبعد العشاء فاتحني عمي بموضوع فاجأني... لقد طلب الشيخ حسان يدي منه!! لم أتوقع أبدا ذلك... صحيح أنني مازلت صغيرة وجميلة، لكن معي ثلاثة أطفال صغار وهو حمل لا يتقبله أي رجل، وصارحني عمي أن الشيخ حسان متقبل لوجود الأولاد بل ويرغب في تحمل مسؤوليتهم معي، إنه رجل ناضج وهو أفضل لي من شاب طائش لا يقدِّر الحياة الزوجية، وبدأت ألين وأنا أتذكر وجهه السمح وروحه الطيبة... وطلبت من عمي مهلة للتفكير.. وقتها حدثت كارثة جديدة في حياتي... لقد وصل خبر خطبة الشيخ حسان لي إلى سيف... لا أعرف حقا كيف عرف بذلك.. وجن جنونه... فذهب إلى أهلي دون علمي وأخبرهم أكاذيب ظالمة بأنني كنت على علاقة بالشيخ حسان وأنا على ذمته وأنه هو الذي عصَّاني عليه وزرع في رأسي فكرة الطلاق وشجعني على الهروب، وأنه خطبني من نفسي وأنني وافقت وسأتزوجه دون أخذ موافقة أحد... في ذلك الوقت لم أكن قد أخبرت أهلي بموضوع الخطبة، واتضح لي فيما بعد أن الشيخ حسان بنفسه هو الذي صارح سيف برغبته في الزواج

مني وتربية الأولاد معي، كان الشيخ حسان يتصرف بحسن نية وبما أملاه عليه ضميره لكن سيف الذي لا ضمير له، وشى به واتهمه بما لا يليق... وجن أخي غضبا...

وفي ذلك المساء المشؤوم سمعت طرقا عنيفا على بابي، وخفت ففكرت أن سيف يتهجم عليّ! ونظرت من ثقب الباب السري فرأيت أخي، فاطمأن قلبي وفتحت له وليتني لم أفعل، فبمجرد دخوله وقبل أن يغلق الباب خلفه ودون أن يراعي وجود أولادي معي صفعني... لم تكن صفعة واحدة، كانت صفعات كثيرة ويداه كالطاحونة لا تكفان عني وهو يشتمني: أيتها الرخيصة... هكذا إذن... تقيمين علاقة مع ذلك الشيخ الذي لا يخاف الله.. وتعيشين وحدك لتفعلي ما يحلو لك... يا... يا...

وأنا أصرخ وأبكي وأولادي يستغيثون... وسمع الجيران صراخنا فاتصلوا بالشرطة التي جاءت وألقت القبض على أخي.. وفي المخفر بدوت بحالة مزرية... وحضر عمي ومعه أبي الذي كان يبكي ويقول لي: لقد فضحتينا بتصرفاتك يا أحلام...

ويشهد الله أنني بريئة بلا ذنب... كنت ضحية ومظلومة إلى أبعد الحدود...

وتنازلت عن المحضر بعد أن أخي كتب تعهدا بعدم التعرض

لي، وخرج في اليوم التالي من السجن... وبعدها قاطعني كل أهلي بلا رحمة، ورفضت الزواج بالشيخ حسان الذي حاول الاعتذار مني... إنه لم يذنب... أراد أن يستر عليّ بالحلال... لكن سيف وقف لي بالمرصاد...

وقضيت أياما سوداء... كنت أبكي ليل نهار، فلطالما أحببت أهلي وتعلقت بهم، حتى أخي علي رغم عصبيته وسوء معاملته لي كنت أحبه، وفي تلك الفترة زارتني أختي مريم خلسة عن الجميع وبكيت طويلا على صدرها وطلبت منها التوسط لي عند أخي، فلو سامحني هو سيسامحني الجميع... رغم أنني لم أخطئ في حقه بل هو من فعل، لكنني ضعيفة وأحتاج أهلي مهما بدر منهم، وفعلا توسطت لي مريم... واشترط علي أن أسكن قريبا منهم كي أكون تحت عينه كما قال... ومن حسن الحظ... استأجرت الشقة الملاصقة لشقة أهلي، حائط يفصل بيننا فقط... وتصالحت مع أخي وأهلي... ومرت تلك الأيام بسلام...

وفي تلك الفترة أنهيت دروس الخياطة وقررت الاشتراك في نادٍ صحي... كنت أستيقظ في الصباح وأجهز إفطار الأولاد ثم يأتي الباص ليأخذ زيد وحبيبة إلى المدرسة، فأبدأ في إعداد الغداء والتنظيف وغفران الصغيرة تلعب بجواري، ثم آخذها إلى النادي معي حيث يوجد قسم خاص

لرعاية الأطفال... فأقضي ساعتين في السباحة والتمارين وأعود مع صغيرتي قبل عودة أولادي من المدرسة... كان نظاما جميلا... وفترة مريحة مستقرة من حياتي... وأصبح جسدي رشيقا متناسقا... لم يكن أحد يصدق أنني أم لثلاثة أولاد، بدوت شابة جدا ومتوردة...

وفي ذلك العام طلق أخي علي زوجته الكندية، لم تحتمل عصبيته وغيرته الفظيعة عليها فطلبت الطلاق منه، ورغم موقف والدتي المعارض لزواجه في البداية إلا أنها حزنت على طلاقهما، فقد كانت امرأة محترمة تستحق التقدير.

وأكملت السادسة والعشرين من عمري... واشتريت كعكة جميلة وأطفأت الشموع بين أولادي ونحن نمرح ونضحك... كانت سنة جميلة وهادئة...

وفي يوم جاءت إليّ أختي مريم لتفاتحني بموضوع يخصها... أخبرتني أنها تحب شابا فلسطينيا عن طريق الإنترنت منذ سنوات، إنه يعيش في بلغاريا... وقد قرر الحضور إلى كندا ليتقدم لخطبتها... وصدمت وأنا أسألها: وستسافرين معه؟

فهزت رأسها: لا... هو يريد الاستقرار هنا... سيبحث عن عمل... وتناقشنا طويلا... إنها تحبه... وتنتظره بشوق... ستراه لأول مرة... رغم أن لديها صورا كثيرة له، واستمعت إليها وأنا أتذكر مشاعر قديمة سكنت قلبي في وقت بعيد...

عندما كنت في الكويت وأحببت نجم، حبي الأول والأخير، لقد سمعت أنه تزوج وأنجب توأما... ابنتين... كنت أتمنى أن يسمي إحداهما باسمي لكنه لم يفعل، ترى هل مازال يذكرني؟ إنني أذكره أحيانا... كذكرى عزيزة على قلبي...

كنت صغيرة وقتها وبريئة ولم أذق من قساوة الحياة شيئا...

ووصل حبيب مريم وذهبت معها للقائه.. أرادتني معها، وسلمت عليه كأنني أعرفه، لقد ارتحت له، بدا سعيدا جدا برؤيتها وعيناه تنطقان بحبها، وفرحت لأجلها... وبدأنا معا نمهد لوالديّ بالموضوع، الأهم أن لا يعرف علي أنها على علاقة به، وتقدم هاني لخطبتها... وتمت الخطبة ومن ثم عقد القران، وأصر علي أن يُحضر شيخا يعيش في مدينة مجاورة لعقد القران، لا يريد أن يدخل الشيخ حسان بيتنا... إن علي لا ينسى أبدا... وبدت مريم سعيدة كما لم أرها من قبل... وانتقل هاني ليعيش في شقة أهلي معها إلى أن يجد له عملا ويستقر ويصبح قادرا على استئجار مسكن له ولأختي...

ومرت الأيام... وفي النادي الصحي تعرفت على سيدة أردنية تعيش في كندا اسمها عايدة، كانت في الأربعين من عمرها، ممتلئة الجسد وتميل إلى السمنة، لم تكن جميلة،

لكنها لطيفة ومسلية... كنا نسبح معا ونلعب التمارين معا... وبدأت أعتاد صحبتها، إنها متزوجة ولديها ثلاثة أولاد ذكور، أكبرهم في الثالثة عشرة وأصغرهم في السابعة في سن ابنتي حبيبة...

وحكيت لعايدة عن حياتي مع صغاري، وعن قصتي التعيسة مع والدهم، ومع الوقت شعرت أنها تتقرب مني أكثر، والحق يقال كنت أرتاح إليها وأستأنس بصحبتها، فمهما يكن أنا شابة مطلقة وأشعر بالوحدة تطوقني رغم وجود أولادي.

وجاءت عايدة لزيارتي مع أولادها... ثم بدأنا نخرج بالأولاد معا في أيام العطل، وعرّفتها على أهلي، وأحبتها أمي جدا حتى أخي علي ارتاح لصداقتي معها،

لقد ملأت عايدة فراغا كبيرا في حياتي وأغنتني عن صحبة الآخرين فاكتفيت بها...

وفي يوم دعتني إلى بيتها... فذهبت مع أولادي... ودخلت أتعثر في خجلي وهي تعرفني على زوجها سلطان... رجل في الخمسين من عمره، أبيض البشرة وطويل القامة، إنه وسيم جدا ويبدو أصغر من عمره بكثير...

وانتهت الزيارة يومها ليبدأ بعدها فصل جديد من رحلتي...

(5)
السقطة

لاحظت بعد زيارتي لعايدة أنها ازدادت التصاقا بي... إنها تكاد تقضي كل نهارها معي، لم يكن ذلك يزعجني بل على العكس فأنا أحبها وأحب صحبتها... لكنني كنت أسألها: ألا يتضايق زوجك من عدم وجودك في البيت؟

فكانت تتنهد وتقول: إن زوجي رجل طيب ودائما يوصيني بكِ خيرا... لقد تعاطف معك... ويقول إنك أشبه بحمامة بيضاء جميلة مكسورة الجناح!

وابتسمت: لا أعرف كيف أشكر طيبكما معي...

فتقول: يقول سلطان يجب أن لا أتركك وحدك، سأكون لكِ عونا وأختا ولا تقلقي عليه...

ومرت الأيام... إلى أن قالت لي عايدة: أحلام ما رأيك في فكرة تجعلنا لا نفارق بعضنا؟

فضحكت وأنا أقول: كيف؟

فقالت: أنت مطلقة وشابة ووحيدة... وأنا أحبك كأختٍ لي، هل تعرفين أنني قبل أن أعرفك كنت أعاني الوحدة والغربة لكنني الآن أشعر أنني في وطني والفضل لك...

وأردفت عايدة: إن مثلك في الزمن قليل... أحلام ما رأيك

أن نعيش معا كأسرة كبيرة...

ولم أفهم ما تقصده... وعدت أسألها: كيف؟

فألقت بقنبلة فجرت حياتي كلها: ما رأيك لو تزوجت سلطان؟ إنه رجل طيب ومحترم، ويمكنه أن يصبح خير أب لأولادك، ثم إنه متأثر بقصتك ويريد لك الستر، وسيعينك على مسؤولية الأولاد، كما أنني موافقة اعتبري أنني أخطبك له بنفسي... ألا تحبين أن نعيش معا؟!

وذهلت! والحق يقال كنت كالمنومة مغناطيسيا... كانت عايدة تملك أسلوبا غريبا في التأثير على الآخرين، لديها قدرة إيحائية خارقة، كانت من أولئك الأشخاص الذين يستطيعون إقناع الآخرين بما يريدون، لقد تسللت عايدة إلى حياتي كمخدر لذيذ يسري في دمي، لقد أدمنت عليها، أجل أدمنت على تلك المرأة الغريبة التي خطبتني لزوجها في نهاية المطاف... الغريب أن فرحتي بفكرة أنني سأعيش مع عايدة نفسها في بيت واحد كانت أكبر من فرحتي بفكرة الزواج نفسها!!

وبدأت عايدة تزّين لي الفكرة، وكنت أسألها بسذاجة: كيف نعيش معا كلنا؟

فكانت تقول: تتزوجين سلطان ونبقى على حالنا مؤقتا، ثم نبحث عن بيت كبير نعيش فيه كلنا.

وعندما لمست عايدة موافقتي المبدئية، بدأت في إقناع أمي وبطريقتها الغريبة نفسها، بدت أمي مرتاحة وموافقة ومن بعدها أبي ثم أخي علي... الوحيدة التي صرخت في وجهي هي مريم كانت تصرخ وتقول: ماذا حدث لعقلك؟ كيف تتزوجين برجل متزوج؟ كيف؟

وكنت أقول ببلاهة: زوجته موافقة وأنا أحبها جدا... وهي تحبني.

فكانت تصرخ أكثر: يا أحلام أنت ستتزوجين الرجل وليس زوجته!

كنت مشوشة جدا... لكنني موافقة... ولم أجلس مع سلطان فقط حددنا موعد عقد القران، واشترت لي عايدة بنفسها ثوبا أبيضاً بسيطا وقامت بتسريح شعري ووضع المكياج لي بنفسها في هذا اليوم... وعقد القران... وأصبحت الزوجة الثانية لسلطان... وأولادي بجواري يكادون لا يستوعبون ما يحدث حولهم، وفي ليلة زواجي سهرت عايدة وأولادها عندنا حتى منتصف الليل... وارتبكت وأنا أراها تخرج وحدها وتتركني وحدي مع سلطان... بدا هذا الرجل غريبا عني بشكل لا يصدق، إنني لا أعرفه جيدا... وكدت أستنجد بعايدة لكنها ذهبت... وبات سلطان ليلته عندي، لقد أصبح زوجي...

في كندا يحرم القانون الزواج بزوجتين حتى وإن كان الرجل مسلما فالحكومة تسجل الزواج الأول رسميا... أما الزواج الثاني فكان يتم بحضور شيخ الدين والشهود لكتابة العقد لكنه لا يوثق رسميا لأنه غير قانوني... لذلك ظل وضعي كما هو امرأة مطلقة تتقاضى إعانة من الحكومة، وكان ذلك في مصلحتي طبعا وفي مصلحة أولادي... وفي مصلحة سلطان أيضا... وهذا ما عرفته بمرور الأيام...

فمنذ اليوم التالي لزواجي جاءت عايدة في الصباح الباكر مع أولادها إلى بيتي وبيدها بعض الطعام ودخلت مطبخي لتعد طعام الإفطار وهي تضحك... بدا الوضع غريبا وأنا جالسة بجوار زوجها بقميص النوم... كنت محرجة بينما بدا هو كلوح من جماد، إنه هادئ على نحو غريب وكأنه بلا إحساس، وعايدة تشيع جوا من المرح، وابنها الصغير يلعب مع أطفالي...

وقضت اليوم معنا... ودخلت معي المطبخ لنعد معا طعام الغداء وفتحت ثلاجتي بلا حرج وهي تخرج قطع اللحم لنطبخ طعامنا وهي تضحك وتتحدث... وبعد الغداء خرج سلطان... لم يخبرني بأي شيء قبل أن يخرج وبقيت عايدة معي وفي الليل قامت عايدة لتقلي البطاطا وقطع الدجاج في مطبخي...

أسبوع كامل وسلطان وعايدة وأولادهما يقضون جل أوقاتهم في منزلي يسرحون ويمرحون ويأكلون...

واضطررت للذهاب إلى السوق المركزي أكثر من مرة وحدي لأشتري حاجيات المطبخ، ولم يكلف سلطان نفسه عناء الدفع، وبعد ذلك الأسبوع نبهت سلطان قائلة: عليك أن تبدأ المبيت مع عايدة... أسبوع كامل وأنت معي وحدي...

فقال بغباء: لكن شهر العسل لم ينته...

فقلت ساخرة: هل تنوون كلكم قضاء شهر كامل في ضيافتي أم ماذا؟!

لقد سئمت تلك الفوضى... منذ زواجي وهؤلاء القوم يعيشون عالة عليّ... حتى أولادي بدوا مهملين وسط كل هذه الزحمة في شقتي... ووالديّ مستغربان وضعي وهما يريان ضرتي تكاد تقيم في بيتي... وأختي مريم تهز رأسها أسفا كلما رأتني...

وبدأ سلطان يقسِّم لياليه بيننا... وعندما تركني لأول مرة شعرت بارتياح كبير... إنني لا أحبه... وأخذت ألوم نفسي على موافقتي على هذا الزواج... كيف فعلت ذلك بنفسي؟... وشعور قوي بالندم يسيطر على قلبي ويكاد يكتم أنفاسي..

وفي الصباح التالي... خرجت بالأولاد وحدنا... كان يوم عطلة، أقفلت هاتفي النقال... قضينا وقتا رائعا في إحدى

الحدائق الجميلة، وعندما عدنا وجدت سلطان ينتظرني عند مدخل البيت ومعه عايدة وابنهما الكبير... وانزعجت... كنت قد تناسيت أنني تزوجت في تلك النزهة فإذا بي أراهم أمامي فجأة كالقضاء المحتوم... وصعدوا معي، وسلطان صامت وعايدة تقول: أين كنتِ؟ أردنا تناول العشاء معك...

وصعدنا وأنا منقبضة الصدر، وطلبت عايدة البيتزا... ووصل الأكل... وبوقاحة قالت لي: أحلام... رجل التوصل يطلب نقوده...

وقمت لأدفع وأنا غاضبة وأخفي غضبي تحت قناع يكاد يسقط في أي لحظة...

ومرت الأيام... إن هؤلاء القوم يستغلونني... ولم أسكت.. ففي إحدي الليالي... قررت أن أفاتحهما بما يجول بخاطري، كان قد مضى على زواجي أربعة أشهر كاملة وقلت لسلطان وأمام عايدة: اسمع يا سلطان أنت تعرف أنني أعيل ثلاثة أولاد... منذ زواجنا وأنت لم تصرف فلسا واحدا عليّ... وبصراحة أصبح مصروف البيت مضاعفا بحيث لم أعد أستطيع تحمله وحدي...

وردت عايدة: لكنك تقبضين مالا من الحكومة...

فقلت بجفاء: لم يعد يكفيني... فقد تضاعف عدد الأفراد الذين أعيلهم...

وانتفضت عايدة... وخرجت غاضبة وهي تتهمني بالجحود والبخل! وسلطان ساكت... لا يعلق ولا يحل المشكلة، لكن الوضع تغير منذ تلك المواجهة، أصبحت عايدة لا تطيقني ولم تعد تزورني، وسلطان أيضا... أصبح يأتي إليّ مرتين في الأسبوع، وفي بعض الأحيان يكتفي بتناول العشاء ثم يذهب إليها...

ومر شهر... وخلال تلك الفترة قررت أن أصبر، لقد تزوجت وانتهى الأمر وعليّ أن أحاول إنجاح هذا الزواج بأي شكل، يجب أن لا أستسلم... لكنني لا أحب سلطان... لا أحبه أبدا... ولا أرغب في الإنجاب منه، يكفيني أولادي الثلاثة، لا أريد طفلا رابعا قد أعيله لوحدي بعد فترة... ثم إنه لم يفتح موضوع الأولاد معي فلِمَ أستعجل؟...

وفي ليلة جاء سلطان لزيارتي ومعه عايدة كان قد مضى شهر منذ غضبت مني آخر مرة... واستغربت...

واحتضنتني عايدة بحرارة وهي تقول بلهفة: وحشتيني يا أحلام، أهذا قدري عندك؟ بدلا من مراضاتي ترضين بقطيعتي..

وأخذت تعاتبني وهي تقول: لو علمتِ كم أحبك ما كنتِ تركتني!

وأنا صامتة... وحائرة... وأخيرا تحدث سلطان قائلا:

أحلام جئت لأخبرك أنني قررت الانتقال من مونتريال!

وصعقت... وعاد يقول: سأنتقل إلى مدينة لندن أونتاريو!

وسألته: لماذا؟ إنها مدينة بعيدة عن أهلي تبعد ثماني ساعات عن هنا!

فردت عايدة: إنها أفضل من مونتريال، والإيجار أرخص وقد يحصل سلطان على عمل أفضل هناك...

كان سلطان يعمل في محل لبيع الهواتف النقالة... وقلت بلهفة: وماذا عني أنا؟

فقالت عايدة: دعينا نستقر هناك فترة قصيرة ثم تأتين أنتِ وراءنا...

وصرخت: وأولادي؟ ومدارسهم؟ وحياتهم؟ وأهلي؟

فقالت عايدة: بقي شهران تقريبا وتبدأ العطلة الصيفية يمكنك الانتقال وقتها... وأهلك تستطيعين زيارتهم وقتما تريدين... هيا يا أحلام لا تصعبي الأمور!

وفعلا... سافر سلطان وعايدة وأولادهما بعد أسبوعين، وبقيت أنا في مونتريال.. لم أرغب في اللحاق بهما أبدا... تمنيت لو طلبت الطلاق وانتهيت من هذه الحكاية التي كدرت صفو حياتي...

لكنني جبنت... أحيانا يعرف الإنسان أنه لا يسلك الطريق

الصحيح... لكنه بدلا من تعديل مساره والنجاة بنفسه... نجده يتردى في الطريق الخطأ ويواصل رغم اقتناعه بأنه طريق مسدود، ربما كنت في داخلي أفكر بأن الحال قد يتغير يوما أو ربما خفت من حمل لقب مطلقة للمرة الثانية، ربما فكرت بأن سيف قد يشمت بي... لا أعرف حقا... لكنني كنت ضائعة وتائهة وحائرة بلا شك...

ومر شهر كامل وأنا لم أسمع صوت سلطان... كانت عايدة هي التي تتصل بي... وضع غريب مع زوج غريب.. وتقول لي: سلطان يسأل عنك ويسلم عليكِ...

وأسكت أنا ولا أعلق بشيء... فماذا عساني أقول لها؟!

وأخيرا اتصل بي سلطان بعد شهر آخر، كانت المدارس أغلقت أبوابها وبدأت عطلة الأولاد الصيفية وأجبت على الهاتف ولم أعرفه في البداية، فأنا لم أحدثه منذ فترة طويلة ولا أذكر أي اتصالات بيننا سابقا!

وقال إنه يظن أن الوقت قد حان كي ألحق به مع أولادي!

وسألته ببرود: لماذا ألحق بك؟

فقال كأنه يتوقع هذا السؤال: أحلام... لقد تعلقت بكِ... أعرف أنني هادئ وقد أبدو جافا لكنني أريدك بقربي حقا.

ورق قلبي! إنني امرأة وحيدة ومحرومة... وأحتاج أن أسمع كلاما رقيقا، لقد حرك سلطان مشاعري، وعرف كيف

يقنعني باللحاق به، قلت لنفسي ربما كان حقا يحبني ويحتاج إليّ، ومن يدري قد أحبه أنا أيضا، ثم إننا لم نقض وقتا كافيا معا، وما دمت تزوجته فالأمر يستحق المحاولة...

وأخبرت أهلي بقراري... سأرحل إلى لندن أونتاريو...

وبكت أمي... وصرخت مريم: أنتِ مجنونة...

وأخي علي لم يكن في كندا، كان قد سافر مرة أخرى إلى دبي في عمل، ولم أجد أن من واجبي الاستئذان منه، إنني في ذمة زوج، وأمري بيد زوجي... وبدأت بالتحضير للسفر، وابنتي حبيبة تسألني... لماذا نسافر يا ماما؟ فأخبرها أن حياتنا ستكون أفضل هناك وأحاول أن أعزيها بكلمات لا معنى لها، أما زيد فقد كان متحمسا... إنه صغير ليفهم لكنه أحس بروح المغامرة فأحب التجربة، وغفران لا رأي لها، إنها متعلقة بي وكل ما يهمها أن تكون بحضني... وبعت معظم أثاثي... والباقي القليل تركته لأمي حسبما اختارت... وودعت مونتريال... وأنا لا أعرف المصير الذي سينتظرني في مدينتي الجديدة...

(6)
لندن أونتاريو

وصلت إلى تلك المدينة ووجدت سلطان وعايدة في انتظاري.. كنت مرهقة جدا وكذلك أولادي.. ومد سلطان يده يصافحني، بدا غريبا عني.. كأنني لست زوجة له، وكعادتها استقبلتني عايدة بالقبل والأحضان.. وذهبت معهم.. ووصلنا إلى فندق صغير، إنه أقل من فندق، مجرد موتيل **motel**.. نُزل متواضع.. وفوجئت بالمكان.. غرفة صغيرة وعلى الجانب مطبخ وصالة في نفس الوقت وحمام ضيق قذر، وثارت ثائرتي: أهذا السكن الذي وفرته لي؟؟ وقال سلطان بضيق: ليس من السهل العثور على مسكن مناسب وبسعر مناسب.. إن شقتنا التي نسكنها نحن صغيرة أيضا عليك أن تصبري.

وصبرت.. وفي الليلة الأولى لم يبت سلطان عندي، تركني وخرج وراء عايدة وقضيت ليلتي الأولى في هذه المدينة وأنا أبكي.. ولم يغمض لي جفن، وفي اليوم التالي خرجت مع الأولاد ونحن نتجول في المدينة، أردت الخروج من ذلك المكان الكئيب.. وتناولنا طعام الإفطار في مقهى صغير، وعدت لأجد عايدة في انتظاري، وقابلتها بجفاء، إن هذه المرأة دخيلة على حياتي، لقد اقتحمتني وغررت بي.. أجل أصبحت أكرهها،

ولازلت لا أفهم تركيبتها النفسية.. لكنني تورطت بسببها وما حدث لا يمكن تغييره، ويجب علي أن أواصل مسيرتي بعزم وإصرار، لن أستسلم وسأتكيف ما دمت قد اخترت القدوم وراء زوجي المزعوم.

وفي المساء جاء سلطان وقد قرر المبيت عندي، وكأنه يتبع خطة ما، بدا رقيقا جدا معي، احتضنني طويلا وهو يدللني ويعدني بالخير، وذبت بين ذراعيه، كنت امرأة منهكة، أنهكتها الوحدة والمسؤولية والحرمان.. ووعدته بالصبر.. في اليوم التالي حضرت عايدة وجلست معي بعد أن رحل سلطان.. وطرحت عليّ فكرة غريبة كجميع ما تطرحه.. قالت لي: بما أنك لا تزالين مطلقة في نظر السلطات الرسمية فيمكنكِ اللجوء إلى ملجأ المنطقة لتطلبين منهم توفير سكن لكِ ولأولادك..

وفتحت عينيَّ مندهشة: ماذا؟

فقالت بتأكيد: إنه ملجأ **shelter** يضم المطلقات والأرامل والحوامل والنساء المضروبات من أزواجهن.. إنه مكان مؤقت وسيوفرون لكِ مسكنا بسعر رمزي بعد فترة.. ما رأيكِ؟ صدقيني لن تندمي..

وسكتُ، والدنيا تدور بي.. معقول.. أن أصل إلى العيش في الملاجئ، ألهذه الدرجة أنا رخيصة عند زوجي؟؟ وزوجته؟؟

وأخذت عايدة تلح وتزيّن لي الفكرة.. وأنا أتبعها كعادتي.. لكنني وجدت أن الفكرة قد تكون في مصلحتي وستخلصني من هذه الغرفة الكئيبة على أية حال، وفي الصباح التالي جاء سلطان وحده، ورآني أوضب أغراضي وسألني: إلى أين؟ فنظرت إليه باشمئزاز وقلت بتهكم: إلى الملجأ..

إنه يعرف.. فلا داعي للتمثيل أكثر من ذلك.. ووصلت مع أولادي إلى الملجأ.. واستقبلونا بترحاب، أخبرتهم أنني مطلقة بائسة وأنني أتيت إلى هذه المدينة بحثا عن مكان أفضل و...

وأعطوني غرفة كبيرة تتكون من أربعة سرائر وحمامين.. كانت أفضل بكثير من غرفتي السابقة في ذلك المكان الموحش المخيف والمقطوع عن الناس.. وبدأت إدارة الملجأ بتقديم اللعب والملابس لأولادي الذين طاروا من السعادة، في حين كنت أنا منهارة من الداخل.. وعندما حان وقت الأكل نزلنا جميعا حيث يقدم الطعام في مطبخ كبير لكل المقيمين (يقدمون الفطور والغداء والعشاء في مواعيد ثابتة).

وعرفت في الملجأ حياة غريبة عليّ.. نساء من كل شكل ونوع، بعضهن مكسورات حزينات وأخريات شرسات متوحشات.. أطفال مشردين مع أمهات ضائعات.. مراهقات حوامل.. وأجناس يشيب الرأس عند سماع قصصها،

واتصلت بأهلي من هاتف عمومي.. لم أخبرهم أنني أعيش في ملجأ مع أولادي.. اكتفيت بذكر الموتيل.. والأيام تمر، وكلما اتصلت بسلطان كان يتهرب مني، ثم طلب مني عدم الاتصال به كي لا تفشل خطتنا ويكتشف أحد أنني متزوجة واتصلت بعايدة أيضا وطلبت مني الهدوء والصبر إلى أن أحصل على المسكن المزعوم، وأنا أكرهها تماما.. وطوال شهر كامل قضيته في الملجأ لم أرَ أي أحد منهما.. وأخيرا أبلغتني مديرة الملجأ أنهم وجدوا لي منزلا بسعر بسيط جدا حيث تتكفل الدولة بدفع القسط الأكبر من إيجاره، كما قدموا لي مبلغا محترما لشراء ما يلزم للمنزل الجديد.. إن هؤلاء القوم يملكون إنسانية لا يملكها أحد بين كل من عرفتهم في حياتي، وتسلمت مفاتيح المنزل وكدت أجن وأنا أراه.. إنه رائع.. ثلاثة طوابق كاملة.. في الطابق الأرضي صالة واسعة ومطبخ كبير وحمام، وفي الطابق الأول أربع غرف مرتبة وحمامان، والطابق الأخير عبارة عن صالة أخرى ومخزن.. وفرح أولادي بالمكان.. لأول مرة نعيش في منزل بهذا الحجم، وبدأوا يلعبون وهم لا يكفون عن الضحك واستخدام الدرج.. كان حلما جميلا وسرعان ما استفقت منه وأنا أتلقى اتصال سلطان.. تمنيت لحظتها لو أنني لم أتزوجه، وأخبرته بأمر المنزل كأنني أكيده، وطلب مني العنوان.. لا أريده أن يحضر

مع عايدة وأولادهما ليزعجاني، فقلت له بجفاء: لا أعرف العنوان بالضبط.. سأتصل بك لاحقا.. وأقفلت الخط ثم أغلقت الهاتف أيضا، لا أريد أن يأتي.. على الأقل إلى أن أستمتع بالبيت قليلا.. ولكن استمتاعي لم يطل، ففي مساء اليوم التالي دُق بابنا لأفاجأ بسلطان وعايدة وأولادهما كما توقعت، وقد حصلوا على العنوان من الملجأ، ذهبت إليهم عايدة وادعت أنها صديقة عمري التي تبحث عن مكاني فأعطوها العنوان، ورغم استقبالي البارد لهم إلا أنهم مكثوا معنا حتى منتصف الليل وتفرجوا على البيت بذهول، وعندما قامت عايدة لترحل قلت لسلطان: الأفضل أن تذهب معها.

وردت عايدة: لماذا يا أحلام؟ إنه زوجك أيضا..

فقلت بغضب: لم أره منذ شهر كامل والآن يتذكر أنه زوجي؟

فردت هي أيضا كأنها محاميته المخلصة: كل ذلك لمصلحتكِ.. لو عرف أحد أن لك رجلا لما حصلت على هذا البيت.

فقلت: أنا لا رجل لي، إنه لا يعيلني، ولم يصرف عليّ فلسا واحدا منذ تزوجته، ولياليه معا تعد على الأصابع و...

وقاطعني سلطان برقة: اهدئي أرجوكِ، أنا آسف لقد قصّرت كثيرا في حقك وأعدك أن أعوضك كل الأيام السابقة،

سنستقر في حياتنا وسيتحسن الوضع..

وسكت.. وبات عندي.. أكاد أشمئز من نفسي كلما تذكرت تلك الأيام.. لم أكن نفسي.. أجل.. كنت امرأة أخرى بلاشك..

ومرت أيام أخرى وفي يوم أتى إليّ سلطان وحده.. كنت وقتها مشغولة بتقديم أوراق أولادي إلى المدرسة.. فالدراسة أصبحت على الأبواب، واستقبلته وحدي.. كانت فرصة نادرة أن يكون وحده معي في البيت، وأولادي يلعبون في حديقة المنزل الخلفية، وتنهد سلطان كأنه خطط لأن يتنهد قبل أن يبدأ حديثه وقال: أحلام هل تحبينني؟

وصُدمتُ، وتلعثمتُ قليلا وقلت: لماذا تسأل؟ ماذا تقصد؟ فسحب سؤاله وغيره بسرعة كأنه خاف أن أقول له إنني لا أحبه.

وقال: أريد منك خدمة لن أنساها العمر كله.. إنني أحتاج إليك يا أحلام، تعلمين أنني لم أجد عملا هنا، ومنذ وصولنا وأنا أحاول بلا جدوى، وقد صرفت كل مدخراتي، حتى الإيجار أصبحت عاجزا عن دفعه، لقد فكرت بالعودة إلى مونتريال لكن ذلك مستحيل، وقد استقررتِ أنتِ هنا ووجدتِ لك مسكنا لائقا.. أحلام يجب أن تساعديني..

فقلت وقد برقت عيناي بالفهم: تريد مني مالا؟

فقال بسرعة: لا.. أريد أن ننتقل أنا وعايدة والأولاد لنعيش معك في هذا البيت..

وقمت واقفة كأن نارا لسعتني: ماذا؟؟

فقال بهدوء: البيت كبير ويسعنا جميعا، تأخذين غرفتين لك ولأولادك وتتركين لنا غرفتين، إننا عائلة واحدة في النهاية، وأنا زوجك ومن حقي عليك أن تساعديني.

وكدت أطرده، كدت أخنقه، لكنني فكرت إنه هو الذي دلني على سبيل الحصول على بيت كهذا، أخيرا فهمت ما يريده، فهمت غايته من إحضاري إلى هذه المدينة وإرسالي إلى الملجأ مع أولادي.. يريد أن يستفيد بهذا المنزل مع زوجته الحرباء، ورفضت، قلت له إنني لا أريدهم معي، وخرج من عندي وهو يمثل الإنكسار، وبعد نصف ساعة كانت عايدة تدق بابي، جلست وهي تبكي وترجوني أن أوافق على انتقالهم عندي، أخذت تعاتبني ودموعها تنهمر، ولم أستطع صدها، وافقت على مضض، وأنا ألعن نفسي وألعن الساعة التي دخلت هذه المرأة حياتي، وخلال يومين انتقل سلطان ومن معه إلى بيتي، ليشاركونا حياتنا وأنفاسنا.. بدا المنزل كخلية من النحل، فبعد أن كنا أربعة أشخاص أصبحنا تسعة أشخاص، ولم يضق الأولاد بهم، كانوا يحبون ابنهم الصغير ويلعبون معه طوال الوقت، لكنني أنا التي ضقت بهم، ومنذ

اليوم الأول طلبت من سلطان أن يساهم في مصروف البيت، من غير المعقول أن أصرف عليهم جميعا، فوعدني بالمساهمة بمجرد أن يجد عملا، وصرخت في وجهه: لن أسمح لك بالعيش عالة عليّ.. وقال: شهر واحد وسيتحسن الحال.. وسلطان يبات ليلة عندي وليلة عند عايدة، لكن شيء جديد طرأ في تلك المرحلة، لقد بدأت عايدة تغار مني.. أجل.. تغلبت غريزتها كامرأة على خططها وذكائها، استطعت أن أرى ذلك بوضوح.. لقد طمعت عايدة بي وخططت لتزويجي سلطان كي يحصلا على سكن مجاني بل ويعيشان على حسابي كما يفعلان الآن، لكنها عندما عاشت معي في بيت واحد انتبهت إلى أشياء لم تكن تراها أو ربما حاولت أن لا تراها وغضت النظر عنها، لكنها الآن مضطرة إلى رؤيتها وبوضوح، إنني أجمل منها بكثير، وأصغر، وجسدي رشيق مشدود، إنني رائعة وأصبحت غيرتها تطل من عينيها وهي ترى سلطان يدخل غرفتي وهي في الغرفة المقابلة، وبدأت تطرق بابنا تدعي الصداع أحيانا أو المغص.. ولم أكن أكترث لها كنت أعيد إليها زوجها، فأتنازل عن ليلتي لها، لكن ذلك التنازل لم يهدأ غيرتها، بدأت تتعمد أن تطبخ أكلات دسمة مشبعة بالدهون وتغريني بالأكل على أمل أن أفقد رشاقتي وأنضم لفئات الأوزان الثقيلة مثيلاتها.. فكنت أرفض الأكل

وأشوي بعض اللحوم وأنا أكيدها بقولي: سلطان لا يريدني أن أسمن.

وبدأت أنتقم منها، من تظن نفسها هذه المرأة الدخيلة، وأصبحت أتعمد لبس الملابس الضيقة أمامها وازداد اهتمامي بزينتي وشعري.. وهي تكاد تفقد توازنها، كنت أفكر أن هذه هي الطريقة الوحيدة كي تخرج هذه المرأة من بيتي لأعيش بسلام مع أولادي، حتى وإن طلقني سلطان فلن أهتم.. المهم أن أجعلها تفقد صبرها فترحل.. وإلى الأبد..

ومرت الأيام.. وفي يوم رن هاتفي النقال.. وجاءني صوت شبح أعرفه.. إنه سيف! يتصل بي بعد عامين من طلاقنا ويصرخ بي: أين أولادي يا أحلام؟ كيف ترحلين بهم دون علمي؟ وقلت ساخرة: وأين أنت عنهم طوال عامين؟ هل تذكرتهم فجأة أم ماذا؟ أم لعلك كنت فاقداً للذاكرة؟

وصرخ: لا تحادثيني هكذا، مهما ابتعدت أو انشغلت يبقون أولادي وليس من حقك السفر بهم دون إذني..

قلت له وأنا أحاول أن أهدأ: سيف.. ماذا تريد الآن؟

فقال: أريد أن أرى الأولاد..

فقلت: تفضل لزيارتنا في أي وقت..

فقال بوقاحة: لا.. لن أحتمل السفر ثماني ساعات.. أنتِ أحضريهم إليّ..

ثم أضاف بلهجة تهديد: إلا إذا كنتِ تريدين المشاكل.. وقد أطالب بحضانة الأولاد.. مادمتِ تزوجت رجلا عجوزا وتعيشين معه ومع زوجته في بيت حكومي خفية عن السلطات.

وخفت.. ماذا لو أبلغ الحكومة أنني متزوجة.. صحيح أنني أستطيع الإنكار، لكنه سيفتح علي بابا من المشاكل وقد أخسر الإعانة المالية التي أعيش منها.

وقلت وقد ارتعش صوتي قليلا: سيف.. أرجوك لا داعي للمشاكل إن ما تفعله سيضر بالأولاد في النهاية..

فقال: أنا لن أفعل شيئا ما دمتِ مطيعة لأوامري.. أحلام ستحضرين الأولاد لأراهم في عطلة نهاية الأسبوع القادمة.. هل فهمتِ؟

فقلت باستجداء: دعها بعد أسبوعين، لم ينزل راتبي بعد ولا أحتمل مصاريف السفر.. أرجوك يا سيف قدّر ظروفي.

فقال بتعنت: لا، لن أقدّر شيئا.. سأنتظرهم، في نفس العنوان إن كنتِ لازلتِ تذكرينه..

وسكت.. وأقفل الخط فأجهشت بالبكاء، وحكيت ما حصل لسلطان، ونظرات عايدة الشامتة تحيط بي، إنني شبه متأكدة من أنها من وشت بي وحرّضت سيف عليّ، فما الذي ذكّر سيف بنا وأوحى إليه بكل هذه الأفكار الانتقامية غيرها!

وقررت السفر، واضطررت لبيع مصحف من الذهب كان لي منذ صغري مع بعض الأساور التي احتفظت بها منذ طفولتي لأوفر تكاليف السفر، ورغم ألمي وغيظي كنت سعيدة أنني سأرى أهلي، فقد مرت ثلاثة أشهر منذ رأيتهم آخر مرة، ووصلنا إلى مونتريال.. وطوال الطريق كنت أهيئ الأولاد لرؤية أبيهم، كانت حبيبة تتذكره، وكذلك زيد، لكن غفران لا تعرفه.. وكانت خائفة وترجوني أن أكون معهم، وتوجهت بهم إلى منزل أهلي، إن كان يريد رؤية الأولاد فليأتِ هو إلينا، لن أذهب إلى بيته مهما حدث.

وأخيرا التقيت أمي، ورميت بنفسي بين أحضانها وأنا أبكي كطفلة صغيرة وجدت أهلها بعد جريمة اختطاف.. لقد اشتقت لها ولحنانها، وقبّلت رأس أبي ويده ثم ظهرت أختي مريم، كانت حاملا وبطنها منفوخة أمامها واحتضنتها وأنا أبكي أيضا، وأخي علي يسلم عليّ وقد ظهر تأثره الذي يكابر على إظهاره في عينيه، ولم أخبر علي بتهديدات سيف، فقط طلبت منه الاتصال به ليأخذ الأولاد من شقة أهلي، وفعلا أتى بعد ساعة، ونزل بهم علي بنفسه إلى والدهم، وانقبض قلبي والوساوس تنهش صدري، ماذا لو هرب بهم!

وطمأنتني مريم.. لا تخافي إنه لم يصرف عليهم فلسا واحدا منذ طلقك فما الذي يدعوه لتحمل عبئهم بعد كل هذه

المدة، واطمأن قلبي..

وبدأت أحكي لأهلي ما حدث معي وعيونهم تتسع دهشة.. لم يعد إخفاء الحقائق مجديا.. قد يتحدث أولادي عن وضعنا.. والأفضل أن يعرف أهلي الحقيقة مني..

وصرخت مريم: لا أصدق يا أحلام، كيف ترضين بأن تعيش ضرتك معك.. بل وعالة عليك.. ما هذه الحياة؟!

وعلّق علي: يبدو أنك فقدت الكثير من كرامتك.. هذا الرجل محتال مع زوجته.. كيف ترضين العيش في ملجأ.. ليتك حرصت على أولادك بعدم البوح لوالدهم بما حدث..

وثرت قائلة: والدهم تركهم للشقاء.. لم يهتم لأمرهم ولم يرسل لهم فلسا واحدا منذ طلقني.. إنه لا يهمني..

ومناقشات حامية وانهمرت دموع أمي فقُمتُ مسرعة أقبّل رأسها ثم قلت بحزم: لنقفل هذا الموضوع.. يكفي ما سمعته.. أرجوكم.

وساد صمت.. ثم قمت لأرتاح في غرفة مريم، كان زوجها في الخارج، وقلت وأنا أستلقي: يجب أن أستأجر غرفة في فندق ما، الشقة لن تسعني معكم أنا وأولادي.

واندست مريم بقربي.. وسألتها عن أحوالها وأحوال زوجها، فقالت بتأفف: إنه اتكالي كزوجك ربما، لم يجد عملا حتى الآن، ولا أظن أنه جاد في البحث عن عمل، لازلنا

نعيش هنا، والمولود القادم لا يؤثر فيه، أصبحنا نتشاجر طوال الوقت ويعلو صوتنا.. لست سعيدة يا أحلام، والحب بيننا بدأ يتضاءل ويختنق.

وقلت لها: وأنتِ؟ لا تريدين العمل؟

فابتسمت: تعرفين أنني تخرجت قبل فترة قصيرة.. وكلما ذهبت لمقابلة ما يرفضون توظيفي لأنني حامل..

وبدت خيبة الأمل على وجه مريم.. وأشفقت عليها ومددت يديّ وأنا أجرها لأضمها إلى صدري برفق وهمست لها: اصبري حبيبتي غدا تتحسن الظروف ويجد هاني عملا..

ولم تتمالك هي نفسها أمام حناني فأجهشت بالبكاء: لقد حاول علي مساعدته، لكنه غير جاد ولا يريد أن يعمل، إنه أحمق ولا مسؤول.. وقد التحق بوظيفة بسيطة عن طريق علي قبل شهر لكنه لم يلتزم بالدوام وتم فصله..

وسألتها: ألم يتدخل أحد؟ أمي أو علي؟

فأجابت: تعرفين أمي.. إنها تخاف على حياتنا، أما علي فقد أصبح صديقه المقرب، وبدلا من نصحه واتخاذ موقف جاد منه، فإنه يجالسه طوال الوقت ويسهر معه، ثم إن علي مشغول البال بقصة حب جديدة هذه الأيام.

وظهر الاهتمام على وجهي وأنا أسألها أن تحكي لي، قالت إنه تعرّف على فتاة لبنانية جميلة جدا في العشرين

من عمرها، وتعمل في أحد المحال الشهيرة التي تبيع الملابس الغالية، لقد سلبت لبه، إنه مجنون بها.. والفتاة تعيش مع والدها، والدتها متوفاة، وقد عرّفت علي على والدها، لم يبق سوى تحديد موعد للزواج، والذي يؤجل هذا الموعد رغبة الفتاة في التعرف على علي أكثر وأكثر، فهو مطلق ويبدو أنها لمست صعوبة طبعه.

وتمنيت لو تعرفت عليها، وفي السادسة مساءً بالضبط أعاد سيف الأولاد إليّ وأخذت أقبلهم بلهفة وكأنهم غابوا عني منذ زمن، فأنا لم أفارقهم من قبل وكنت خائفة من أبيهم.

وأخبرتني حبيبة أن والدها يعيش وحده، وأنه سألها كثيرا عن حياتنا.. كيف نعيش وأين وماذا نأكل، أراد معرفة تفاصيل كثيرة، وانقبض صدري، ما الذي ينويه سيف!!

وأخذت الأولاد واتجهنا إلى أحد الفنادق الرخيصة في المنطقة واستأجرت غرفة واحدة لمدة ثلاثة أيام، كنت أتمنى البقاء أكثر لكنني يجب أن أعود.. من يدري ما قد تفعله عايدة بمنزلي هناك، كنت قد أقفلت غرفنا بالمفتاح.. لا آمن تلك المرأة أبدا.. حتى أن سلطان لم يكلف نفسه الاتصال والسؤال عنا وإن كنا وصلنا سالمين أم لا، كنت وأنا أحكي عن حياتي معه لأهلي أشعر بمدى التردي الذي أعيش فيه،

إن حياتي هناك ليست طبيعية، وسلطان يكاد يكون غريبا عني، أشعر أنني غريبة حتى عن نفسي.. والآن وأنا بعيدة عنه أستطيع رؤية الصورة واضحة أمامي، لقد فهمت الآن كل ما حصل معي، لقد وقعت ضحية زوجين محتالين استغلا طيبتي وظروفي في أسوأ استغلال.. ودمعت عيناي وأنا أرثي نفسي، لقد ذقت العذاب في زواجي الأول ولم أحب سيف أبدا وكذلك ذقت الهوان في زواجي الثاني ولم أحب سلطان أيضا، على الأقل في زواجي الأول حصلت على أولادي قرة عيني، لكنني في زواجي الثاني لم أربح أي شيء سوى بيت في مدينة موحشة كرهتها وكرهت حتى اسمها.. لا، لا أحتاج ذلك الزواج ولا أريد ذلك البيت الغريب.. هل أطلب الطلاق؟؟ ونمت وفكرة الطلاق تتردد في رأسي..

وقضيت الأيام الثلاثة مع أهلي.. وسألت أمي عن شقتي السابقة الملاصقة لشقتهم، فقالت إنه قد تم استئجارها من قبل عائلة هندية.. وخاب أملي.. كأنني منيت نفسي بالعودة إليها في القريب العاجل.

وعدت إلى لندن أونتاريو.. بقلب مخلوع وروح معلقة بأهلي.. وشهقت عندما دخلت البيت.. كان نظام الأثاث متغيرا وقد عمت الفوضى المكان، واستقبلتني عايدة بوجهها الكريه الذي لا أطيق رؤيته وادعت الشوق إليّ كاذبة كعادتها،

وجاء سلطان وراءها وهو يقول: حمدا لله على السلامة.

ولم أرد عليه، تجاهلته وصعدت غرفتي، ويبدو أن عايدة أرسلته ورائي فلم أفتح له الباب وقضيت يومي وحدي، وفي المساء طرق سلطان بابي، فرفضت دخوله عندي، لا أريده بعد الآن، لقد سئمت منه.. وفكرة الطلاق لا تزال تراودني وبقوة أكبر، إنني مصممة على ترك هذا المكان.. إنه زواج فاشل وبلا مستقبل.. واتصلت بأختي مريم، أخبرتها أنني قررت الطلاق وبدأنا نخطط معا، في البداية أرسلت لها صورا من أوراق الأولاد لتطلب انتقالهم إلى المدرسة في مونتريال، ثم كلمت صاحب العمارة بخصوص إيجار شقة لي، فوجد لي شقة فوق شقة أهلي تماما، وبسرعة أرسلت له شيكا لاستئجارها باسمي، كل ذلك ولا أحد من أهلي يعرف ما أنويه غير مريم التي تساعدني في الخفاء، وأخيرا حصلت على قبول لأولادي في نفس مدرستهم السابقة.. وعندما جاء الليل بدأت أوضب أغراضي خلسة.. كان قد مضى على عودتي الأخيرة من مونتريال حوالي ثلاثة أسابيع لم يلمسني سلطان فيها ولم أسمح له بالمبيت عندي، وفي الليل أخرجت الحقائب بهدوء ووضعتها في مرآب السيارات الخالي في الخارج وأقفلت عليها، وفي الصباح - وكان يوم عطلة - ارتديت ملابسي أنا والأولاد وهم لا يعرفون شيئا أيضا، وادعيت

أنني أنوي القيام بنزهة طوال اليوم، ولم يشك سلطان أو عايدة بشيء، وخرجت وأنا أكاد أبصق في وجهيهما، واتجهت نحو الملجأ الذي استضافني يوما ما، والأولاد مستغربون وأنا لا أجيب على أسئلتهم بشيء، دخلت أعانق المديرة وأنا أودعها وأخبرتها أنني لم أعد بحاجة إلى البيت ويستطيعون استلامه وقتما يريدون، ثم قلت لها: إن إحدى صديقاتي تقيم فيه حاليا لايزال لديها يومان حتى ينتهي الشهر لتخلي المنزل، وطلبت من المديرة إبلاغها بأنني رحلت، وتركت المديرة دون أن أجيب على تساؤلاتها هي الأخرى.

وسافرت إلى مونتريال.. وفي اليوم التالي اتصلت بي عايدة عشرات المرات على هاتفي النقال ولم أرد عليها، وعندما اتصل سلطان رددت عليه: اسمع.. لن أعود إليك.. لقد انتهت اللعبة وأريدك أن تطلقني حالا..

وقال بوقاحة: والبيت؟

فقلت ضاحكة: البيت تركته للملجأ، وبقي لكم يوم واحد لإخلائه.. وإذا كنت تريد بيتا مثله أنصحك أن تطلق عايدة ومن ثم ترسلها مع أولادها إلى ذلك الملجأ الذي تعرفه علهم يوفرون لكم بيتا آخر..

وقال سلطان بعصبية ووعيد لم أعدهما فيه من قبل: لن أطلقك وستعودين حالا.. هل تفهمين؟

فقلت بغضب: لو كنت رجلا لكنت بقيت معك.. لكنك امرأة يا سلطان.. أجل أنت مجرد امرأة تقودك امرأة مثلك..

وأردفت وأنا أتوعده: إن لم تطلقني فسأقدم ورقة زواجنا إلى الشرطة لتثبت عليك تهمة تعدد الزوجات.. أقسم بالله أنني سأفعل.

وسكت سلطان.. وأقفلت الخط بوجهه.. ومر اليوم بهدوء لابد أنه كان يتشاور مع عايدة، عقله المدبر، وفي اليوم التالي اتصلت عايدة ولم أرد عليها.. لن أستمع لها بعد الآن..

ثم أرسلت رسالة هاتفية إلى هاتف سلطان: إن لم تطلقني حالا فسأذهب إلى الشرطة.. أقسم بالله أنني سأفعل حتى لو كان ذلك يضر بمصلحتي، وعليّ وعلى أعدائي.

وبعد ساعة وصلتني رسالة فرحي.. رسالة حريتي وسعادتي: أنتِ طالق..

فاتصلت به وأنا أهتف: أريد أن أسمعها منك..

فقالها لي: أنتِ طالق..

وأطلقت زغرودة كبيرة في الهاتف..

(7)
مونتريال مرة أخرى

كنت أشعر أنني ولدت من جديد.. أجل هكذا كنت أحس بعد طلاقي.. كانت تلك التجربة هي الأسوأ في حياتي كلها، وبدأت أستعيد نفسي من جديد، وأقسمت أن أختار رجلي القادم بنفسي، لا أريد رجلا يختارني هو أو تختارني زوجته كما حدث لي..

وقررت أن أشغل نفسي بشيء يفيدني، لم أعد أطيق وحدتي وبطالتي..

سمعت عن مدرسة إسلامية في المنطقة، كنت أعرف مكانها، فذهبت إلى هناك وقابلت المديرة، كانت من سوريا، سيدة طيبة جدا وفاضلة، تعاطفت معي وأبدت استعدادها لقبولي كمدرسة لرياض الأطفال ووافقت على قبول ابنتي غفران معي في نفس المدرسة، وفعلا بدأت العمل بعد يومين، أدرّس الأطفال بعض الحروف والأناشيد.. عمل جميل أحببته كثيرا واستخدمت كل ذكائي لأنجح فيه، أردت أن أشعر أنني امرأة منتجة وأستطيع فعل شيء مفيد، وأحببت الطلاب كما أحبوني.

كانت تلك الفترة جميلة جدا، فقد ولدت مريم وأنجبت

طفلة صغيرة جدا، أصغر من الطبيعي وأسمتها ياسمين، وبدأ زوجها عملا في أحد المحال.. كانت تجاهد لتجعله يتحمل مسؤولية ابنته، ووجدت هي أيضا عملا في المحل نفسه، بدت تلك الفترة أشبه بالهدنة في حياة الجميع، وتحدد موعد زفاف أخي أخيرا.. وذهبنا للتعرف على دارين حبيبته، كانت فاتنة لم أتصور أنها بهذا القدر من الجمال، بشرتها صافية نقية كالأطفال وشعرها ناعم يحيط بوجهها البيضاوي وأنفها دقيق بعينين لوزتين جميلتين وفرحت أمي بها كثيرا، وفي يوم الزفاف خرجنا جميعا إلى مطعم مشهور جميل وسهرنا حتى منتصف الليل احتفاء بالعروسين، وانتقل أخي ليعيش مع زوجته وأبيها، فهذا كان شرطها أن لا تترك أباها وحده، ولم يعترض أخي، بدا أنه متيم بها ومستعد لعمل أي شيء للزواج منها.

ومرت بضعة سنين أخرى.. أصبحت في الثلاثين من عمري، وابنتي حبيبة في الحادية عشرة وزيد في العاشرة وغفران أصبحت في الثامنة من عمرها.

ولم يتغير الكثير في حياتي.. لكن أختي مريم طلقت من زوجها بعد مشاكل كثيرة، إنه لا يصلح ليكون زوجاً ولا يستطيع تحمل مسؤولية أسرة، واحتفظت بابنتها ياسمين التي نشأت متأخرة عن أقرانها بعض الشيء، كانت بطيئة التعلم نوعا

ما، وتحتاج عناية خاصة.

أما أخي علي فقد أنجب ولدا أسماه جهاد، وكل مشاكله مع زوجته التي توفي والدها بعد عام من زواجهما بسبب غيرته الفظيعة عليها، إنه غيور جدا جدا.. لا يطاق!

وخلال تلك السنوات تزوج سيف بامرأة مصرية، ولدت في كندا وعرفت أنه يعيش معها في نفس شقتي القديمة التي سكنتها معه، وأولادي يرونه في المناسبات المتباعدة، ويحبون زوجة أبيهم، يقولون إنها مضحكة ودمها خفيف.. ولم أشعر بشيء حيالها، المهم أن يتقبلها الأولاد كي يتواصلوا مع أبيهم فذلك أمر مهم كي يكبروا بلا عُقد أو مشاكل نفسية قد تؤثر في سلوكهم.

وكنت قد حصلت على رخصة القيادة واشتريت سيارة مستعملة، ارتحت أخيرا من استخدام المواصلات.. بدت حياتي مرتبة وواضحة.. أكثر من أي وقت مضى.

ورغم ذلك كنت أتوق لوجود رجل في حياتي، أحتاج الحب والحنان، وأبكي كلما شاهدت فيلما عاطفيا أو سمعت أغنية حب تحرّك مشاعري.

وفي يوم التقيت به.. كنت أعاني من ألم في أسفل بطني.. مغص شديد لم تفلح المسكنات في تهدئته.. واتصلت بسيارة أجرة لأذهب للمستشفى، لم أستطع قيادة السيارة وحدي،

وجلست أنتظر دوري وسط المرضى.. وفجأة رأيته وسط ألمي، شاب طويل جدا.. صدره عريض، يرتدي اللباس الأبيض للأطباء، حنطي البشرة، وعيناه واسعتان، سوادهما داكن جدا، وتلمعان بذكائه، وشعره فاحم السواد أيضا كعينيه، والتقت عيناي به فابتسم ومضى في سبيله، وتعلقت عيناي به.. شيء ما شدني إليه، ترى ما هي جنسيته، وجاء دوري لأدخل.. فإذا بي أمام نفس الطبيب، وارتبكت.. ووقوفت كالبلهاء دون أن أجلس، فدعاني إلى الجلوس.. وجلست أمامه صامتة، وسألني: سيدة أحلام؟ وفوجئت.. لقد سألني باللغة العربية.. وقلت: أنت تتكلم العربية؟ بدا سؤالي مضحكا.. فقال: إنني عربي.. من السعودية..

وابتسمت رغم ألمي: أهلا بك.. ماذا تفعل في كندا..

فقال: إنني في بعثة دراسية، فأنا طبيب باطني وأرغب في التخصص هنا.. أخبريني مم تشكين؟

ورددت عليه بخجل: ألم حاد في بطني..

وقمت ليفحصني.. وحدقت في بطاقة هويته التي يلبسها.. وعرفت اسمه.. فريد.. وقلبي يخفق وأصابعه تدق على بطني.. وتضغط على معدتي.. وسألني بعض الأسئلة ثم قال: لا شيء مهم.. مجرد برد.. سأصف لكِ مسكنا وستصبحين بخير قريبا.

وكتب لي الوصفة.. خسارة لقد مر الوقت سريعا.. كم شدني هذا الشاب، وقمت لأخرج.. وتمنيت لو استوقفني لكنه لم يفعل.. وتركته ومضيت في سبيلي..

(8)

الحب الكبير

عندما يكتب للمرء نصيب مع شخص ما فإنه يجده أمامه بلا تخطيط.. مضى أسبوع على لقائي بفريد، وبدأت أنساه فعلا.. إلى أن كان يوما كنت أسهر فيه في منزل أهلي وفجأة ودون سابق إنذار شعرت بانقباضات حادة في بطني.. ألم فظيع بلا مقدمات، وأخذت أتلوى وأبكي وجزع الجميع وبدأ أولادي يبكون.. كان ذلك في نهاية الأسبوع وعادة تكون المستشفيات المناوبة مزدحمة جدا في وقت كهذا، واتصلت أمي بأخي ليأتي فلا رجل بالبيت.. ووالدي كبر وضعف حاله وكان مصاباً بالسكر منذ فترة طويلة وأصبح بالكاد يرى طريقه.. وجاء أخي مسرعا، وهو يقول سيحضر الدكتور حالا، فسألته مريم أي دكتور؟ فقال: طبيب عربي تعرفت عليه مؤخرا في النادي الرياضي الذي ارتاده.. وبعد نصف ساعة من وصول أخي رن جرس الباب..وخلال لحظات وجدت نفسي في مواجهة الدكتور فريد مرة أخرى.. ولم أصدق نفسي، بدا الأمر كالحلم، وعرفني بدوره وهتف: يبدو أن الأمر أكثر من مجرد برد وبدأ يفحصني، ثم أعطاني حقنة صغيرة، وبدأت الآلام تخف، وعندما تحسنت قال لي:

يبدو أنه القولون العصبي.. كيف حالك مؤخرا؟

فردت أمي: حالها صعب يا دكتور، لقد تعبت كثيرا.. ومسؤولياتها كبيرة وهي وحدها بلا رجل ولا معين سوى الله عز وجل.

وهز الدكتور رأسه، وحدد لي موعدا في الصباح التالي في عيادته، وترك لي رقم هاتفه في حال احتجت شيئا، وقال إنني بحاجة لتحاليل إضافية وسيكتب لي علاجا أيضا، وابتسمت في وجهه بضعف.. لقد ساقه القدر إلي، كان ذلك بمثابة هدية لم أحلم بها.وصمم أخي على بقائه معنا ليتعشى، بدا كأمير خارج من إحدى الأساطير، إنه رائع وراقي، لقد أعجبت به منذ رأيته... وجلست معهم وعيناي لا تفارقانه كأنني أريد أن أشبع منه ناظريّ.. أجل هذا ما أحسست به نحوه.

وفي اليوم التالي ذهبت إليه، وعملت الفحوص اللازمة، ثم عدت إليه بعد أيام لأستلم نتائج التحاليل،

وبدأت بيننا ألفة عجيبة، بدوت رقيقة معه، كفتاة مراهقة، كأنني عدت إلى الوراء، إن المشاعر لا عمر لها ولا حدود، وعلى كل حال لازلت شابة جميلة رغم كل ما مر بي، وبلهجته الخليجية المحببة طلب مني أن نلتقي في أحد المطاعم، قال لي ضاحكا: أظن القولون سيتحسن عندك إن أصبح لديك

صديقا تحكين له همومك..

لقد أحس فريد بإعجابي به فدعاني للعشاء وكنت أريد معرفة الكثير عنه، وجاءت دعوته في محلها.. والتقينا.. وتحدثنا.. حكيت له عن حياتي كلها، هجرتنا من الكويت ومن ثم زواجي بسيف وإنجابي للأولاد ثم هروبي منه وطلاقي ثم قصتي المشؤمة مع عايدة وسلطان وصدم وهو يسمع كل ما مر بي، لم يكن يصدق أنني تعرضت لكل ذلك العذاب في حياتي وتعاطف معي كثيرا...

وسألته أنا: ماذا عنك أنت؟

فقال مبتسما: ماذا عني أنا؟

فابتسمت: ألك قصة تريد أن تحكيها لي؟

فقال: لا شيء مهم. إن لي عائلة عريقة في السعودية، وأنا أصغر إخوتي.. إننا عائلة كبيرة من ستة شبان، كلنا ذكور، لا أخت لي، ووالدتي متعلقة بي جدا.. ولا شيء مهم لأحكيه لك...

ونظرت إليه طويلا.. إننا من عالمين مختلفين.. لقد عاش حياة مريحة، وولد وفي فمه ملعقة من ذهب، وعرفت يومها أنه يصغرني بثلاثة أعوام، وعندما قمنا لنخرج من المطعم مد فريد يده واحتضن يدي.. وتركت يدي له، أحسست أنني أريد إمساكها العمر كلها، لقد أردته بقربي كما لم أرد أحدا

من قبل.. وبدأت قصتي معه، كنت أحادثه كل مساء وأوقظه كل صباح.بدأت أعيش يومي بانتظار أن أحادثه، واعتدنا اللقاء كلما سنحت لنا الفرصة في المطاعم لنتناول العشاء ونتحدث.. لقد أحببته بصدق.. بجنون، حب امرأة ناضجة في الثلاثين من عمرها، امرأة تعرف ما تريد.

وسألته صراحة: ما نهاية هذا الحب؟

فقال بجدية: سنتزوج يا أحلام...

وكدت أطير من الفرحة.. لكن فرحتي لم تدم فقد عاد يقول: لن توافق عائلتي على هذا الزواج.. تعلمين عاداتنا وتقاليدنا.. وسيثورون أكثر إن عرفوا أنك مطلقة ولديك ثلاثة أولاد..

وقطبت جبيني، شعرت أنه يعايرني فقال بسرعة: أحلام افهميني أرجوك، يجب أن نتعامل مع الأمر بواقعية، أنا لا ألومك على شيء، ولا أشك بأنك ضحية، لكن الصراحة أفضل لي ولك... نستطيع الزواج بالسر...

وهتفت: بالسر؟ وأهلي أنا؟

فقال: إن كانوا سيوافقون فلا مانع لدي أن يعرفوا، لكن إن رفض أهلك زواجنا فسيكون الأمر صعبا وقد يبدأون بمراقبتك والأمر متروك لكِ، لكن أهلي لن يوافقوا.. وأنا في هذه الفترة لا أريد المشاكل معهم وعلى العموم أمامي

أربع سنوات لأنهي تخصصي ودراستي، وقتها من يدري ما سيحدث.. قد يتغير الوضع وقد اضطر لوضعهم أمام الأمر الواقع يوماً ما، فكري جيدا..ولا تضيعي حبنا في التردد.

وسكت أفكر.. وعدت إلى البيت ليلتها وأنا أفكر. إنه على حق لن يرضى أهله بي أبدا..ولهم الحق.. أستطيع أن أعذرهم، لكنني أريد فريد، أريد أن أحظى بقربه، أريد أن أتزوجه، أحتاجه معي، فأنا أحبه وأعشقه وما المانع لو تزوجني دون علم أهله، وما دخلي أساسا بأهله، إنهم لا يهمونني بشيء، المهم أن أتزوج الرجل الذي ملك قلبي وأيقظ مشاعري بعد كل الحرمان الذي قاسيته، وعدت أفكر بأهلي أنا.. هل أخبرهم؟ وخفت أن يقفوا بطريقي، وبالذات أخي علي، تذكرت ضربه المبرح لي عندما عرف برغبتي بالزواج بالشيخ حسان، وخفت أن يتكرر ما حدث معه فأخسر أهلي واستقراري الأسري من وراء ذلك، واتخذت قراري.. سأتزوج فريد دون علم أحد، إنها حياتي وأنا حرة فيها، وقراري هذه المرة يخصني وحدي، حتى أولادي لن أخبرهم بزواجي ولم أنتظر.. كانت الساعة الخامسة صباحا عندما اتصلت بفريد.. وأجاب بسرعة وكأنه كان يتوقع اتصالي وينتظره: آلو؟

فقلت: أنا موافقة على الزواج.. ولن أخبر أهلي.. لن

يعرف أحد..

وفعلا اتفقت معه على الزواج في يوم محدد، استيقظت يومها باكرا وأخذت غفران إلى المدرسة التي كنت لازلت أدرس بها، وطلبت يومين إجازة من الناظرة، ثم خرجت واتجهت إلى مسجد بعيد وكان الشيخ الذي عقد قراننا من باكستان وبحضور شاهدين يعرفهما فريد تم الزواج ولم نوثقه رسميا طبعا كي لا أخسر راتبي الحكومي وكي لا يعرف بزواجنا أحد، وذهبت إلى شقة فريد للمرة الأولى.. كانت رائعة مرتبة نظيفة وأثاثها حديث وباهظ الثمن تبدو حقاً سكناً ملائماً لدكتور، وقد ملأها فريد بالأزهار احتفاء بي... وقضيت أجمل لحظات حياتي معه.. أجل لقد عرفت السعادة لأول مرة في حياتي.. سعادة حقيقية أستطيع لمسها كلما لمست فريد، أستطيع احتضانها والإحساس بها كلما ضمني إلى صدره كنت امرأة تعوض حرمانها من كل إحساس بالحب، وعدت إليه في الصباح التالي وأنا لا أصدق نفسي، لقد أحببت فريد بكل مشاعري، أحببته بصدق.. بعنف.. ربما أكون أحببته أكثر مما فعل هو، لكنني كنت سعيدة هانئة معه، وتغيرت حياتي.. أصبحت أنتهز أي فرصة تتيح لي لقاء زوجي، أصبحت حياتي أشبه بمغامرة ممتعة، ومع الوقت فكرت بترك وظيفتي في المدرسة لأتفرغ له، وانتهزت

الفرصة بحدوث مشكلة بيني وبين تلميذ مدلل جدا، كنت قد نهرته لسوء تصرفاته، فحضر والده وتطاول عليّ بالكلام، فوقفت الناظرة في صف التلميذ ووالده ضدي، رغم أنني كنت على حق، فأبلغتها بأنني سأترك العمل، واتجهت نحو مكتبي لأوضب أغراضي، ورغم أن الناظرة لحقت بي بعدها وحاولت تهدئتي، إلا أنني أصريت على ترك العمل، كانت تلك الحادثة فرصة لي لأترك العمل، على الأقل أستطيع قضاء وقتي مع فريد في الصباح عندما لا يكون في المستشفى حسب ساعات عمله..

وبقيت غفران تدرس في نفس المدرسة، حاولت إقناعها بالانتقال إلى مدرسة أخويها لكنها رفضت، لا تريد ترك صديقاتها فتركتها كما تشاء.

وبدأت ألتقي فريد أكثر وأكثر.. وأنا لا أكتفي منه، أريده معي طوال اليوم، أريده أن ينام بجواري طوال الليل، أريد أن أخرج معه وأن أتحدث معه طوال الوقت، لكنه كان يهدئني ويدللني ويعوضني بالكثر من الحنان الذي كنت أفتقده وأبحث عنه طوال عمري.

ومرّ عام كامل على زواجي.. كنت أملك مفتاحا لشقة فريد وعندما يكون دوامه في الفترة الصباحية كنت أذهب إلى بيته لأرتبه، وأحيانا كنت أطبخ له، وكانت مهارتي في الطبخ

تبهره، وخلال ذلك العام اعتدت على وجود فريد في حياتي، أصبح بالنسبة لي بمثابة الهواء الذي أتنفسه... ولم يعرف أي أحد من عائلتي أنني متزوجة، كنت أخاف على سعادتي من الناس.. من كل الناس.. حتى أهلي وأقرب الناس إلي.. بل لم يعد أي أحد منهم أقرب إلي من فريد نفسه..

وفي ذلك العام أنجبت زوجة أخي علي مولودا ثانيا رغم مشاكلهما التي لا تنتهي.. لقد بدأ يلح على زوجته أن ترتدي الحجاب، وكانت ترفض وتقول إن نظرة الأجانب إلى المسلمين ستزعجها وستؤثر على عملها، لقد أصبحت مسؤولة قسم التجميل في المحل الكبير الذي تعمل به، وعلي ينغص حياتها بغيرته التي لا تحتمل، كنت أحب دارين وأتعاطف معها، بدت كقطة متوحشة وهي تدافع عن نفسها وعن حريتها وكيانها اللذين يحاول أخي إلغاءهما باستبداده...

وفي ذلك العام أيضا عادت أختي مريم إلى زوجها هاني.. كان قد استقر في عمله بأحد المطاعم، كمدير للمطعم، واستأجر شقةصغيرة.. لكن أختي تغيرت.. لا أعلم ما الذي ألم بها، أصبحت فجأة عصبية جدا، وبلا مبرر، ربما لأنها تعمل ساعات طويلة وربما لأن ابنتها المسكينة التي تحتاج رعاية خاصة ترهقها.. وفي يوم فقدت مريم أعصابها إثر مشاجرة حادة مع زوجها فضربت ابنتها بقسوة، فتفاقمت

المسألة.. وطلقها هاني في نفس الليلة، فأخذت الصغيرة معها وعادت عند أمي، لكن الطامة الكبرى حدثت في اليوم التالي عندما لاحظت معلمة ياسمين آثار كدمات على ذراعيها.. فضرب الأطفال جريمة في كندا، وقامت ناظرة المدرسة بإبلاغ الشرطة.. الذين أخذوا البنت من مريم، وسلموها إلى والدها، ومنعوا مريم من رؤيتها إلا بعد أن تأخذ دروسا في (رعاية الأطفال والتحكم بالنفس).. وانهارت أختي.. أحست أنها مجرمة رغم أنها اعتادت الاهتمام ببيتها وزوجها.. لكن المسألة خرجت عن السيطرة وبدت وكأنها أم لا مسؤولة، وفعلا انتظمت مريم في حضور تلك الدورات.. كانت تحضرها يومين في الأسبوع من الثامنة مساء حتى العاشرة وتعود منهكة من التعب والبرد، فقد كان الوقت شتاء والثلوج تملأ الطرقات.. بدت مريم مريضة ومنهكة وحزينة.. وكانت والدتي خائفة جدا عليها.. وكانت تلك الدورة تستغرق ثلاثة أشهر ولن ترى ابنتها حتى تنتهي وتسمح لها الشرطة بذلك.

عندما أتذكر هذه الحادثة الآن أشعر بأنني قصرت في حق أختي، لم أدعمها وأساندها بشكل كافٍ، فقد كنت مشغولة بحياتي مع فريد، حياة سعيدة لكنني مع الوقت اكتشفت أن سعادتي ناقصة... فأنا متزوجة نعم لكنه زواج بالسر، لدي

زوج نعم لكنني محرومة من الظهور معه أمام الناس، لدي بيت لي وهو له بيت آخر يعيش فيه.. إنه زواج بلا استقرار أو مسؤوليات، صحيح أن فريد كان يعطيني الكثير من المال، إنه يعطيني دون أن أطلب منه، فهو غني مقتدر، ويصر على الإنفاق عليّ، أمر واحد كان يزعجني هو سرية علاقتنا... ولم يكن يبدو على فريد أنه يتمنى إشهار زواجنا، بدا مرتاحا جدا لحياتنا في السر، لم يكن متلهفا لارتباط أقوى ولم يبدو عليه أنه ينوي إخبار عائلته عن ارتباطه بي..

وفكرت وقتها بفكرة غبية.. فكرت أن أحمل.. لِمَ لا.. سيربط الطفل بيني وبين فريد، وفاتحته بالفكرة، وثارت ثائرته ومنعني من فتح هذا الموضوع ثانية، قال إنه غير مستعد بعد ليصبح أبا، ويريد الانتهاء من دراسته ومن ثم التفكير في الإنجاب، وبكيت وأنا أقول له: إنني أخاف أن أكون مجرد امرأة تقضي معها وقتك، مجرد نزوة عابرة في حياتك؟

وضمني إليه وهو يقسم لي أنه يحبني.. ولن يتخلى عني.. وهمس في أذني وهو يقبل خصلات شعري: أحلام لا تدعي هذه الوساوس تفسد حياتنا، أنت زوجتي.. لا تشكي أبدا بنيتي تجاهك...

فقلت له وأنا أحاول التملص منه: لكن لا يوجد أحد يعرف

بزواجنا..

فقال: سيأتي يوم نخبر به الجميع.. اصبري حتى يحين الوقت، أرجوك، لا تضيعي حبنا بسبب أوهام لا وجود لها.

واستسلمت له، إنني لا أريد أن أخسره..المهم أن نبقى معا ويجب أن أحاول أن أثق به.. والأيام تمر وأنهت أختي مريم الدورات المطلوبة بنجاح، لم تكن قد رأت ابنتها لأربعة أشهر كاملة، وكلما اتصلت بـ هاني طليقها لم يكن يرد عليها، وذهبت لمركز الشرطة لتطلب استدعاءه لتحديد موعد ترى فيه ابنتها، لكنها اكتشفت أن هاني سافر بابنتها إلى بلغاريا.. لقد ترك كندا.. وعاد إلى بلغاريا.. وحُرمت المسكينة من ابنتها بسبب لحظة غضب لم تقدر عواقبها.. وانهارت مريم.. بدت وكأن حياتها انتهت، لم تعد تستطيع القيام من سريرها، كانت تحب ابنتها وتشعر بالقهر لأنها لم ترها كل تلك المدة.. بدت مشكلتها بلا حل، واقترح أخي علي أن يلحقا بـ هاني إلى بلغاريا، لكن كيف سيجدان هاني.. إنها بلد كبير ومن الصعب البحث عنه، كنا ننصحها بالصبر إلى أن يتصل بها هاني..لابد أنه سيتصل بها يوما ما، لن يستطيع حرمانها من طفلتها هكذا وإلى الأبد... والمسكينة تبكي بلا توقف..

ونبهتني مشكلة مريم إلى فكرة لم تخطر لي، ماذا لو أنجبت يوما من فريد ثم تركني وهرب بطفله إلى السعودية،

وأرعبتني الفكرة، الحمد لله أنه لا يريد الإنجاب.. كنت أحب فريد كثيرا لكنني لم أكن مطمئنةعلى مستقبلي معه، فعلاقتنا رائعة وجميلة لكنها أشبه بعلاقة عشيقين لا زوجين، لقاءات سرية وحب سري وحياة متخفية، وبدأت نفسيتي تتأثر.. وبالصدفة قرأت إعلانا عن دورة بعنوان (كيف تقوي ثقتك بنفسك) أحسست أنني بحاجة لموضوع كهذا وقد تفيدني الدورة في علاقتي مع فريد، كانت دورة رائعة قدمتها لنا أستاذة مميزة أعجبت بها جدا..

وفي أحد الأيام جلست معها وحدنا في وقت الاستراحة وحكيت لها عن فريد وزواجي منه بالسر، فطلبت مني أن ترى صورته، وكنت أحتفظ بصورة له أخفيها بعناية في محفظتي وأخرجت الصورة وقدمتها لها، وتأملتها طويلا.. قالت إنها ماهرة في قراءة الوجوه وتستطيع معرفة شخصية الإنسان من وجهه، ومدت يدها إلي لتعيد الصورة وقالت لي بلهجة جادة: أحلام هذا الرجل غير مريح، إنه إنسان غير مستقيم، كاذب وأناني.. خذي حذرك منه وعليك تحديد وضعك في حياته قبل أن تتعقد الأمور بينكما...

وخفت.. شعرت أنني وسط دوامة كبيرة من التناقضات.. ويومها ذهبت إلى فريد في بيته وأنا منزعجة وسألني: ما بك؟

فقلت: متعبة.. وسكت.. لم أكن أطيق مناقشته في تلك الليلة، كنت أضعف من أن أفعل.. وعندما عدت تلك الليلة قضيت ساعات وأنا أبكي وأتضرع إلى الله عز وجل أن يسدد خطاي وأن يحميني ويحفظ لي أولادي.. وانشرح صدري بالدعاء وشعرت أنني لست وحدي، إن الله هو سندي.. سند كل غريب ومؤنس كل وحيد سبحانه...

وخلال ستة أشهر اتصل هاني طليق أختي بها، وأخبرها أن ابنتها بخير وإن كانت تريد رؤيتها عليها أن توافق على العودة إليه وأن تترك كندا وتلحق به إلى بلغاريا..ووافقت مريم، كانت مستعدة لعمل أي شيء كي تضم صغيرتها إليها، وبالفعل حجزت تذكرة السفر وأخذت تستعد للسفر، وفي ليلة سفرها بكت أمي كثيرا لدرجة أنني خفت عليها، وضممت أختي إلى صدري، من يعلم متى سنلتقي ثانية، وبكيت أنا الأخرى، وفي الصباح التالي سافرت مريم إلى بلغاريا، وفي نفس اليوم حدثت مصيبة كبرى لعائلتي، لقد فقد والدي بصره كليا...

كانت أياما قاسية ومؤلمة، لاتزال عيناي تدمعان وأنا أذكرها، وحاول فريد مساعدتي بأن أوصى علينا طبيبا يعرفه، لكن لا فائدة لقد فقد والدي بصره وانتهى الأمر، وخلال ستة أشهر أخرى حصل أخي علي على عقد عمل في الكويت، ورفضت

زوجته دارين الانتقال إلى الكويت معه، حدثت مشاكل كبيرة بينهما وضربها علي.. وغضبت منه وتركت البيت، وتركت ولديها عند أمي، إن أمي مشغولة بالاعتناء بأبي الضرير، وليس لديها القدرة على الاعتناء بطفلين، وأنا تكفيني مسؤولية أولادي الثلاثة التي أتحملها بلا رجل بجانبي.. ورجوت أخي أن يبحث عن حل مناسب قبل سفره، يجب أن يتصالح مع زوجته أو على الأقل عليها الاعتناء بأبنائها.. لا أعرف ما نوع هؤلاء الأمهات.. يستخدمن الأبناء كوسيلة للضغط على الأزواج!

وأخيرا تنازلت دارين عن موقفها وأخذت ولديها عندها، وسافر علي إلى الكويت وهو يرجوها بأن تراجع موقفها وأن تلحق به بعد أن يستقر، بدت عنيدة جدا وقاسية ولأول مرة أشعر بالجفاء نحوها رغم أنني كنت أحبها جدا في السابق..

ومر عام آخر.. ومضى على زواجي السري ثلاث سنوات كاملة لم يتغير خلالها أي شي في علاقتي بفريد.. لازلنا كما نحن، وبدأت علاقتنا تتغير بعض الشيء.. كنا كأي زوجين نتشاجر ونتصالح، وكل مشاكلنا بسبب موضوع إشهار زواجنا، كنت أجن وأنا أراه غير مكترث لهذه النقطة وخلال تلك السنوات الثلاث سافر فريد مرتين في الصيف إلى أهله

في السعودية، كان يقضي شهرا كاملا هناك، وكنت أشتاق إليه بجنون وفي كل مرة كنت آمل أن يخبرهم عني، لكنه لم يفعل ذلك أبدا...

واستقرت أختي مريم في بلغاريا مع زوجها وأنجبت طفلة ثانية، كانت طفلتها الجديدة معافاة تماما هذه المرة، بدا صوتها مرتاحا عندما كنت أحادثها، ربما كان ما حدث لها في الماضي في صالحها رغم كل ما عانته...

أما أخي علي فقد استقر في الكويت ومر عام كامل على سفره، وخلال هذا العام لم ير زوجته أو طفليه، كان قد أصبح مديرا لأحد المجمعات الشهيرة في الكويت، وزوجته لاتزال ترفض الهجرة إليه، ولم تكن دارين تزورنا كثيرا، كانت والدتي تتوسل إليها بأن تحضر الأولاد لها، لقد اكتشفنا أنها عنيدة جدا وصعبة المراس وبلا مشاعر ربما!

وفي ذلك العام أيضا طلّق سيف طليقي ووالد أبنائي زوجته المصرية، أظنها لم تحتمل طباعه وبخله، إنني لا ألومها فهو رجل لا يطاق، وبعد طلاقه بدأ سيف يتودد لأولادي، واستغربت تصرفه لكنني فرحت به، إن حبيبة وزيد على أعتاب المراهقة وهي مرحلة خطرة وربما يكون وجود والدهما في حياتهما ضروريا ليتجاوزا تلك المرحلة العمرية الحرجة بسلام، خاصة أننا في بلد متفتح، كنت أواجه مشاكل عديدة

معهما، فهما ولدا وعاشا في كندا وكنت أناضل لأجعلهما يتمسكان بالعادات والتقاليد العربية، ولطالما أصريت أن تكون لغتنا في البيت هي العربية، لا أحب أن يتحدث أولادي كالأجانب.. وبالمقابل كنت أشدد على أن يلتزموا بالصلاة... يجب أن يتصرفوا كمسلمين وأن يحفظوا حدود الدين وإلا ضاعت حياتهم وفسدت...

وفي يوم أخبرني زيد بحماس أن والدهم دعاهم إلى العشاء في أحد المطاعم المشهورة وأنه دعاني معهم! وصدمت! ما الداعي لهذه الدعوة، فالود بيني وبين سيف مقطوع تماما، إنني أكرهه والعلاقة بيننا يحكمها الجفاف...

ورفضت الدعوة وأبلغت زيد أن يشكره ويخبره أنني مشغولة واتصل بي سيف بنفسه، لم أتعرف على صوته، كنت دائما لا أستطيع التعرف على صوته في المرات القليلة التي اتصل بها عليّ بعد طلاقنا، كأن عقلي الباطن يرفض أساسا سماع هذا الصوت الكريه، وسلم عليّ وهو يقول: لقد دعوتك إلى العشاء ليشعر الأولاد بالأمان وبأننا أسرة واحدة تقضي أوقاتا مع بعضها، حتى وإن كنا منفصلين، لقد شكا الأولاد لي تفكك أسرتنا وأثر ذلك فيّ كثيرا..

وكدت أطلق ضحكة صاخبة.. فسيف أبعد ما يكون عن الإنسانية والمشاعر المرهفة، كما أنه لا يهتم كثيرا بأولاده، إنه

لم ينفق عليهم فلسا واحدا منذ أن طلقني، حتى إنه لا يعرف أعياد ميلادهم أو مناسباتهم الخاصة...

وقلت بصراحة: سيف أنت تعرف أننا نكره بعضنا، فلمَ هذا التمثيل أمام الأولاد وما الجدوى من وراء ذلك، إن كنت تصر على دعوتي فلابد أن وراء ذلك قصدا ما، وأتمنى لو اختصرت الطريق وأخبرتني ما الذي تريده مني بالضبط؟

وصدم سيف بصراحتي لكنه قال وقد تمالك نفسه: أنا لا أكرهك يا أحلام، بالعكس كنتِ زوجتي في يوم ما وكنا سعداء ومازلتِ أم أولادي و....

وقاطعته: لم نكن سعداء أبدا... لقد آذيتني كثيرا وكنت بخيلا معي وفوق ذلك كله كنت تضربني و...

ثم تنبهت إلى أنني أخوض في ماضٍ لا داعي لنبشه...

فقلت: اسمع يا سيف، أظن أن حديثنا لا معنى له، لقد انتهى ما بيننا منذ زمن، وأنا أرفض دعوتك، وأرجو أن لا تقحم نفسك في حياتي من جديد...

وأنهيت المكالمة وأنا غير مرتاحة، لقد أزعجتني تلك المكالمة من الصميم وبقيت مقبوضة الصدر ليلتها وكأن حجرا ثقيلا يجثم على صدري...

وبعد يومين ذهبت لزيارة أمي التي هللت وهي تراني داخلة، وقالت: الحمد لله إنك أتيتِ، لديّ أخبار سعيدة لكِ...

فقلت وأنا أبتسم لوجهها الطيب: خيرا يا أمي؟ هل سيعود علي؟

فقالت بحنان: بل ستعودين أنتِ يا ابنتي إلى والد أبنائك، كان سيف عندنا هذا الصباح، إنه نادم لأنه تخلى عنك، ووعدنا أن يتغير، وأخذ يرجونا أنا وأباك بإقناعك بالعودة إليه...

وانتفضت كأن عقربا ساما لدغني... وقلت بانفعال: ما هذا الجنون؟ لن أعود إليه ولو كان آخر رجل في الدنيا...

وحاولت والدتي إقناعي، قالت كلاما كثيرا لم يغير موقفي، كلاما عن أولادي الذين كبروا وأصبحوا في سن صعبة وأشياء أخرى لم أشعر حيالها سوى بالغضب...

وأكثر ما آلمني هو والدي الكفيف وهو يحاول تهدئتي وإقناعي بالعودة إلى سيف... كنت أتحطم وأنا أراه... ولم أستطع الرد عليه حتى...

وعدت إلى بيتي يومها وأنا متضايقة... وأشتم سيف في داخلي بكل ما أعرفه من شتائم...

وعندما عاد أولادي من المدرسة فوجئت بهم يعقدون اجتماعا وحدهم، ثم أتوا إليّ يرجونني أن أعود إلى أبيهم! يا له من شخص جريء، كيف يفاتح الأولاد بموضوع كهذا ويحرضهم عليّ وثارت ثائرتي وقلت بحزم: أنا لن أعود

لوالدكم ولو كان آخر رجل في الدنيا...

ورد عليّ زيد بتحدٍ: لماذا؟ أليس بابا أفضل لكِ من العم سلطان الذي تزوجته وتركنا نعيش في الملاجئ.

وجرحتني كلمة ولدي فقلت بحزم: كانت تلك الزيجة غلطة كبيرة ولن تتكرر ووالدك لا يصلح لي، لم نكن نحب بعضنا وبيننا مشاكل كبيرة ولا يمكن أن أعود إليه.

وقالت حبيبة بجرأة: إن والدي تغير.. وهو يريد أن نبدأ صفحة جديدة ومن حقنا عليكِ أن تعطيه فرصة، نريد أن نعيش بينكما.

فقلت: إنه لن يتغير، حتى زوجته الثانية فرت منه.

فقالت حبيبة بسرعة وكأنها كانت تنتظر هذا التعليق مني: إنها لم تفر منه... هو طلقها لأنها لا تنجب...

فرددت بسخرية: ومن قال لكِ إنه يحب الأولاد؟

وردت حبيبة كأنها تتحداني: إن بابا يحبنا ويريدنا معه، لا تقفي في طريقنا يا ماما وعودي إليه...

واستشطت غضبا: هل تهددينني يا حبيبة؟... أهذا ما علمك إياه أبوك أن تتطاولي على أمك التي شقيت لأجلك؟

ولأول مرة تدخلت غفران في الحديث: ماما... فكري قليلا... كل أصدقائنا لديهم أب وأم... نريد أن نكون مثلهم...

والمناقشة لا تنتهي... وانهمرت دموعي... شعرت بالظلم والقهر، لقد حرض أولادي عليّ، وارتديت معطفي على عجل وتركت البيت وخرجت...

وذهبت إلى فريد... كنت لم أره طوال الأسبوع، كان مشغولا جدا في المستشفى، ووصلت إلى شقته، وضغطت على جرس الباب، نسيت مفتاحي في حقيبتي الأخرى، وفتح لي بملابس النوم، بدا مدهوشا وهو يراني أمامه، ودموعي على خدي، قال بصوت أجش: ماذا حدث؟

ورميت بنفسي على صدره وأنا أجهش بالبكاء، وضمني إليه بهدوء وهو يسحبني إلى الداخل، ساعدني لأخلع معطفي، كنت أرتدي بنطالا رياضيا اعتدت ارتداءه في البيت وبلوزة قطنية سوداء... وجلس بجواري يصغي إليّ، وحكيت له كل ما حدث وأنا أرتجف من الغضب...

وأخيرا قلت من بين دموعي: يريد العودة إليّ وأنا أصلا متزوجة... لو كان زواجنا معروفا لما تجرأ عليّ...

وقطب فريد جبينه... شعر أن غضبي سيتجه نحوه في نهاية الأمر، ولم يعلق على ما قلت... فانفجرت بالبكاء، وبهدوء اقترب مني وهو يربت على رأسي... إنني ضعيفة أمامه، كنت أحبه بكل أنوثتي... كان الرجل الوحيد الذي شعرت برجولته بقربي... ووضعت رأسي على صدره لعلي

أشعر بالهدوء والأمان اللذين افتقدتهما طوال حياتي...

وقضيت معه ساعتين وفي الساعة التاسعة قمت لأذهب فقام ليرتدي ثيابه وهو يقول: سأوصلك...

ودُهشت... كانت المرة الأولى التي يخرج فيها معي أمام الناس، وامتلأ قلبي بأمل كاذب، لقد لعب فريد على أوتار مشاعري كما يشاء، كنت لعبة طيعة بين يديه، فتارة يتركني لليأس والخوف وتارة يشعرني بالأمل والحب، وخرجنا معا وعندما اقتربنا من عمارة سكني انحنى وقبلني في الشارع أمام الناس جميعا، وفرحت، شعرت وكأن زواجنا قد أخذ وضعه، وهمس في أذني... باقي على تخرجي عام واحد... اصمدي يا أحلام... غدا أعوضك عن كل ما قاسيته بعيدا عني...

كانت كلماته تلك أجمل ما سمعته منه، إن ذلك الوعد هو ما أردته دائما، يكفيني أن أطمئن أنه يحبني كما أحبه... أردته أن يؤكد لي أنني لست مجرد نزوة في حياته...

وعدت إلى البيت بمعنويات عالية، كان الأولاد يدرسون في غرفهم... وحضّرت لهم عشاء جميلا... باستا بالمشروم وشوربة الذرة التي يحبونها وقطعت لهم شرائح منوعة من الفاكهة الطازجة، وجلسنا جميعا على المائدة، وأنا أدعي المرح لأهرب من موضوع أبيهم وعودتي إليه.

وبعد يومين حاول الأولاد محادثتي بالأمر ثانية فرددت عليهم بحزم غير قابل للنقاش: لقد أبلغتكم بقراري... لا لن أعود لوالدكم... الموضوع انتهى...

ونكس أولادي رؤوسهم... حتى لو لم يكن فريد في حياتي ما كنت لأعود إلى سيف... إنني أكرهه من كل قلبي... إنه سبب تعاستي كلها من الأساس...

في تلك الفترة كان فريد مشغولا جدا عني... والأولاد يقضون معظم يومهم في المدرسة، وبدأ الملل يزحف إلى حياتي، وفكرت بعمل شيء مختلف... خطرت لي فكرة كانت دائما تراودني... أن أصبح «شيفا» أجل أردت ذلك طوال عمري... إنني أعشق الطبخ وبالذات صنع الحلويات، وطوال عمري كنت أتمنى أن أتعلم أصوله، وبدأت أبحث في الإنترنت عن دورات لتعليم الطبخ... وبحثت أيضا في الجرائد والمجلات... إلى أن وجدت مجلة تعلن عن دورة بعنوان «شيف الفنادق»... إنها تشير إلى أن المتخرجين منها يستطيعون العمل في الفنادق الكبرى نظرا لما تحتويه من وصفات ومعلومات.. بدا الأمر كالحلم بالنسبة إلي، اتصلت على رقم الهاتف في الإعلان، إن الدورة مكلفة جدا، والدراسة في منطقة بعيدة عني، تبعد حوالي ساعة ونصف الساعة بالقطار، كما تشترط الدورة اجتياز بعض الاختبارات ليتم

قبولي، ومدة الدراسة سنة كاملة، بدا الأمر تعجيزيا نوعا ما، لكنني قررت المحاولة رغم كل شيء...

وفي تلك الليلة ذهبت إلى فريد لأفاتحه برغبتي الغريبة... سأحتاج إلى مساعدته، ولمَ لا أطلب مساعدته، إنه زوجي ويفترض أن يكون مسؤولا عن احتياجاتي... وبدا فريد بمزاج جيد ليلتها، وجلسنا نتناول البيتزا ونحن نضحك، وتأملته وهو يأكل ويتابع التلفاز، إنه جميل... رائع، إنني أحبه، رغم كل أنانيته...

وأخير قلت له: فريد... أريد منك أن تساعدني...

فانتبه إلي وقال: لك كل ما تريدين... تدللي يا أحلام... ماذا تريدين؟

فقلت بخجل: أريدك أن تساعدني لألتحق بدورة طبخ متخصصة...

واتسعت عيناه دهشة... كأنه ينظر إلى امرأة غريبة وربما مجنونة، وأخذت أشرح له دوافعي... إنه حلمي... سيكون شيئا جميلا أن أصبح «شيفا»، وفريد يبتسم ويهز رأسه بعجب... وأخيرا قلت له ضاحكة: على الأقل أصبح مثلك... وكلانا يرتدي الرداء الأبيض أنت كطبيب وأنا كطباخة...

وانفجر فريد ضاحكا وقال: حسنا أنا موافق على شرط...

فقلت بسرعة: موافقة على كل شروطك مقدما...

فقال: تطبخي لي كل ما تتعلمينه... يبدو أنني سأستغني عن المطاعم قريبا.

وضحكت وأنا أتعلق بعنقه وأقبل كل قطعة في وجهه الحبيب: موافقة...

وفي اليوم التالي اصطحبني فريد بنفسه في القطار إلى مكان تقديم طلبات الالتحاق بالدورة... كنت سعيدة جدا... ولم أخبر أحدا بنيتي... حتى أولادي... أردت أن أضمن القبول أولا ثم أخبرهم، ووصلنا إلى هناك ودفع لي فريد رسوم الامتحان... كان الامتحان بعد ثلاثة أيام، لم أكن أعرف بماذا سأمتحن... ورفضت السكرتيرة إخباري، وبعد ثلاثة أيام أخذني فريد أيضا بنفسه لأجري الامتحان، وتفاجأت كان امتحانا في الرياضيات... لم أكن أذكر شيئا عن الرياضيات بتاتا... كان ذلك الامتحان يعتمد على الإجابات الاختيارية والنسبة المطلوبة لاجتيازه هي 65 %... وتوكلت على الله وبدأت أخمن الإجابات... لست أكذب إن قلت إنني خمنت جميع الإجابات بلا استثناء... وعندما انتهيت أخبرتني السكرتيرة أن التصحيح يتم حالا عن طريق الكمبيوتر، وانتظرت النتيجة على نار... ونجحت... حصلت على درجة 67 %... كنت محظوظة فعلا... وتأبطت ذراع

فريد وخرجنا نتناول الغداء في مطعم قريب... لأول مرة نتناول طعامنا في مطعم أمام الناس، بدا وكأن الحظ ابتسم لي بعد عبوس طويل... وأخبرتني السكرتيرة قبل أن أغادر أن عليّ اجتياز اختبار آخر لم أعرف موضوعه أيضا، بعد أسبوع وفعلا ذهبت أيضا في الموعد المحدد... لكن الجو كان عاصفا جدا يومها وقد تراكمت الثلوج في كل مكان، ولسوء حظي لم يكن الموعد مناسبا لفريد حتى يرافقني فذهبت وحدي، وبعد عناء وصلت إلى المكان المحدد فإذا السكرتيرة تخبرني أنني جئت في موعد خاطئ وأن موعد اختباري هو في الغد، وكدت أجن... وأخذت أتوسل إليها أن تسمح لي بأداء الامتحان اليوم، وهزت رأسها رافضة ذلك، فأخذت أبكي، أجل بكيت من القهر... أخبرتها أنني أعيش بعيدا وقد تكبدت مشقة كبيرة للوصول، كان هناك خمسة عشر متقدما ومتقدمة ينتظرون دروهم، وبهدوء هزت السكرتيرة رأسها وقد تعاطفت معي: حسنا سأسمح لكِ بتأدية الامتحان على مسؤوليتي... فصفق لها المتقدمون، بدا الوضع مريحا أخيرا وقد أخذ الجميع يشجعني فهدأت نفسي قليلا... وفعلا أديت الامتحان... كان الامتحان هذه المرة في الرسم... يريدون قياس مدى مهارتنا في الرسم والديكور، فإعداد الحلويات وتنسيق المائدة والأطباق يحتاج فنا وإبداعا بلا

شك، ونجحت في هذا الامتحان أيضا وبقي فقط أن يتم قبولي فأبدأ الدراسة...

وبعد أسبوعين اتصلت بي السكرتيرة لتخبرني أن ترتيبي بين الناجحين هو السادس عشر في حين تستوعب الدورة خمسة عشر طالبا فقط وعليه لن أستطيع الالتحاق بالدورة، وانهارت أحلامي، وبكيت يومها كما لم أبكِ على شيء في حياتي، لقد تعلقت بهذه الدورة وأردتها بكل مشاعري، ودعوت اللّٰه تعالى أن يساعدني واستجاب اللّٰه لي فعلا، فبعد أسبوع اتصلت السكرتيرة لتخبرني أن إحدى الطالبات قد انسحبت وسأكون أنا مكانها، كانت الدراسة ستبدأ بعد يومين وأعطتني اسم المحل الذي أشتري منه الملابس المطلوبة، تبدأ الدراسة يوميا في الثامنة صباحا وتنتهي في الرابعة عصرا... بدا ذلك صعبا عليّ، لكنني أردته بكل قوتي...

وفي ذلك المساء ذهبت مع أولادي عند أمي وفاتحت الجميع بما حصل معي، أخبرتهم أنني أحتاج دعمهم ومساندتهم في الفترة المقبلة وبالذات أمي التي ستضطر للعناية بالأولاد حتى أعود إليهم كل يوم وبدأت رحلة صعبة... كنت أستيقظ كل صباح في الخامسة والنصف صباحا، أجهز حقائب الأولاد وألبس على عجل وأخرج في السادسة لأركب القطار... وأصل في السابعة والنصف لألحق بالدرس، وفي الرابعة أخرج

محملة بما صنعناه خلال الدراسة (كل يوم أصناف جديدة رائعة) وأركب القطار ثانية لأصل إلى المنزل في السادسة، والحق يقال لولا أمي - حفظها الله - ما كنت استطعت إكمال الدورة، وحتى أولادي تحملوا الكثير، كنت دائما متعبة منهكة وبدأت حبيبة تتولى مسؤولية إعداد العشاء لإخوتها كل مساء وغفران تشجعني وهي سعيدة لأنني أفعل أخيرا شيئا أحبه، أما زيد فقد كان سعيدا بما أحضره معي من مأكولات وبدت أنها كافية لتجعله يشجعني على ما أفعله، أما فريد فلم أعد أراه كثيرا.. حتى في عطل نهاية الأسبوع كنت أتفرغ للأولاد وأخرج معهم طوال اليوم، وفي يوم الأحد كنت أنظف الشقة وأقوم بغسل الملابس... وفي المساء بعد أن ينام الأولاد كنت أتسلل إلى بيت فريد لأراه، تباعدت لقاءاتنا إلى مرة كل أسبوع، مرة كل أحد فقط... وازداد وزني تلك الأيام بسبب ما آكله من حلويات...

لقد تعلمت الكثير... ليس فقط الحلويات بل المعجنات والخبز والشوكولاتة والآيس كريم... كنت أتذوق كل ما نصنعه ما عدا بعض الأصناف التي توضع فيها أنواع من الخمور أو أنواع محرمة من الجيلاتين، كنت أطلب من المدرس أحيانا أن يستثني بعض القطع من وضع الخمر فيها حتى أستطيع تذوقها أو آخذها معي لعائلتي، أحيانا كان

يوافق وأحيانا كان يرفض... كنت سعيدة جدا رغم التعب والعقبات والإنهاك...

وفي تلك الفترة حدثت مشكلة عائلية، ففي إحدي الأمسيات... اتصلت بي أمي وهي ترجوني للنزول إليها، وعندما فعلت فوجئت بدارين زوجة أخي مع ولديها وهي غاضبة وآثار دموع في عينيها، وقلت بخوف: دارين... ما بكِ؟

فقالت: إنه أخوكِ علي... لقد وصلتني أخبار أنه ينوي الزواج بفتاة لبنانية تعرّف عليها في الكويت...

وقلت لها: وما دخلنا نحن؟ تفاهمي معه أنتِ... ثم إنه لا يلام، مادمت ترفضين اللحاق به، إنه معذور فهو وحده هناك بلا زوجة...

وجنت دارين من ردي وأخذت تصرخ وتتوعد... فقلت لها: نحن لا دخل لنا... سافري إلى زوجك وابقي معه إن كنتِ تريدين المحافظة على زواجك...

فقالت: سأهجره وأترك الأولاد لكم..

وبصراحة قلقت جدا من كلامها، فإن تركت الأولاد فعلا عند أمي فسيكون من الصعب عليها الاهتمام بأولادي أثناء دراستي ورغم ذلك قلت بحزم: اسمعي يا دارين، لا أحد يربي أولاد أحد، هذان المسكينان لا ذنب لهما، وأنا أنصحك كأخت

تهمها مصلحتك، سافري إلى علي وابقي معه، كفاكِ دلعا يا امرأة وأعيدي ترتيب حياتك..

وانتهت تلك الزيارة المزعجة... ولكن نتائجها كانت إيجابية فخلال شهر سافرت دارين فعلا إلى الكويت لتلحق بعلي الذي كاد يطير من الفرحة عندما رآها، إنها أم أولاده، وهو يحبها رغم كل شيء، لكن دارين لم ترتح في الكويت، إنها تقول إنها بلد متحفظ! رغم أن الكويت بلد منفتح... يبدو أنها أرادت إبعاد علي عن المرأة التي كاد يتزوجها، إنها ذكية رغم كل شيء، لقد عرفت أن تلك المرأة زميلته في العمل، وأطاعها علي... بدأ يراسل بعض الشركات ليجد عملا في دبي، دارين بنفسها اختارت العيش في دبي وخلال ثلاثة أشهر أخرى انتقل أخي وعائلته إلى دبي... وجد عملا هناك وكذلك وجدت دارين عملا هناك أيضا، ويبدو أن الأسرة استقرت أخيرا... بدا علي سعيدا مع عودة زوجته وولديه إلى أحضانه...

ومررت أنا بأيام صعبة... كانت دراستي تأخذ كل وقتي وطاقتي... بالإضافة إلى امتحانات كثيرة منها النظري وإن كان الجزء العملي هو الأكبر، والتنافس بيننا نحن الطلاب يشتد، كنا مجموعة من المبدعين بلا شك، وفي بعض الليالي كنت أبكي من شدة التعب والإجهاد، كنت أشعر أنني ممزقة...

ومشتتة بين بلدتين، لم يكن السفر اليومي سهلا أبدا... وتباعدت لقاءاتي مع فريد، حتى اتصالاتنا قلت كثيرا... كانت تمر ثلاثة أيام أو أكثر دون أن أسمع صوته... وفي بعض الأحيان لم أكن أتمكن من الذهاب إلى بيته... لكن حبه في قلبي لم يتغير... كنت ماأزال أحبه رغم كل شيء...

ومرت السنة الصعبة... وجاء اليوم الموعود، إنه يوم التخرج، وارتديت لباس التخرج الأسود وأنا لا أصدق نفسي، لقد كان حلمي أن أرتديه طوال عمري... كانت سعادتي وقتها تفوق الوصف بدوت جميلة جدا وشابة جدا وأنا أرتديه، أجل كنت فاتنة... وحضر أولادي حفل التخرج وكذلك أمي، ومن بعيد جلس فريد بين المدعوين أيضا، لقد أتى لأجلي... إنني مدينة له، لقد ساعدني بدخول هذه الدورة، ولولاه ما تحقق حلمي... واغرورقت عيناي بالدموع وأنا أتسلم الشهادة... لقد أصبحت «شيفا» متخصصة في المطبخ الفرنسي... ودعوت من صميم قلبي أن أنجح في إيجاد عمل أستطيع من خلاله تحقيق ذاتي...

وعدت مع عائلتي في القطار بعد أن التقط لي ولدي زيد عشرات الصور، وعندما نام الأولاد تلك الليلة... ذهبت إليه... إلى زوجي فريد... وحملني بين ذراعيه وهو يدور بي... وأنا أضحك وأبكي من الفرح وهو يقول لي ممازحا:

أهلا بأجمل «شيف» في الدنيا... وقضينا ليلة رائعة.. كأيام حبنا الأولى، وشعرت أن الرابط الذي يربط بيني وبين هذا الرجل رابط قوي، رغم كل التحديات، ودعوت بيني وبين نفسي أن يأتي اليوم الذي نشهر فيه زواجنا أمام الجميع...

كنت قلقة فقد بقيت ستة أشهر فقط لينتهي فريد من دراسته ومن ثم يعود إلى بلده، إنه يدرس في بعثة حكومية ومن شروط البعثة أن يعود ليعمل في مجال تخصصه في المستشفيات الحكومية.

وسألت فريد: ماذا سيحدث لي عندما تنتهي البعثة؟ هل ستتركني هنا؟ أم ستأخذني معك؟ وماذا عن الأولاد؟ أولادي؟

فكان يصمت ويفكر... ثم يقول: لا تقلقي سنجد ترتيبا ما، دعينا نعيش الحاضر الآن ولكل حادثة حديث...

لكن الخوف من أن يحين وقت رحيله لم يعد يبارحني...

(9)
المطعم الألماني

كنت قد بدأت أبحث عن عمل في مجالي الجديد... وساعدني أستاذي السابق في ذلك... كنت قد أوصيته مرارا بمساعدتي... وفي يوم اتصل بي... وفرحت باتصاله كثيرا، لقد اعتدت عليه وأصبحت أكن له الود والتقدير، وأخبرني أنه سمع عن مطعم ألماني في مونتريال يبحثون عن شخص للعمل فيه، قال لي اذهبي إلى هناك وقولي لهم إنك من طرفي... لقد أوصيتهم بكِ، وشكرته بحرارة وفعلا أخذت منه العنوان وذهبت في نفس اليوم، وقابلت مدير المطعم، كان مطعما كبيرا وجميلا وملحقا به مخبز للحلويات...

وحددت لي المديرة موعدا لأجري بعض الاختبارات وذهبت في الموعد فطلبت مني إعداد بعض الأصناف وعندما انتهيت بهرت بمستوى ما صنعته، فتعاقدت معي على الفور، وبدأت العمل هناك فعلا خلال يومين، كنت أعمل كل يوم ما عدا يومي الاثنين والثلاثاء، وذلك من الساعة الخامسة صباحا حتى الثالثة ظهرا، فالمطعم يقدم الإفطار يوميا غير الزبائن الذين اعتادوا شراء الخبز والكعك كل صباح، ويجب عليّ تحضير ما يلزم في هذا الوقت الباكر قبل أن يفتح المطعم في

الثامنة صباحا... ورغم التعب إلا أنني كنت سعيدة، أجل كنت أحس باجتهادي وكياني هناك، وتعلمت أصنافا ألمانية جديدة من زميلي الشيف الألماني الشاب الذي يعمل معي، كان شابا في الثلاثين من عمره، لطيفا جدا وودودا... وكنا نعمل معا طوال اليوم، حتى أنني كنت أتحدث إليه آكثر مما أتحدث مع فريد أو حتى مع أولادي، هناك مقولة ما أن الإنسان قد يبوح لشخص غريب عنه آكثر مما يفعل مع شخص قريب، وذلك كان صحيحا تماما في علاقتي مع جون...

كان صديقا حقيقيا... وأحسست أنني أعتز بصداقته وكأنها هدية غالية، وعندما أخبرته عن فريد، استغرب جدا... أربعة أعوام كاملة دون أن يشهر زواجنا، بدا له الأمر شبه مستحيل، ونصحني بإخلاص: أحلام.. انتبهي من هذا الرجل وكوني قوية معه، أما أن يصحح وضعكما ويشهر زواجكما أو أن تفترقا.. ذلك أفضل من أن يأتي يوم تجدينه قد تركك وسافر إلى بلده... صدقيني الأمر جدي ولا يحتمل التأجيل...

وانقبض صدري... إن كلامه صحيح... يجب أن أتكلم مع فريد بجدية، عليه أن يضع النقاط على الحروف... واتصلت به ليلتها، ففوجئت بصوته مرتبكا وهو يقول: سيأتي أخي الكبير لزيارتي... سيصل غدا، تصوري أنه أراد مفاجأتي لولا

أن زل لسان والدتي وأخبرتني بقدومه... ماذا لو كنتِ معي عند وصوله... لا أستطيع تصور ما كان سيحدث وقتها!

وصُدمت... شعرت بالإهانة والهوان فقلت بحدة: لو كان وصل وأنا عندك لكان وضعك أمام الأمر الواقع ولربما اضطررت لإشهار زواجنا وذلك ما تتهرب من فعله طوال السنوات الماضية وإلى الآن...

وشعر فريد أنه جرحني فقال برقة: أحلام... أنا لا أقصد شيئا صدقيني... كل ما في الأمر أنه من غير اللائق أن يفاجئني ليجد امرأة في شقتي...

وصرخت هذه المرة: أنا لست مجرد امرأة يا فريد، فإن كنت تذكر أنا زوجتك... وإن كنت صبرت عليك في السنوات السابقة فلن أصبر أكثر من ذلك، عليك أن تحدد موقفك.. إما أن تشهر زواجنا ونعيش معا كأي زوجين طبيعيين أو نفترق...

وشعرت بأنفاسي لاهثة... كأنني قطعت شوطا طويلا من الجري... قطعت سنوات طويلة كي أنطق بجملة كهذه... لقد طفح الكيل ولن أتساهل معه بعد كل ما قاله...

وصدمني رده البارد: أحلام أنا متوتر الآن وأنت غاضبة الأفضل أن نتحدث لاحقا...

وصرخت أيضا: نتحدث عن ماذا؟ هل كنت تتلاعب بي

يا فريد؟ هل استغللت حبي لك؟ ألا تنوي مصارحة أهلك بزواجك مني أم ماذا؟

وعاد يقول بنفس البرود القاتل: قلت لك سنتحدث لاحقا...

وأقفل الخط... وانهرت باكية... لست له سوى عشيقة... أجل إن زواجنا كذبة كبيرة، عشت فيها وحدي وصدقتها... وفي اليوم التالي بكيت أيضا أمام جون... وتعاطف معي كثيرا ونصحني قائلا: لا تتصلي به... دعيه يجري وراءك، دعيه يشعر أنك قادرة على هجره إن لم يفعل ما تريدين...

وقلت بصوت مسكين: لكنني أحبه يا جون... أجل أحبه وأحتاج إليه ولا أريد أن أخسره...

ورد عليّ جون: ما دام يحس بذلك لن يتغير شيء في معاملته لك، عامليه بقوة وترفع، حاولي، جربي... وسترين...

وقررت أن أتبع نصيحة جون... لم اتصل بفريد طوال ذلك الأسبوع، ولم يتصل بي هو، وفي أحد الأيام قررت أن أتسكع بجوار العمارة التي يسكنها، وجلست في مقهى يواجه العمارة تماما، أردت أن ألمحه ولو من بعيد، كنت كالجاسوسة... أحاول تتبع أخباره، وفي التاسعة رأيته يسير مع أخيه، إن الشبه بينهما كبير لا بد أن فريد سيصبح بهذا الشكل بعد سنوات... ورق قلبي... وحدقت فيه من بعيد، ولم ينظر هو

باتجاهي ولم يلمحني، لقد وحشني كثيرا، وشعرت بنفسي كالمتسولة هذه المرة، أتسول نظرة من الرجل الذي أحبه... أو من زوجي المزعوم، وعدت إلى البيت وأنا حزينة... ورقدت في سريري أحتضن وسادتي... وانهمرت دموعي... إنني امرأة خائبة، ليس لها حظ مع الرجال... أولا نجم ثم سيف ثم سلطان وأخيرا فريد... كلهم تخلوا عني... ربما لا أمتلك القدرة على الاحتفاظ بالرجل الذي أريده بجانبي... ويأس فظيع بدأ يخيم على قلبي... وفجأة رن هاتفي النقال... وقمت متثاقلة لأرد، توقعت أنها أمي... وحدقت بالرقم الظاهر على الشاشة... إنه هو... فريد... وأجبت بلهفة: ألو؟

فقال بحنان: رأيتك اليوم... كنت متأكدا أنني لن أهون عليك.

فلم أرد عليه... بل ردت عليه دموعي وسط نشيج حاد لم أستطع أن أكتمه...

وقال فريد: أحلام لم تصرين على اختلاق المشاكل... إنك تفسدين حبنا بما تفعلين...

ولم أرد أيضا... إن ما أقوله لا يؤثر فيه، فسأظل أردده كأسطوانة قديمة مشروخة لا يسمعها أحد.

فقال: سأسافر بعد يومين إلى السعودية مع أخي.

وشهقت: لماذا؟

فقال: لا تخافي... سأعود بعد شهر، هناك موضوع عائلي طارئ يحتاج وجودي هناك، وعندما أعود ستتغير أشياء كثيرة، أعدك...

ولاح الأمل في أفق أحلامي: هل ستخبر أهلك عني؟

فقال: لقد عرف أخي...

وصرخت بلهفة: أنت أخبرته؟

فتنهد وقال: بصراحة يبدو أن أحدا ما وشى بي عند أهلي، لا بد أنه صديقي سعود، إنه الوحيد الذي صارحته بالموضوع منذ فترة... على العموم لهذا السبب حضر أخي... يجب أن أعود لأحل المسألة... وأرجو أن لا تقلقي...

وساد صمت بيننا وقلبي يخفق بعنف وأخيرا سألته: فريد هل تحبني بصدق؟ هل ستتخلى عني؟

فقال بحرارة: أنا أحبك... ولن أتخلى عنك أعدك...

مكتبة
t.me/t_pdf

(10)
الفترة الأصعب

كانت تلك الفترة هي الأصعب في حياتي كلها، سافر فريد ولم يتصل بي ومر على سفره اسبوعان كاملان دون أن أعرف عنه شيئا، كنت أعيش بقلق قاتل يكاد يخنقني وأنا أتساءل عما يحدث معه، كنت انتظر أن يتحدد مصير زواجنا وأنا بين اليأس والرجاء...

وفي تلك الفترة مرضت والدة جون في ألمانيا فقدم إجازة مفتوحة ليسافر إليها، وبكيت وأنا أودعه... كنت أعتبره طبيبي النفسي ومستشاري وصديقي المخلص النصوح، لكنه سيتركني هو الآخر، شعرت أنني وحيدة تماما... وأخافني ذلك الشعور وهمس لي جون وهو يودعني: أحلام... إن كل ما تمرين به اختبار من الله... كوني قوية فالله يحب الأقوياء...

وأثرّت بي كلماته... أجل يجب أن أكون قوية... وخرجت من المحل يومها وقادتني قدماي إلى شقة فريد فقررت الصعود إليها... إن المفتاح معي... أردت أن أشم رائحته هناك... وقد أنظفها له فيجدها مرتبة عندما يعود، وأدخلت المفتاح في القفل فإذا به لا يدور!

لقد بدل قفل الباب... ووجمت! لِمَ فعل ذلك؟ أم ربما فعل ذلك خوفا على الشقة من اللصوص؟ وأي لصوص؟! من يملك مفتاحه غيري؟ وخطر لي خاطر أخافني لدرجة الرعب ماذا لو أنه ترك هذه الشقة نهائيا، وجريت على السلالم كالمجنونة إلى مدخل العمارة حيث يجلس المشرف عليها وسألته: الدكتور فريد مسافر... هل أخلى الشقة قبل سفره؟

فقال لي: لا سيدتي... لقد استبدل الأقفال وسلمني إيجار شهرين مقدما...

واطمأن قلبي... إذن سيعود... الحمد لله...

وعدت إلى بيتي والأفكار تنهش صدري بلا رحمة...

وبعد يومين عينت مديرة المطعم شابا آلمانيا آخر لفترة مؤقتة ليسد مكان جون... كان شابا وقحا، كرهته منذ رأيته، وعيناه الجريئتان لا تكفان عن التحديق بي، لقد كرهته من أول نظرة وترسخ هذا الكره أكثر فأكثر وأنا أرى مدى دناءته يوما بعد يوم...

وبدأت أكره الذهاب إلى العمل بسببه، إنه كاذب وغير محترم وبدأ يثير صاحبة المطعم عليّ، يخبرها أنني آخذ الكثير من المأكولات إلى البيت دون علمها وأنني أتعمد الإسراف في استخدام المواد وأنني أتكلم عنها بالسوء في

غيابها ثم وصلت به الدناءة أنه عرض علي أن أكون صديقته وإلا فسيقوم بالاستمرار في أذيتي وإزعاجي،

وصارحت مديرة المطعم بكل مايحدث لكنها لم تصدقني، وقالت لي إن الشاب متفوق ويعجبها لدرجة أنها أرسلت لجون كتابا بإنهاء خدماته، وثرت عليها... إن جون في إجازة وأنا أعرف أنه يحتاج هذه الوظيفة أكثر مني ربما...

وكلمة مني وكلمة منها... وانتهى النقاش بأن قدمت استقالتي وتركت العمل في ذلك المطعم، لقد خسرت الكثير في وقت قصير... زوجي ثم صديقي ثم وظيفتي...

وقررت البقاء دون عمل لفترة، على الأقل حتى تهدأ نفسيتي وأعرف مصيري مع فريد،

وبعد شهر كامل اتصل بي فريد أخيرا من السعودية، لم يظهر لي رقمه هناك فقط تلقيت ما يفيد أنه اتصال خارجي فجاءني صوته: ألو؟

وبكيت: فريد؟ أين أنت، لماذا لم تتصل بي؟ كدت أموت وأنا أنتظرك...

فقال بصوت حزين: أحلام الوضع هنا سيئ، إن والدي غاضب عليّ وكاد يموت بسببي، لقد تعرض إلى جلطة عندما عرف حكايتي معك... وكذلك والدتي أقسمت أن لا ترضى عني إلا إذا تركتك وتزوجت فتاة تختارها لي، لقد أقسمت

أن تتبرأ مني إن عدت إلى كندا بلا زواج...

ولم أستطع الرد عليه... كل هذه المقدمات لا بد أن وراءها مصيبة ما...

وقال فريد: أريدك أن تعرفي أنني لا أحب سواك لكنني سأعقد قراني على إحدى قريباتي، ليهدأ أهلي ثم أعود إلى كندا، إليك يا حبيبتي... إنني أحبك... ولن أنساك ولن أتركك أنا...

ولم أسمع ما قاله... لقد أقفلت الخط في وجهه... إن هذا كثير علي، أكثر مما أستطيع احتماله أو الصبر عليه، يتصل بي ليخبرني أنه سيتزوج... كيف يمكنه فعل ذلك بي؟! وبكيت كما لم أبكِ في حياتي... وهدأت قليلا بعد أن صليت كثيرا...

يجب أن أعذر أهله، أجل إنهم لا يعرفونني، وبالتأكيد هم يرونني كامرأة تريد استغلال ولدهم، إنه شاب ثري وأنا مجرد مغتربة مطلقة ولدي ثلاثة أولاد، كما أنني أكبره بثلاث سنوات، لهم الحق بأن يسيئوا الظن بي... إنني أم أيضا وأستطيع الإحساس بما تفكر به أمه، ليتها أتاحت لي الفرصة على الأقل، لا أظن أن امرأة أخرى ستحب فريد وتضحي لأجله كما فعلت أنا...

لكن فريد سيعقد قرانه... قال سيعقد قرانه فقط، لم

يقل أنه سيتزوج... بسيطة... سأنتظره وأستعيده إنني لا أزال زوجته وعلى ذمته، وسيطلق الأخرى أجل لن أتنازل عن زوجي بسهولة، سأتحدى الجميع، من أجل عيني فريد...

(11)
المواجهة

مر شهر آخر دون أن يحادثني فريد، وكنت أمر بالقرب من شقته كل يومين على أمل أن أجده قد عاد، وفعلا في إحدى الليالي، لمحت الضوء في شقته، وخفق قلبي، اتجهت نحو مسؤول البناية لأسئله فوجدت الباب موصداً ولم يكن جالسا على مكتبه، واتصلت على هاتف الشقة، رن الهاتف طويلا فلم يرد عليه أحد، واتصلت على رقم فريد النقال فإذا به مغلق خارج الخدمة، واحترت.. من يكون في الشقة إذن... ربما استأجرمنظفة لترتيبها قبل عودته، وعدت إلى بيتي حائرة، وفي اليوم التالي ذهبت إلى هناك أيضا وهذه المرة وجدت مسؤول البناية الذي رحب بي، لقد اعتاد على رؤيتي طوال سنوات، وصدق ظني لقد اتصل به فريد وطلب منه إحضار منظفة.. فمسؤول البناية يحتفظ بنسخة من المفاتيح لكل شقة في العمارة، كنت أتمنى لو أعطاني المفتاح لكنني أعرف أن ذلك ممنوع وأنه سيرفض طلبي... وأخبرني أن فريد سيصل الليلة في الساعة الثامنة... وفرحت.. أخيرا سيصل، كانت الساعة تشير إلى الثامنة إلا ربعاً، إذا وصلت طائرته في الثامنة سيكون هنا في التاسعة إذن، وقررت أن

انتظره في المقهى المقابل، ياه كم اشتقت إليه، شهران كاملان دون أن أراه، جلست أنتظره في المقهى المقابل... وأنا أعد الدقائق للقائه، والوقت يمر ببطء، وأنا أصبّر نفسي.. انتظرته شهورا دون ملل لن أعجز عن تحمل بضع دقائق الآن، وفعلا في التاسعة والنصف تماما توقفت سيارة أجرة أمام البناية، ونزل منها فريد، ولمحته من بعيد بشحمه ولحمه أخيراً أمامي وقمت لأجري إليه وبمجرد وقوفي فُتح باب السيارة في الجهة الأخرى ونزلت منه فتاة، وتيبست في مكاني... بدت الفتاة جميلة جدا بلباسها الأنيق وشعرها الأسود الكثيف اللامع، شعرها يصل إلى أسفل ظهرها.. شعر ناعم جدا كخيوط الحرير، ولمحت وجهها المستدير بعينيها الكبيرتين، كانت سمراء فاتنة، وحاولت تكذيب عينيّ.. ربما كانت أخته، نسيت وقتها أن فريد لا أخوات له، لكنه مد ذراعه إليها وضمها إليه وهو يشير إليها نحو شقته، إنها زوجته التي أحضرها من السعودية... لقد تزوج.. الأمر واضح الآن وتمنيت أن أجري لأجرها من شعرها ولأصفع فريد المخادع بكل قهري وألمي، لكن قدميّ تسمرتا على الأرض... وقد انهمرت دموعي على وجهي...

ولا أعرف كم ساعة قضيت على طاولتي وأنا أراقب الأضواء في شقته وقد أضيئت في كل الغرف، وأخيرا تقدم

مني الجرسون في المطعم وهو يقول لي بلطف: سيدتي سنغلق المقهى الآن...

وسألته بصوت مخنوق: كم الساعة الآن؟

فقال: الحادية عشرة تماما...

وقمت وأنا أجر قدميّ جرا، والتفت نحو شقته للمرة الأخيرة، كأنني أودع المكان الذي اعتبرته بيتا لي في وقت ما، لقد سكنته امرأة أخرى... ولم يعد لي مكان فيه، ماذا أفعل هل أجري إلى هناك وأثير فضيحة أمامها.. لكنني كنت واهنة وجسدي كله يرتجف، لن أستطيع أن أفعل شيئا الآن... لا أعرف حقا كيف وصلت إلى بيتي، كان جميع أولادي نياما، وجلست في سريري دون أن أقوى على تغيير ملابسي، وحدّقت في السقف... ولم يغمض لي جفن وفي الصباح دخلت إليّ حبيبة وقالت بجزع: ماما... مابك؟ تبدين مريضة جدا... ونظرت إليها بوهن وقلت: أنا بخير، يبدو أنها بداية الأنفلونزا، سأذهب إلى الطبيب بعد قليل... لا تخافي، اذهبوا جميعا إلى مدارسكم...

فقالت بتردد: هل نذهب كلنا؟ تريدين أن أرافقك اليوم؟

فقلت: لا يا ابنتي، أنا بخير... اذهبي ولا تضيعي الوقت.. لن ينفعك في الدنيا سوى شهادتك.... وخرجت حبيبة... كانت كلماتي إليها ككلمات أمي لي منذ سنوات مضت.

وبعد ساعتين اتصلت بالمستشفى الذي يعمل به فريد وسألت عنه موظفة الاستقبال، فأخبرتني أنه سيداوم اليوم.. إنها فرصتي وبسرعة قمت لأذهب إليه، كأنني أخاف أن يتبخر ويختفي إن تأخرت، ولم أبدل ملابسي، بالكاد غسلت وجهي ونظفت أسناني وربطت شعري للخلف باهمال، واستخدمت سيارة أجرة، كنت قد بعت سيارتي أثناء سفر فريد عندما احتجت للمال... ووصلت وأنا أرتجف واتجهت نحو عيادة الباطنية... وأخبرت السكرتيرة أن لي ملفاً سابقا عند الدكتور فريد، وأنني لا أريد رؤية طبيب سواه، فوافقت وأعطتني رقما للدخول.. وجلست أنتظر وبعد ساعة جاء دوري ودخلت إليه وأنا أرتعش.. كل ما فيّ يرتعش.. قلبي، جسدي ركبتاي وشفتاي ورموش عيني... ورفع رأسه ليراني أمامه في حالة يرثى لها، كنت بقايا إنسانة، وأقرب إلى شبح تعيس... ملابسي مكرمشة فوق جسدي وشعري مهووش فوق رأسي وعيناي ذابلتان من أثر الدموع والسهر...

وقام واقفا وهو يقول بذهول: أحلام... وأمر الممرضة بالخروج... وأشار إليّ: اجلسي... فانفجرت باكية: كيف فعلت بي كل هذا... أكاد لا أصدق، تتزوج وتأتي بعروسك إلى هنا... كنت تخطط لذلك صحيح؟ بدليل أنك غيرت قفل بابك قبل أن تسافر... لماذا يا فريد؟ لماذا فعلت بي كل

ذلك...

وقال بهدوء: دعينا نتفاهم، عندما أتى أخي أخبرني بأن عائلتي عرفت بأمرنا، كدت أخسر أبي وكذلك أمي، لقد خطبوا لي، وأقسموا أن يتبرأوا مني إن لم أتزوج ثم أصروا على أن آخذ عروستي معي إلى هنا، وإلاّ فلن يوافقوا على سفري...

وصرخت: عروستك؟ يبدو أنك سعيد بها، وأنا يا فريد ألم أكن عروستك يوما، وحبنا؟ أليس له أية قيمة عندك؟ أم لعلي كنت مجرد امرأة تقضي معها وقتك لترميها بعد ذلك بكل بساطة...

وتأفف فريد: أحلام يجب أن تقدري موقفي وكذلك موقف أهلي... إنهم يظنون أنك خدعتني وأنك تسعين وراء زوج ثري خاصة أنك مطلقة ولك أولاد...

ورددت عليه وقلبي ينزف بداخلي: أنا لم أخدعك عندما تزوجتني كنت تعرف أنني مطلقة ولي أولاد، وتعرف أنني لم أطلب منك شيئا طوال زواجنا سوى مصاريف دورة الطبخ لم أستغل ثراءك أو عائلتك في أي شيء، لقد أحببتك أنت بشخصك وأنت تعرف ذلك.. لقد تخليت عني.. وعدتني أن تدافع عني حتى النهاية وأن تقف معي.. وعدتني أنك لن تخذلني لكنك فعلت.. لقد قتلتني يا فريد أجل غرست في

صدري سكيناً ساما وبلا رحمة...

وقال بضيق: أحلام... هذا مكان عمل، اذهبي الآن وأعدك أن نتفاهم لاحقا.. أرجوكِ.

وقلت بسخرية: تعدني؟ لا يا فريد لم أعد أصدق وعودك الكاذبة... ثم كيف نتفاهم لاحقا.. وفي أي مكان؟ في شقتك ربما؟ التي تسكنها عروسك المحترمة..

واقترب مني حتى استطعت أن أشم رائحته وعطره: ماذا تريدين الآن إذن؟

فرددت عليه: أن تطلقها... أن تخبر أهلك أنك تحبني أنا وتريدني أنا... وإن كنت لا تريد أو إن كنت بالأحرى لا تحبني ولا تريدني طلقني الآن وفوراً يا فريد...

وساد صمت بيننا.. وكأنني انتظر حكم الإعدام عليّ، لكنه قال: أحلام اذهبي الآن أرجوك ودعيني أفكر في حل.. أنا لن أطلقك... مازلت أريدك... استعيذي بالله وارحلي ولا تحرجيني في مكان عملي.

وأدرت له ظهري وخرجت مسرعة. لقد خفت أن يطلقني... أجل هربت من أمامه بسرعة قبل أن يغير رأيه ويختارها، على الأقل لقد تمسك بزواجه بي... يا إلهي ما كل هذا الذل... كل هذا ومازلت أحب هذا الرجل، معقول أن أظل أحبه رغم كل ما فعله بي، لابد أنني مجنونة...

ومرت الأيام ولم يتغير أي شيء، كنت اتصل بفريد عشرات المرات، وقد عاد لاستخدام رقمه القديم، كان يرد عليّ أحيانا وأحيانا لا يفعل، كنت أبكي، وأغار بجنون، ولا أجد عنده أي حل، ولم أره منذ ذهبت إليه في العيادة، وبقي على تخرجه شهران فقط.. وأنا كالمعلقة لست زوجة ولست مطلقة.. وبدأت أجن وقررت الانتقام منه، وبدأت اتصل على هاتف شقته وعندما تجيب زوجته أغلق الخط، أريدها أن تشك به، علها تطلب الطلاق ثم قررت أن أحادثها، واتصت بها وفريد بالعيادة وأخبرتها أنني فاعلة خير، وأن فريد متزوج من فتاة هنا منذ أربع سنوات، وقلت أيضا كأنني أغيظها: فتاة جميلة بل ملكة جمال، لا تستطيعين التفرقة بينها وبين الأجانب و... وصرخت هي بي: أنتِ كاذبة، فقلت بخبث: اسأليه أو اسألي مدير البناية عنها وسيخبرك وفي تلك الليلة اتصل بي فريد غاضبا وصرخ بي بمجرد أن سمع صوتي: هل جننتِ؟ تريدين تخريب حياتي؟

فصرخت أنا: وماذا عن حياتي أنا التي قمت أنت بتخريبها بعد أن تلاعبت بي وبمشاعري.

فقال: إن زوجتي من عائلة كبيرة ولها نفوذ في بلدي إن طلقتها سأتعرض للضرر.. افهمي ما أقول.

فصرخت فيه: وأنا؟ ألست ابنة ناس أيضا؟ تظن أنني

نكرة؟ أم لعلك تظن بنات العائلات الصغيرة لعبة لأمثالك من الرجال؟

وفقد فريد صبره: إن اتصلت بها ثانية لن تلومي سوى نفسك...

فقلت بحدة: سأتصل بها وسألاحقكما مثل ظلكما، تظن أنك تستطيع السخرية مني والتلاعب بي كما تشاء ثم تتركني هكذا ببساطة.

وأخيرا قال فريد: أحلام اعتبري كل ما بيننا قد انتهى، لم أعد أريدك... الحياة بيننا مستحيلة.. إننا لا نصلح لبعضنا... أحلام... أنتِ طالق... من هذه اللحظة.

أقُلتَ لها مثلَ ما كنتَ تقول؟
أتُحبها مثل ما كنتَ تحبني بجنون؟
أتسكنَ بين عينيها وتقولُ لها لغيركِ لن أكون؟
أتغارُ عليها وترسمُ على قلبها الحب بفنون؟؟
أتنعمُ بك هيا وأنا في عز القهر الملعون؟؟

(12)

رحلة الصمود

لم أمت... أجل مازلت على قيد الحياة، لم يتغير شيء في مظهري، لم يتغير طولي أو لون عيني أو شعري، لكن قلبي هو الذي تغير... تغير كثيرا... بعد أن طلقني فريد... وسافر بعد التخرج إلى بلده برفقة زوجته طبعا، سافر دون أن يودعني بكلمة، لقد سبق وودعني بعد أن طردني من حياته بكلمة الطلاق...

عرفت أنه سافر... لا تسألوني كيف... ذهب عني بعيدا وإلى الأبد.. وقررت أن أسافر أنا أيضا...

جلست في الطائرة وأنا أحدق في السحاب..لقد قررت أن أسافر.. لعل التغيير يفيدني.. خمسة شهور مرت على طلاقي، خمسة شهور من الكآبة والحزن ولا أحد يعرف ما الذي جرى لي ممن حولي، أولادي يسألونني عن ما يحدث معي وكذلك أمي وأنا لا أجيب... لاشيء أستطيع قوله لهم... وقررت أن أذهب لزيارة أخي في دبي، كنت أتمنى الذهاب إلى مريم في بلغاريا، لكنني فضلت دبي لأن أخي وعدني بأن يأخذني بعدها إلى الكويت ثم إلى الأردن حيث يعيش بعض أقاربنا لحضور فرح قريبة لي من أهل أمي، تركت الأولاد

عند أمـي، لم أكـن أستطيع تحمل تكاليف سفرهم معي، ورحبوا بفكرة سفري، كانوا خائفين عليّ مؤخرا، ربما فكروا أن السفر سيعيد إليّ الفرح الذي هجرني منذ زمن...

وعقلي الذي يدور كالآلة... ولا يكف عن التفكير قررت أن أعطيه إجازة، أريد إجازة من كل شيء.. أحتاج لبعض الوقت لأجل نفسي.. لا أريد أن أمرض... لأجلي ولأجل أولادي... أريد أن أبقى بقربهم وأن أربيهم وأن أراهم سعداء... أريد أن يعوضني الله تعالى بهم... وأغمضت عيني وأنا أتمسك بالهدوء وباللحظة التي أعيشها جاهدة...

وحطت الطائرة في مطار دبي ونزلت إلى أرض الإمارات العربية ياه مرت سنوات طويلة جدا منذ دخلت بلدا عربيا، وعندما انتهيت من الجوازات استلمت حقيبتي وخرجت لألتقي أخي وزوجته وولديه الذين كانوا جميعا بانتظاري، وفرحت.. تجدد الحماس في صدري، إنها إشارة جيدة أن يتحرك فيّ إحساس إيجابي.. بدا علي وسيماً ومختلفا أحسست أنه أصبح عمليا وناضجا أكثر من قبل وضممته إليّ وأنا أتذكر أمي المسكينة التي تحلم به وبدت دارين أكثر جمالا بثوبها الضيق الملتصق على جسدها الدقيق، لاتزال كما هي.. متحررة، وعلي لا يقدر عليها، لكنها بدت سعيدة وملتصقة به هي الأخرى، والوالدان سعيدان بلقائي ويتقافزان

حولي يسألانني عن ولدي زيد وعن أمي جدتهما التي أرسلت لهما بعض الهدايا معي.. وركبنا سيارة فارهة كانت لأخي، يبدو أن حياته هنا مريحة، واتجهنا نحو فيلته، لديه فيلا صغيرة على البحر، وفرتها له الشركة العقارية التي يعمل بها، بدا المكان رائعا ومريحا وغرفتي تجاور غرفة الولدين، كانت لأحدهما وسأشغلها مؤقتا، وفعلا بدأت أحس بتأثير السفر على نفسيتي... كنت سعيدة، وقضيت في دبي خمسة أيام، إن دبي جميلة، ومجمعاتها التجارية الضخمة أكثر من رائعة، إنها بلد مزدهر، وصدمت بفخامة الفنادق، وأخيرا، جاء موعد الرحيل، لا لم يكن موعدا للرحيل، كان موعدا للقاء... لقاء الكويت، بيتي الأول وبداية مشواري، كانت دارين وأولادها سيبقون في دبي، فالولدان في المدرسة ولا تستطيع تركهما، وفي يوم السفر قبلتها بحرارة وأنا أودعها وأشكرها، لم تقصر معي وكانت بحق أختاً لي في تلك الفترة، وركبت الطائرة وكل ما فيّ يرتعش.. سألتقي بلدي الذي عرفت فيه السعادة والاستقرار.. وطوال الطريق وأنا متوترة.. لم أكن قلقة... كنت متلهفة...

وحطت الطائرة على أرض الكويت.. بلدي... أجل إنها أمي ومسقط رأسي.. ونزلت ودموعي تجري، لم أستطع تمالك نفسي، وأخي علي يفهمني، همس لي: حدث لي الشيء نفسه

عندما عدت إلى هنا أول مرة، ياه كم تغيرت الكويت.. لقد ازدهرت هي الأخرى وتغيرت..وعيناي تلتقطان كل شيء بلهفة وحب، وطلبت من علي أن يأخذنا إلى عمارتنا القديمة، وفعلا ذهب بنا التاكسي إلى هناك، ورأيتها وأنا داخل السيارة فأجهشت بالبكاء، هنا عشت طفولتي وصباي... هنا عرفت فرحة الحب الأول ثم خيبة الحب الأول ثم الهجرة إلى بلد الغربة.. ثم بدأت قصتي مع الشقاء وخيبات الأمل...ونجم كأن طيفه لايزال يسكن هناك.. وهو يتأملني بحبه وحنانه... ومضينا في طريقنا نحو فندق صغير... كنا سنبقى في الكويت ثلاثة أيام فقط ثم نسافر إلى الأردن لحضور فرح قريبتنا هناك... ولم يقصر أخي معي عاملني كسائحة أخذني إلى بعض المجمعات الكبيرة وفي أحدها اشتريت مجموعة كبيرة من الكتب والروايات العربية، أحببت أن آخذها معي إلى كندا علها تسلي وحدتي هناك، وتحدثنا أنا وأخي كثيرا، بدا سعيداً وناجحاً، وتحدثنا عني.. لم أجرؤ طبعا على إخباره بزواجي من فريد، لكنني أخبرته أنني سأبحث عن عمل جديد بمجرد عودتي، لا أريد أن أبقى بلا عمل، يجب أن أشغل نفسي بالإضافة إلى رغبتي بتحسين وضعي المالي، قررت أن أسافر في المرة القادمة مع أولاي.. سأحضرهم إلى الكويت ليروا أين ولدت وعاشت أمهم أجمل أيامها....

وقلت لعلي: يجب أن تأتي إلى كندا لرؤية أمي.. كم تشتاق لك وتحن إليك....

فقال: كنت أتمنى لو أحضرتها إلى دبي لتعيش معي..

فقلت ضاحكة: تراها فقط أجل لكن تسرقها مني لا، لقد تعودت على كندا، ثم إنها لا تستطيع ترك أبي... أعرف مشاغل الحياة لكنها تحتاج إليكما أنت ومريم...

وابتسم علي عندما ذكرت مريم وسألني: كيف حالها؟ لم أكلمها منذ العيد الماضي...

فابتسمت في وجهه: إنها حامل.. قالت إن المولود القادم سيكون ولدا.. وتبدو سعيدة جدا بذلك.

وانتهت اقامتنا في الكويت سريعا..لم أشبع منها.. لكنني وعدت نفسي بالعودة إليها ثانية مع أولادي الأحباء...

وسافرنا إلى الأردن... إنها جنة صغيرة، بلد بارد جميل، والمناظر الطبيعية هناك ذكرتني بالبلاد الأجنبية، وتوجهت مع أخي للإقامة في أحد الفنادق، ودخلت غرفتي وبدأت مباشرة بتبديل ثيابي، إن خالي ينتظرنا، ياه سنوات طويلة مضت منذ رأيته في الكويت آخر مرة قبل سفره بعد الغزو... وتعمدت أن أرتدي أجمل ثيابي، ثوب أبيض من الصوف الناعم له ياقة عالية وأكمامه تغطي ثلاثة أرباع ذراعي ويتدلى ليغطي ركبتي، ووضعت الكحل حول عيني بعناية وقد تركت شعري

الطويل منسدلا خلف ظهري، بدوت جميلة وأنيقة، كل ذلك لتجدني عائلة خالي مميزة كما كنت منذ رأوني آخر مرة، وأطلق علي صفيراً طويلا وهو يراني وقال ضاحكا: كل هذا لأجل خالي... تذكري أن ابنه تزوج منذ زمن...

وأزعجني تعليقه... صحيح أنني أتوقع أن أرى نجم بعد كل هذه السنين، لكنني لا أقصد شيئا من وراء زينتي، ربما أردت أن يراني جميلة كما كنت في عينيه سابقا.. لكنني لا أنوي حياله أكثر من ذلك، ووصلنا.. واستقبلتني زوجة خالي بالأحضان كما استقبلتني منذ أعوام طويلة في مطار الكويت عندما وصلت مع خالي من الأردن ذات يوم، وهتفت وهي تقبلني بحرارة: أحلام... لا أصدق أنني أراكِ يا ابنتي.. ماشاء الله لم تتغيري، لازلت كالقمر...

وابتسمت لها ابتسامة واسعة: كيف حالك يا خالة؟

وقالت بصدق: بخير مادمت أراكِ....

وظهرت سميرة... صديقة صباي ومرسال حبي الأول... لقد قاطعتني منذ هاجرنا إلى كندا، بدت أسمن من السابق لكن طيبة قلبها ودفئها لايزالان واضحين في وجهها، وضمتني سميرة إليها، وقبلتها وأنا أعاتبها: كل هذه السنوات دون أن تسألي عني وأنا في غربتي؟

وضحكت سميرة: كنت أنتظر أن تسألي أنتِ! وعرفتني

على أولادها، أربعة أولاد ذكور، كلهم يشبهونها.. ما أجملهم معا.. ما شاء الله... وأخيرا قبلت رأس خالي الذي كبر كثيرا وشاب شعره تماما وجلست بين عائلتي... أهلي.. ياه لقد افتقدت وجود أهل لي منذ زمن... إن الأهل رائعون احساس جميل أن يكون للإنسان عائلة ينتمي إليها، إننا قوم مشتتون فوطننا سرق منا، ومن كان بلا وطن عاش بلا أهل، ها أنا في الأردن وأمي وأبي وأولادي في كندا، وأختي وعائلتها في بلغاريا، وأسرة أخي في دبي والكثيرون منا في بلدان أخرى... بلاد أكثر بعدا ووحشة ربما، مادامت بعيدة عن ترابنا الغالي تراب فلسطين الحبيبة...

فلسطين يا شمساً لكل أشعاري
فلسطين يا معبداً دفنت فيه كل أسراري
فلسطين يا شاعرة بشعرها أنا مفتون
فلسطين يا جورية بحبها أنا مجنون
فلسطين كل صرخة آه من فمك تحرقني
فلسطين كل شيء فيكِ الآن يقلقني
فلسطين يا قضية كل عربي
فلسطين عودي إلينا حرة أبيّة
فلسطين أنتِ في القلب في الروح
أتقبلين مني روحي هدية

عودي يا زهرتي البرية
عودي لتتنفسي صموداً وحرية

وفُتح الباب ليدخل هو... بعد سنوات طويلة جدا رأيته أمامي.. إنه نجم، حبي الأول والتقت عيوننا بمجرد دخوله، وقام علي يصافحه ويعانقه، ثم مد يده إليّ: كيف حالك يا أحلام؟

ومددت يدي أصافحه... كانت أصابعه باردة كالثلج وسط أصابعي الدافئة: بخير... كيف حالك أنت؟

وقبل أن يجيب هتفت أمه: هذه هناء زوجة نجم يا أحلام...

ولم أكن قد انتبهت إليها... ومددت يدي بارتباك لأصافحها... كانت متوسطة الطول، شديدة البياض، لكنها سمينة ولم تعجبني ملابسها، بدت مبهرجة جدا وغير متناسقة، وبالمقابل قابلتني هي بجفاء شديد، لم تقبلني حتى، ودفعت نحوي بابنتيها، ابنتي نجم لتسلما عليّ، وبحنان قبلت الفتاتين، كانتا جميلتين، أجمل من أمهما وأجمل من نجم أيضا... وجلس نجم في المقعد الذي يقابلني وجلست زوجته بجواره كأنها تحرسه، وخلال الأحاديث التي دارت في تلك الجلسة الجميلة التقت عيوننا مرارا... كلام كثير فات

وقت قوله منذ زمن تنطقه عيوننا، عتاب ربما، حنين ربما، لكنه قطعا ليس حبا...

فقد انتهى حبنا منذ زمن... وأحببت أنا من بعده من لا يستحقني وإن كنت في أحيان كثيرة أحتار في تفسير مشاعري التي لازالت تشتعل كلما تذكرته رغم غدره و.... مهلا... قررت أنني في إجازة... وقمنا لتناول العشاء وجلس نجم بعيداً عني وانتهت الزيارة في منتصف الليل، كان العرس في اليوم التالي وسفرنا في اليوم الذي يليه، لقد اقترب موعد عودتي إلى كندا، ورغم سعادتي بالسفر إلا أنني اشتقت لأولادي كثيرا.. بدوت وكأنني مسافرة منذ دهر.

وفي اليوم التالي... ارتديت فستاناً من الحرير الأخضر، فستان رائع يليق بي، وتركت شعري أيضا منسدلاً على ظهري، وارتديت قرطا صغيرا من اللؤلؤ، لم أكن أملك الكثير من الحلي، لكنني بدوت أنيقة وفاتنة، وتوجهت مع أخي إلى أحد الفنادق حيث سيقام العرس، وبدأ الجميع يرحب بنا، لم يكونوا يعرفون من نكون فأغلبهم لم يرونا سابقا وظن البعض أنني وعلي متزوجان، كنا نضحك لذلك ونخبرهم بأننا شقيقان، وصلت زوجة خالي مع سميرة ثم وصل نجم مع زوجته المتغطرسة، وجلسنا جميعا حول مائدة مستديرة... ودخلت العروس، كانت جميلة جدا وعريسها وسيما أيضا،

كانت الحفلة رائعة، وبدأ الجميع يرقصون..وقامت سميرة لترقص مع نجم، فزوجها لم يحضر الفرح كان مسافراً خارج الأردن، وبقيت مع زوجة نجم وحدنا، والدته قامت تسلم على بعض معارفها، ولم تتبادل زوجته معي أية كلمة، إنها تكرهني بلا شك ويبدو أنها تعرف قصتي السابقة مع زوجها ... ونجم يكاد يلتهمني بعينيه طوال السهرة، وانتهى العرس وعدت مع أخي إلى الفندق وأنا متعبة، وفي اليوم الأخير خرجت صباحا لأشتري بعض الهدايا لأمي وللأولاد، وأخيرا حان وقت ذهابنا إلى المطار وفوجئت أن نجم هو الذي سيقلنا إلى هناك، لقد اتفق مع علي على ذلك... وفي الطريق إلى المطار تبادلنا أحاديث جميلة عن طفولتنا وذكرياتنا... أيام مضت ولن تعود...

ووصلنا إلى المطار وتوجه علي بحقائبنا نحو الموظف المختص وبقيت وحدي مع نجم...لم أستطع النظر في وجهه فأخذت أتشاغل عنه بالنظر حولي، وأخيرا قال: أحلام... أشعر أن شيئا ما مازال يربط بيننا.. أنا...

وقاطعته وأنا أقول: نجم... إن كل ما يربط بيننا الآن هو ذكرى حب جميل.. حلم لم يكتب له أن يتحقق.. أرجوك إن أي شيء قد تقوله قد يحول هذه الذكرى إلى خطأ... خطأ قد يعقبه الأذى لآخرين... والأذى يعقبه الندم، وأنا

أشفق على ذكرياتنا من الخطأ ولا أطيق أن نلوثها بالندم... دعنا كما نحن بلا مواجهات وبلا واقع يجمعنا.. يكفينا تلك الذكريات.. فحياتك هنا وحياتي أنا هناك في كندا حيث تفصل بيننا بحور وأميال...

وسكت نجم، إنه يعلم أنني على حق وخيم صمت ثقيل بيننا وأخيرا جاء علي ليدعوني للانضمام إليه، لقد حان وقت الوداع، وداع قد لا يكون بعده لقاء، من يدري... قد يكون الوداع الأخير، ومد نجم يده ليصافحني وشعرت بأنه غريب عني أجل... إنني أكاد لا أعرف هذا الرجل الذي أحببته يوما وأكاد لا أحس نحوه الآن بأي شيء، عجيبة هي النفس...

فالذي يملك إحساسي وقلبي... ذهب عني ورحل ولازلت أتعذب لأجله... لكنني لن أبحث له عن بديل كي أشفى من حبه... وركبت الطائرة لأواصل رحلتي... رحلة الصمود... أجل فمنذ ركبتها أول مرة نحو كندا وأنا أعيش الصمود... إنني أصارع كي أحيا.. أجاهد كي أتحمل وأسعى كي أنجح... إنني أعيش حياة صعبة... وأتحمل مسؤولية كبيرة... بلا رجل بجانبي... بلا دعم أو حب أو حتى صداقة... لكني صمدت في أصعب الظروف وسأصمد أكثر وأكثر لأنني اتخذت قرارا بمواصلة مسيرتي...

ومددت يدي نحو حقيبتي الكبيرة وسحبت منها كتابا لأقرأه خلال رحلتي الطويلة... كتاب اشتريته من الكويت... «ويبقى الأمل ينبض في القلوب»، عجبا كأن هذا العنوان يخاطبني ويعكس حالتي، وفتحت صفحة الإهداء وقرأت «إلى كل من وجد في نفسه القوة والأمل ليبدأ من جديد»... كانت تلك الكلمات بمثابة رسالة لي، أجل يجب أن أبدأ من جديد... وخطرت لي فكرة... من يدري قد أطلب من الكاتبة علياء الكاظمي أن تكتب لي قصتي في يوم ما...

عزيزتي أحلام...

وهو الاسم الذي اخترته لنفسك...

أتمنى أن أكون قد حققت لك حلمك، ووفقت في سرد قصتك كما يجب، كما أشكرك على إتاحة هذه الفرصة لي لكتابتها وعلى اختيارك لي لأكتب حكايتك التي تعايشت معها وأنا أكتبها بشكل مذهل وأثّرت بي من الصميم، لقد تفاعلت معك وأحسست بك وكأنني عشت هذه القصة معكِ بروحي... سأدعولكِ دائما... تحياتي لكِ أينما كنتِ...

مع حبي

علياء

مكتبة | سُر مَن قرأ

هل حقا لا يهمك رأيهم بك وبما تفعلين؟
ولأول مرة لمح دموعا تترقرق في عينيها وهي تقول: بل أفعل، أنا أهتم برأيهم... وذلك ينغّص عليّ حياتي.
فقال هيثم: لا تهتمي لأحد... ليس مهما ما يعرفه عنك الآخرون أو ما يظنونه بك، المهم هو ما تعرفينه أنتِ عن نفسك وما تظنينه بها، فالإنسان الواثق هو الذي يستمد صورته الحقيقية من أعماق نفسه وليس من عيون الآخرين.
والتقت عيونهما طويلا.. لقد كانت عبارته تلك بمثابة الصحوة له كما هي بالنسبة لها...
وأخيراً سألها: بالمناسبة... ما معنى اسمك؟
فقالت بقوة: معناه الشديدة الصلبة... كالرمح الصلب العود..
وحقا كان ذلك.. فقد أصابه رمح صلب في قلبه... رمح الحب... لقد عرف لحظتها أنه وقع في حب تلك الفتاة المتمردة... الشديدة الصلبة...

إصدارات أخرى للكاتبة

- ويبقى الأمل ينبض في القلوب
- جمان
- بلاهوية
- ورود ملونة
- حبيبة
- شهامة
- عيناها
- آنسات إلى الأبد
- بين قلبين 1
- بين قلبين 2
- يا بعده
- شيماء وقلوب أخرى

telegram
@t_pdf

ISBN: 978-99966-81-37-0
9 789996 681370

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

E-mail: ths@thatalsalasil.com.kw
Web site:www.thatalsalasil.com.kw

الكويت - ص.ب: 12041 الشامية 71651
تلفون: 22466266/55
فاكس: 22438304

@THATALSALASIL
@THATALSALASIL
thatalsalasilbookstore